المغرب

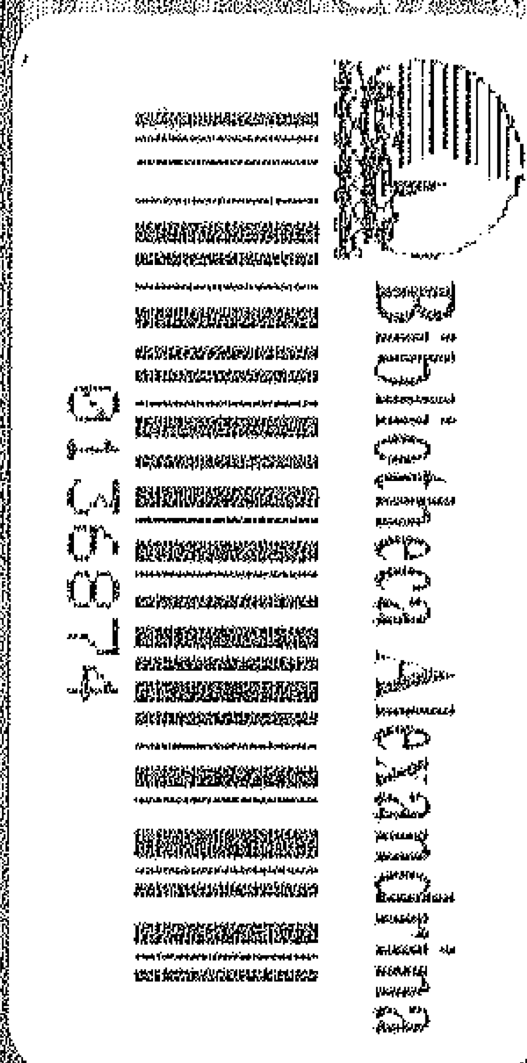
في ذكر بلاد افريقية والمغرب

وهو جزء من كتاب

المسالك والممالك

تأليف

أبي عبيد البكري



المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب

وهو جزء من كتاب

المسالك والممالك

تأليف

أبى عبيد البكرى

المتوفى سنة ٤٨٧ هـ

الناشر
دار الكتاب الإسلامي
القاهرة

بســـم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على خير المرسلين

المشهور من المدن والقرى في الطريق من مصر الى برقة والمغرب

ترنوط وهي قرية جامعة على النيل بها اسوان ومسجد جامع وكنيسة وخراب كثير خربته كتامة اذ كانوا هنالك مع ابي القـــاسم بن عبد الله الشيعي واكثر بنيانها بالاجر وبهـــا معاصر سكر فمن ترنوط الى المنى وهي ثلاثة مدن قائمة البنيـة خالية فيهـــا قصور شريفة في صحراء رمل ربما قطع فيهـــا الاعراب على الرفـــاق وتلك القصور محكمة البناء متجددة الجدر اكثرها على ازاج معقودة يسكن بعضها رهبان وبها ابار عذبة قليلة الماء ومنها الى ابي مينى وهي كنيسة عظيمة فيها عجايب من الصور والنقوش توقد قناديلها ليلا ونهارا لا تطفا وفيها قبو عظيم في اخر مبانيها فيها صورة جملين من رخام عليهما صورة انسان قايم رجلاه على الجملين احدى يديه مبسوطة والاخرى مقبوضة يقال انها صورة ابي مينى كل ذلك من رخام وفي هذه الكنيسة صور الانبيـــاء كلهم عليهم السلام صورة زكرياء

ويحيى وعيسى في عمود رخام عظيم على ذات يمين الداخل يغلق عليها باب وصورة مريم قد اسدل عليها ستران وصور ساير الانبياء ومن خارج الكنيسة صور جميع الحيوان واهل الصناعات من جملتها صورة تاجر الرقيق ورقيقه معه وبيده خريطة مفتوحة الاسفل يعني ان التاجر بالرقيق لا ربح له وفي وسط الكنيسة قبة فيها ثماني صور يزعمون انها صور الملايكة وفي جهة من الكنيسة مسجد محرابه الى القبلة يصلي فيها المسلمون حولها ثمار كثيرة وعامتهــا اللوز الاملس والخروب المعسّل الرطب يعقد منه الاشربة وكروم كثيرة يحمل اعنابها وشرابها الى مصر ويقولون ان سبب بنيــان هذه الكنيسـة ان قبرا كان في موضعها وكان بالقرب منه قرية وان رجلا من اهلها كان مقعدا فزال عنه حماره فزحف في طلبــه ليصرفه حتى وصل الى القبر فلما صار عليه انطلق ماشيا فمشى الى حماره واستوى عليه راكبا وانصرف الى موضعه صحيحا فتسامع الناس ذلك فلم يبق عليل الا قصد ذلك القبر فجلـــس عليه فافاق فبنيت عليه هذه الكنيسة وقصدها اولوا الاسقام ليستشفوا بهـا فبطل ذلك بعد بنايها ويودى من القسطنطينية الى هذه الكنيسة في كل عام الاف دينار ۞ وذات الحمام وهي سوق جامعة بهـا جامع بناه زيادة الله بن الاغلب منصرفه من المشرق الى افريقية بازايــه بير غزيرة طيبة حولها جباب وبساتين وبهـــا قصر خرب يتداولون سكانه روابط صاحب مصر وسميت ذات الحمـام لان كل من شـرب من مايها حم الا من عافاه الله ولذلك يقول الحداة رب سلمنـا من الحجاز وغلاها ومن مصر ووباها ومن ذات الحمام وحماها ۞ واما الحنيّة فهي شطر حنية قايمة في وسط فحص بينها وبين البحر شرق يقال انها كانت بناء الاسكندرية وينزل حولها مزاتة ولواتة خصايص وبين

الحنية وذات الحمام مايدة رخام اسود يقال انهـا كانت مايدة فرعون تحتها جب يعرف بالتنيس ۞
والكنايس وهي ثلاثة قصور مهدمة بالغرب منها عقبة تعرف بابارفيس وهما بيران عذبتا الماء بعيدتا الارشية ۞ وقال غيره من جب العوسج الى قباب معان بينهما ثلاثون ميلا وهي المعروفة بخرايب القوم قال محمد خرايب القوم مدينة خربها الروم فيها جباب وبغربي خرايب القوم قصر ابي معد نزار بن خلد بن يحيى بن بابان ينزله من قريش من قرابة جبير بن مطعم نحو عشرين بيتا واحياء كثيرة من بني مدلج ومن قبايل البربر نحو الف بيت من فاضلة وبني عقبدان ويذكر ان كثيرا ما تتبدل صورة المولودة عندهم فتصير في خلق الغول والسعلاة وتعدو على الناس حتى تغل وتقيد ۞ قال محمد بن يوسف اخبرني محمد بن قاسم صاحب استجة انه صح عنده ذلك او شاهده ومنها الى مدينة الرمادة وهي مدينة لطيفة بقرب البحر لها سور ومسجد جامع وحولها بساتين بانواع الثمار وبالغرب منها قصر السماس وفيه عمارة يسيرة ومن خرايب القوم الى مدينة الرمادة خمسة وثلاثون ميلا ومنها الى خرايب ابي حليمة وهو قصر معمور وبه سوق وابار خمس وجباب على البعد فاذا اتيت قصر الروم وهي اقباء طوب يشرف عليها جبل في سفحه جباب ماء اكبرها تعرف بالمطّلة فاذا جيت وادي مخيل وهو حصن فيه جامع وله سوق عامرة حواليه جباب ماء وبرك وليس ينبط فيه ماء وهو راخي السعر كثير الخير وبينه وبين اجدابية خمس مراحل ۞ برقة واسمها بالرومية الاغريقية بنطابلس تفسيره خمس مدن وصار اليها عمرو بن العاصي حتى صالح اهلها على ثلاثة عشر الفا يودونها اليه جزيه

على ان يبيعوا من احبوا من ابنابهم في جزيتهم قال الليث بن سعد كتب عمرو بن العاصى على لواتة في شرطه عليهم ان تبيعوا ابناءكم فيما عليكم من الجزية وسُمع عمرو يقول على المنبر لاهل انطابلس عهدٌ يوفى لهم به ومدينة برقة في صحراء حمراء التربة والمبانى فتحمر لذلك ثياب ساكنيها والمتصرفين فيها وعلى ستة اميال منها الجبل وهي دايمة الرخاء كثيرة الخير تصلح بها السايمة وتنمى على مراعيها واكثر ذبايح اهل مصر منها ويحمل منها الى مصر الصوف والعسل والقطران وهو يعمل بها بقرية من قراها يقال لها مقة دون جبل وعر لا يرقى اليها فارس على حال وهي كثيرة الثمار من الجوز والاترج والسفرجل واصناف الفواكه ويتصل بها شعراء عريضة من شجر العرعر وبمدينة برقة قبر رويفع صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحول مدينة برقة قبايل من لواتة ومن الافارق وفي الطريق من برقة الى افريقية وادى مسوس فيه قباب خربة وجباب يقال ان عددها ثلاث مائة وستون وبها بساتين وفي هذا الوادى التربة التى يغلى منها العسل ۞ ومدينة اجدابية وهي مدينة كبيرة في صحراء ارضها صفا وابارها منقورة في الصفا طيبة الماء وبها عين ماء عذب ولها بساتين لطاف ونخل يسير وليس بها من الاشجار الا الاراك وبها جامع حسن البناء بناه ابو القاسم بن عبيد الله له صومعة مثمنة بديعة العمل وحمامات وفنادق كثيرة واسواق حافلة مقصودة واهلها ذوو يسار اكثرهم اقباط وبها نبذ من صرحاء لواتة ولها مرسى على البحر يعرف بالماحور لها ثلاثة قصور بينه وبينها ثمانية عشر ميلا وليس لمبانى مدينة اجدابية سقوف خشب انما هي اقباء طوب لكثرة رياحها ودوام هبوبها وهي راخية الاسعار كثيرة التمر ياتيها من مدينة

اوجلة اصناف التمور ومدينة سرت وهي مدينة كبيرة على سيف البحر عليها سور طوب وبها جامع وحمام واسواق ولها ثلاثة ابواب قبلي وجوفي وباب صغير الى البحر ليس حولها ارباض ولهم نخل وبساتين وابار عذبة وجباب كثيرة ذبايحهم المعز ولحانها عذبة طيبة ليس يوكل بطريف مصر اطيب من لحومها واهل سرت من اخسس خلق الله خلقا واسويهم معاملة لايبيعون ولا يبتاعون الابسعر قد اتفق جميعهم عليه وربما نزل المركب بساحلهم موسوقا بالزيت وهم احوج الناس اليه فيعمدون الى الزقاق الفارغة فينفخونها ويوكونها ثم يصففونها في حوانيتهم وافنيتهم ليرى اهل المركب ان الزيت عندهم كثير باير فلو اقام اهل المركب ما شاء الله انْ يقيموا ما باعوا منهم الا على حكمهم واهل سرت يعرفون بعبيد قرلة وهم يغضبون من ذلك قال الشاعر يهجوهم

عبيد قرلّة شر البرايا معاملة واقبحهم فعالا
فلا رحم المهيمن اهل سرت ولا سقاهم عذبا زلالا

وقال اخر

ياسرت لا سرّت بك الانفس لسان مدحي فيكم اخرس
البستم القبح بلا مفظر يرون منكم لا ولاملبس
بخستم في كل اكرومة وفي الخنا واللوم لم تبخسوا

ولهم كلام يتراطنون به ليس بعربي ولا عجمي ولا بربري ولا قبطي ولا يعرفه غيرهم وهم على خلاف اخلاق اهل اطرابلس فان اهل اطرابلس احسن خلق الله معاشرة واجودهم معاملة وابرهم بغريب ومن سرت الى اطرابلس عشر مراحل ومن سرت الى اجدابية ست مراحل ومن اجدابية الى برقة ست مراحل ايضا ۞ مدينة اطرابلس ويذكر ان تفسير اطرابلس بالاعجمية الاغريقية ثلاث

مدن وسماها اليونانيون طربليطة وذلك بلغتهم ايضا ثلاث مدن لان طر معناه ثلاث وبليطة يعنى مدينة ويذكر ان اشيفاروس قيصر هو الذى بناها وتسمى ايضا مدينة اطرابلس مدينة اناس وعلى مدينة اطرابلس سور صخر جليل البنيان وهى على شاطى البحر ومبنى جامعها احسن مبنى ولها اسوان حافلة جامعة وحمامات كثيرة فاضلة وباطرابلس مسجد يعرف بمسجد الشعاب مقصود وحولها انباط فى زى البربر كلامهم بالقبطية فى قرارات فى شرقيها وغربيها مسيرة ثلاثة ايام الى موضع يعرف ببنى السابرى وفى القبلة مسيرة يومين الى حد هوارة وفيها رباطات كثيرة ياوى اليها الصالحون اشهرها واشهرها مسجد الشعاب ومرساها مامون من اكثر الرياح ۞ ومغمداس ومنها الى قصور حسان مرحلة ومن سرت الى مغمداس مرحلة ومن قصور حسان الى الراشدة وهى بير شريب سماها بهذا الاسم حسان بن النعمان هذا وانت تتوجه من مصر الى المغرب ومغمداس هو صنم قايم على شاطى البحر حوله اصنام وبه قصر بناه الاعرابى عامل سرت لبنى عبيد الله وبمغمداس التقا ابو الاحوص عمرو العجلى مع ابى الخطاب عبد الاعلى بن السمح الغايم بدعوة الاباضية فاقتتلوا على البحر فانهزم ابو الاحوص العجلى الى مصر واحتوى ابو الخطاب على معسكره وقتل بشرا كثيرا من اصحابه وانصرف الى اطرابلس وذلك سنة اثنتين واربعين ومائة ولما قتل زهير بن قيس ببرقة استعمل عبد الملك بن مروان حسان بن النعمان الغسانى على افريقية فخرج اليها فى المحرم سنة ثمان وستين فلقى عساكر الكاهنة بارض قابس وعلى مقدمتها القايد الذى كان مع كسيلة بن لمزم فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل صاحب خيل حسان بن النعمان

وانهزم حسان واصحابه الى المنهل المعروف بقصور حسان بطريق مصر وقتل من اصحابه عدد كثير واسر منهم نحو ثمانين رجلا فاحسنت الكاهنة اليهم واطلقتهم غير واحد وهو يزيد بن خالد القيسي فوصلوا الى حسان واخبروه بخبر يزيد فسر بذلك حسان وكتب الى عبد الملك يعلمه بما نزل به من الكاهنة ويسأله ان يمده بالجيوش فكتب اليه عبد الملك ان يقيم بمكانه فبنى هناك قصرين وهما اليوم خربان حولهما زعاق نزر في بيرين وبها جفات كثيرة ۞ القصر الابيض وهو قصر خرب وهو ادنى المراحل الى خرايب ابى حليمة على ظهر العقبة بقربه جب خربه قال محمد اخبر بعض الاسكندرانيين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كثرت ذنوبه فليلقى لوبيا وراء ظهره قال والقصر الابيض اخر حد لواتة ايضا ويسكن تحت تلك العقبة مزاتة ومدينة اطرابلس كثيرة الثمار والخيرات ولها بساتين جليلة في شرقيها وبتصل بالمدينة سبخة كبيرة يرفع منها الملح الكثير وداخل مدينتها بير يعرف ببير ابى الكنود يعيرون به ويحمق من شرب منه فيقال للرجل اذا اتى بما لا يلام لا يعتب عليك لانك شربت من بير ابى الكنود واعذب ابارها بير القبة ۞ وذكر الليث بن سعد قال غزا عمرو بن العاصي مدينة اطرابلس سنة ثلاث وعشرين حتى نزل القبة التى على الشرف من شرقيها فحاصرها شهرا لا يقدر منهم على شيء فخرج رجل من مدلج ذات يوم من عسكر عمرو متصيدا في سبعة نفر فمضوا غربي المدينة فاشتد عليهم الحر فاخذوا راجعين على ضفة البحر وكان البحر لاصقا بسور المدينة ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور وكانت سفن البحر شارعة في مرساها الى بيوتهم ففطن المدلجى واصحابه فاذا البحر قد غاض من ناحية المدينة فدخلوا

منه حتى اتوا من ناحية الكنيسة فكبروا فلم يكـــن للروم مفزع الا سفنهم واقبل عمرو بجيشه حتى دخـل عليهم فلم يفلت الروم الا بما خف لهم في مراكبهم وغنم عمرو ما كـان في المدينة ۞ وانما بنى سور مدينة اطرابلس مما يـــلي البحر هرثمة بن اعين حين ولايته القيروان ۞

ولمدينة اطرابلس حصن يسمى سوفجين يصاب فيه بعض السنين الحبة مائة حبة وهم يقولون حصن سوفجين بصيف سنـة في سنين ومن اطرابلس الى جبل نفوسة مسيرة ثلاثة ايام وجبل نفوسـة على ستة ايام من القيروان وطول جبل نفوسة من الشرق الى الغرب ستة ايام وتليهم قبيلة يقـال لهم بنو زمّور ولهـم حصـــن يسمى تيرفت في غاية المنعة لا يطمع فيه ولا يقدر احد عليه وبعد هذا الحصن قبيلة بـــني تدرميت لهم ثلاثة حصـون وفي وسط هـذه القبايل مدينة كبيرة تسمى جادوا لها اسواق ويسكنها يهود كثير قال محمد بن يوسف ام قرى جبل نفوسة مدينة شروس وهي كبيرة اهلة جليلة اهلها اباضية ليس بها جـامع ولا في ما حولهـــا من القرى وهي ازيد من ثلاث مـــاية قرية اهلة لم يتفقوا على رجـل يقدمونه للصلاة بهم وبين اطرابلس ومدينة شروس خمسـة ايام بينهما حصن لبدة حصن من بناء الاول بالصـــاروج والحجر حوله اثار عجيبة للاول وخرايب كثيرة يسكن هذا الحصن قوم من العرب جملتهم نحو الف فارس وهم محاربون لجميع من يجاورهم من قبـــايل البربر وهم ازيد من عشرين الفا بين راجل وفارس وظاهرون عليهم وفي وسط جبل نفوسة النخيـل والزيتون الكثير والفواكه ويجتمع فيما حوله من القبايل اذا تداعوا ستـــة عشر الف رجل وافتتح عمرو بن العاصي رحمه الله نفوسة وكانوا نصارى ومن نفوسة رجـع

عمرو بكتاب عمر رضى الله عنه ۞ ومن اراد الطريق من لعوسة الى مدينة زويلة فانه يخرج الى مدينة جادوا المذكور ثم يسير ثلاثة ايام فى صحراء ورمال الى موضع يسمى تيرى وهو فى سفح جبل فيه ابار كثيرة ونخيل ثم يصعد فى ذلك الجبل فيمشى فى صحراء مستوية نحو اربعة ايام لا يجد ماء ثم ينزل على بير تسمى اودرف ومن هناك يلقى جبالا شامخة تسمى تارغين يسير فيها الذاهب ثلاثة ايام حتى يصل الى بلد يسمى تامرما فيه نخيل كثير يسكنه بنو فلدين وفزانة وعندهم غريبة وهو ان السارق اذا سرق عندهم كتبوا كتابا يتعارفونه فلا يزال السارق يضطرب فى موضعه ذلك ولا يفتر حتى يقر ويرد ما اخذ ولا يسكن عنه ما به حتى يمحى ذلك الكتاب وتسير من هذا البلد الى بلد يسمى سباب يومين وهو بلد كثير النخل وكذلك الذى قبله واهل سباب يزدرعون النبات الذى يكون منه الصبغ المعروف بالنيل وتسير من سباب فى صحراء مستوية لا شىء فيها غير رمل رقيق لا يشوبه حجر ولا مدر اذا راى الرائي العظم فى تلك الصحراء من بعيد حسبه قصرا وان راى بعرة حسبها رجلا ومن هذه الصحراء الى زويلة يوم وهى نحو فى مدينة اجدابية وهى مدينة غير مسورة فى وسط الصحراء وهى اول حد بلاد السودان وبها جامع وحمام واسواق تجتمع بها الرفاق من كل جهة منها ومنها يفترق قاصدهم وتتشعب طرقهم وبها نخيل وبساط للزرع يسقى بالابل ۞ ولما فتح عمرو برقة بعث عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين وبزويلة قبر دعبل بن على الخزاعى الشاعر قال بكر بن حماد

الموت غادر دعبلا بزويلة وبارض برقة احمد بن خصيب

وبين زويلة ومدينة اجدابية اربعة عشر مرحلة ولاهل زويلة

حكمة في احتراس بلدهم وذلك ان الذى عليه نوبة الاحتراس
منهم يعمد الى دابة فيشد عليها حزمة حطب كبيرة من جرائد
النخل تنال سعفها الارض ثم يدور بها حوالى المدينة فاذا اصبح
من الغد ركب ذلك المحترس ومن يتبعه على جمال السروج وداروا
بالمدينة فان راوا اثرا خارجا من المدينة اتبعوه حتى يدركوه
اينما توجه لصاكان اوعبدا اوامة اوبعيرا ۞ وزويلة من اطرابلس
بين المغرب والقبلة ويجلب من زويلة الرقيق الى ناحية افريقية
وما هنالك ومبايعاتهم بثياب قصار حمر وبين زويلة وبلد كانم
اربعون مرحلة وهم وراء صحراء بلاد زويلة لايكاد احد يصل اليهم
وهم سودان مشركون ويزعمون ان هنالك قوم من بنى امية صاروا
اليها عند محنتهم بالعباسيين وهم على زى العرب واحوالها وبين
مدينة زويلة ومدينة سبهى مسيرة خمسة ايام وهى مدينة كبيرة
بها جامع واسواق وبين مدينة سبهى ومدينة هل مثل ذلك
وهى مدينة عامرة كثيرة النخل وعدون الماء ومن مدينة هل الى
مدينة ودان يوم ولها قلعة حصينة وللمدينة دروب وهى مدينتان
فيها قبيلتــان من العرب سهميون وحضرميون فتسمـى مدينة
السهميين دلباك ومدينة الحضرميين مدينة بوصى وجامعهما واحد
بين الموضعين وبين القبيلتين تنازع وتنافس قد ءال ذلك بهم
مرارا الى الحرب والقتال وعندهم فقهاء وقرّاء وشعراء واكثر معيشتهم
من التمر ولهم زرع يسيــر يسقونه بالنضح ومن مدينة ودان الى
مدينة تاجرفت ثلاثة ايام وهى مدينة اهلة بهــا جامع يسكنها
اهل ودان والتمر بها كثير واكثر اجناسه البرنى ومنها يخرج الى
مدينة سرت وبينها وبين زويلة مسيرة اثنى عشــر يوما وبينها
وبين مدينة ودان مثل ذلك وهى متوسطة بينهما زويلة بغربيها

وودان بشرقيها هكذا قال محمد والذى مر هنـا من ذكر المسافة
بين تاجرفت وزويلة اربعـة عشـر يوما على الطريق الاقصد ومن
تاجرفت الى الفسطاط تسع وعشرون مرحلة ۞ وطريق اخـر من
زويلة الى تاجرفت من زويلة الى مدينة تمـــسّى يومان ومدينة
تمسى كبيرة بها جـــامع واسواق يسيرة ومنها الى مدينـة زلهى
ثمانية ايام فى صحراء وفى وسط الطريق منزل لاهـل ودان ومدينة
زلهى كبيرة واسعة فيها جامع ولها نخـــل كثيرة وعين ماء نزة
يسكنها مزاتة ثم تمشى ستة ايام الى قصر بركانة ثم الى الفاروج وهو
قصر قد خرب يجاوره جب وحوله سبخة وبينه وبين سرت خمس
مراحل ثم الى مدينة اجدابية مرحلة ثم منها ثلاثة ايام الى قصر
زيدان الفتى ثم تمشى اربعة ايام الى مدينة اوجلة وهى مدينة عامرة
كثيرة النخل واوجلة اسم الناحية واسم المدينة ارزاقية واوجلة قرى
كثيرة فيها نخل وشجر كثير وفواكه وبمدينتها مساجد واسواق ثم
اربعة ايام الى مدينة تاجرفت ومن سلك من اطرابلس الى ودان فانه
يسير فى بلد هوارة نحـو الجنوب فى فيـاطن وبيوت شعر وهنـــاك
مرعيات ومنازل الى قصر ابن ميمون وذلك كله من عمل اطرابلس
ثم من قصر ابن ميمون ثلاثة ايام الى صنم من حجـــارة مبنى على
ربوة يسمى كرزة ومن حواليه من قبايل البربر يقربون له القرابين
ويستشفون به من ادوايهم ويتبركون به فى اموالهم الى اليوم ومن
هذا الصنم الى ودان مسيرة ثلاثة ايام ۞ وكان عمرو بن العاصى قد
بعث الى ودان بســـر بن ارطاة وهـو محاصر اطرابلس فافتتحها
وذلك سنة ثلاث وعشرين قال ابن عبد الحكم ثم انهم نقضوا عهدهم
ومنعوا ما كان بسر بن ارطاة فرض عليهم فخرج عقبـة بن نافع
الفهرى الى المغرب بعد معوية بن حديج وذلك سنة ست واربعين

ومعه بسر بن ارطاة وشريك بن سمي المرادى فاقبل حتى نزل
بغدامس من سرت فخلف عقبة جيشه هنالك واستخلف عليهم
زهير بن قيس البلوى ثم سار بنفسه في اربع مائة فارس واربع
مائة بعير وثمانمائة قربة ماء حتى قدم ودان فافتتحها واخذ
ملكهم فجدع اذنه فقال لم فعلت هذا وقد عاهدني المسلمون قال
ادبا لك اذا مسست اذنك ذكرت فلم تحارب العرب واستخرج
منه ما كان بسر فرض عليه ثلاث مائة راس وستين راسا ثم سالهم
عقبة هل وراءكم احد قالوا جرمة وهي مدينة فزان العظمى فسار
اليها ثماني ليال من ودان فلما دنا منها ارسل فدعاهم الى الاسلام
فاجابوا فنزل منهم على ستة اميال وخرج ملكهم يريد عقبة
وارسل عقبة خيلا حالت بينه وبين موكبه فامشوه راجلا حتى
اتى عقبة وقد لغب وانى وكان ناعما فجعل يبصق الدم فقال لم
فعلت هذا وقد اتيتك طايعا قال عقبة ادبا لك اذا ذكرته لم
تحارب العرب وفرض عليه ثلاث مائة عبد وستين عبدا ثم مضى
عقبة من فورة الى قصور فزان فافتتحها قصرا قصرا حتى انتهى الى
اقصاها ثم سالهم هل وراءكم من احد قالوا نعم اهل جاوان
وهو قصر عظيم على راس المفازة على راس جبل وعر وهو قصبة كوّار
فسار اليهم خمس عشرة ليلة فحاصرهم شهرا فلم يستطع لهم بشيء
فمضى امامه على قصور كوار فافتتحها حتى انتهى الى اقصاها وفيه
ملكها فاخذه وقطع اصبعه فقال لم فعلت هذا بي قال ادبا لك
اذا انت نظرت الى اصبعك ذكرت فلم تحارب العرب وفرض عليهم
ثلاثة مائة وستين راسا ثم سالهم هل من ورايكم احد فلم يعلموا
من ورايهم احدا فكرّ راجعا الى قصر جاوان فلم يعرض له ولا نزل
به وسار ثلاثة ايام فامنوا وانبسطوا واقام عقبة بمكان اسمه اليوم

ماء الفرس فنفد ماؤهم واصابهم عطش كاد يهلكهم فصلى عقبة باصحابه ركعتين ودعوا الله عزّ وجلّ فجعل فرس عقبـة يبحث بيديه في الارض حتى انكشف عن صفا فانفجر منها الماء فنادى عقبة في الناس ان احتفروا فاحتفروا ماء معينا طيبا فسمى لذلك ماء الفرس ثم كر راجعا الى جاوان من غير طريقه التى اقبل منها فلم يشعروا به حتى طرقهم ليلا فوجدهم مطمئنين قد امنوا فاستباح ما في مدينتهم من ذراريهم ونسـايهم واموالهم وقتل مقاتليهم ثم انصرف راجعا حتى اتى زويلة ثم ارتحل حتى قدم عسكره بعد خمسة اشهر فسار متوجها الى المغرب وجانب الجادّة واخذ الى ارض مزاتة فافتتح كل قصر بهـا ثم سـار الى قفصة فافتتحها وافتتح قسطيلية ثم انصرف الى القيروان ۞

۞ الطريق من اوجلة المتقدمة الذكر
الى الواحات ۞

من اوجلة الى بلد سنترية عشر مراحل في صحراء ورمـال قليلة الماء وسنترية هذه كثيرة العيون والثمار والحصون اهلها بربر لا عرب فيهم ونسير من سنترية على طرق شتى الى اودية الواحات ومن سنترية الى بهنسى الواحات عشر مراحل وهى غير بهنسى الصعيد ومن بهنسى الواحات الى اريش الواحات ثمانى مراحل ۞ بهنسى الواح مدينة مسورة فيها اسواق ومساجد وذكر محمد بن سعيد الازدى رجل من ابناء مدينة سفاقس انه دخلها ورأى فيها في يوم عيد النصارى واهلها عرب مسلمون وقبط نصارى تابوتا فيه رجل ميت يجعلونه على عجلة يسمونه ابن قرمى ويزعمون انـه من الحواريين يتطوفون بـه في سكك البلد ويتبركون بذلك ويتقربون الى الله

تجبّر تلك الجملة البقر بان نفرت من موضع ولم تسر فيه علموا ان في ذلك الموضع نجاسة ۞ واريش بلد كثير العيون الحارّة والثمار والنخيل مياهها كلها حامضة ومن اريش ثلاثة ايام الى الفرفرون وبالفرفرون معادن الشبوب المريّش والقصبى وفيه انواع الزاج وفيه العيون الحامضة وغير ذلك من المياه المختلفة الاطعمة والفرفرون هذا بلد كثير الاشجار والنخيل وفيه قرى كثيرة واهلها قبط نصارى وتسير من الفرفرون الى الواح الداخل اربع مراحل في صحراء لا ماء فيها ولا عمارة وهذا الواح الداخل كثير الانهار والعمارات والحصون منها حصن يسمى بالقصر في وسط عين ماء ثرثار يتشعب منه انهار تسقى زرعهم ونخلهم وثمارهم وتسير منه في قرى متصلة الى حصن يسمى قلمون مياهه حامضة منها يشربون ويسقون وبها قوامهم وان شربوا سواها من المياه العذبة استوبؤوه واخر هذا الواح الداخل قرية كبيرة تسمى القصبة لها مياه عذبة سايحة تسقى نخلها وثمارها ولها ثلاث اعين ملحة يجتمع ماؤها في سباخ فيكون ملحا ملح العين الواحدة ابيض وملح العين الثانية احمر وملح العين الثالثة اصفر وهذا الاصفر هو المستعمل بمصر وبرقة ومن هذا الواح الى الواحين الخارجين ثلاث مراحل وهو اخر بلاد الاسلام وبينه وبين بلاد النوبة في صحراء ست مراحل وفي بعض الواحات قبايل من لواتة وزعموا ان في اقصى الواحات بلد يقال له واح صبرو وانه بلد لا يقع عليه الا من قد ضل في الصحراء في النادر من الزمان فالواقع عندهم يقول انه يكون في بلادهم ما شاء وهم في اخصب عيش فاذا اراد الرجعة اروه صوب بلاده وقد وقع في هذا البلد من عرب بني قرّة رجمة بن قايد القرى ورجع الى موضعه ثم طلبه بعد ذلك فلم يقدر عليه فاعدّ مغرب بن ماضى امير

بنى فرة بعد عشرين واربع ماية من الهجرة زادا وماء كثيرا وظهرا
وذهب فى الصحراء يطلب واح صبروا وبقى يجول فى الصحــراء مدة
فلم يقدر عليها حتى خاف من نفاد الزاد فكرّ راجعا فنزل ذات
ليلة ربوة من الارض فى بهماء تلك الصحارى فوجد بعض اصحابه فى
ناحية من تلك الربوة بنيانا للاول فبحثوا عنه فاذا هو لبن نحاس
احمر محيط بالربوة اساس سور للاول فاوفروا منـه جميع مــا كان
عندهم من الظهر ورحلوا عنه ولو قدروا على اصـــابة موضعه لم
يفرغ من نقل ما فيه من النحاس الا فى الزمان الطويل واتى مرفب
فى منصرفه الواح للخارج فاخبره رجل من اهله انه غدا الى حايطة
فوجد اكثر ثمرة قد اكل ووجد اثر قدم انسان لا يشبه هذا
الخلف فى العظم فاحترسه هو واهله ليالى حتى طرقهم فى بعض
الليالى خلف عظيم لم يعهد مثله وجعل ياكل التمر فلما اهمّوا
به واحسّ بهم بارى الريح حضرا ولم يعلموا له امرا فنهض معهم
مفرب الى الاثر حتى وقف عليه فاستعظمه وامرهم ان يحفروا زبية
فى الموضع الذى كان يدخل منه ويغطوا اعلاها بالحشيش ويرقبوه
ليالى تباعا ففعلوا فلما كان بعد ليال اقبل على عادته فتردى فى
الزبيــة فبدروا فغلبوه بكثرتهم وترديه فاذا هى امراة ســـوداء
عظيمة الخلف معرطة الطول والعرض لا يفقه منها كلمة فكلموها
بكل لسان علم هنالك فلم تجاوب منهم احدا فبقيت عندهم اياما
ياتمرون فى امرها ثم اتفقوا على ارسالها وركوب النجب والخيـل فى
اثرها الى ان يقفوا منها ومن موضعها على حقيقة خبر فلما ارسلت
لم يكن طرف العين يلحقها وفاتت شاو النجب والخيل ولم يقف
احد من امرها على حقيقة ۞ ويذكرون ان هناك رمال عظيمة تعرف
بالجرابير كثيرة النخل والعيون لا عمران فيهـــا ولا انس بهـا وان

عزيف الجن يسمع بها الدهر كله وربما افام بهـا غزاة السودان ولصوصهم لانتهاز الفرصة في المسلمين ويتكادس التمر هناك اعواما لا يفع عليه احد ولا يبلغ اليه حتى ينتجعه النـاس في السنين الجدبة وعند الحاجة والضرورة ۞

۞ فاما الطريف من اطرابلس الى فابس ۞

فمن اطرابلس الى صبرة وهو بلد معمور يسكنه زواغة ثم الطريف من صبرة على مـا تفدم فبل هذا عند ذكر الطريف الى الفيروان ومدينة فابس مدينة جليلة مسورة بالصخر الجليل من بنيان الاول ذات حصن حصين وارباض واسوان وفنادن وجامع سريّ وحمامات كثيرة وفد احاط بجميعها خندن كبير يجرون اليه الماء عند الحاجة فيكون امنع شيء ولها ثلاثة ابواب وبشرفيها وفبليها ارباضها ويسكنها العرب والافارف وفيها جميع الثمار والموز بها كثير وهي تمير الفيروان باصناف الفواكه وبها شجر التوت الكثير ويفوم من الشجرة الواحدة منها من الحرير ما لا يفوم من خمس شجرات من غيرهـا وحريرهـا اطيب الحرير وارقّه وليس في كـل افريفية حرير الا في فابس واتصال بساتين ثمارها مفدار اربعة اميـال ومياهها سايحة مطردة يسفى بها جميع اشجارها واصل هذا المـاء من عين خرّارة في جبل بين الفبلة والغرب منها يصب في بحرها وبها فصب السكر كثير وبفابس منار منيف ويحدو الحادى عند فدومه من مصر الى افريفية فيفول

لا نَومَ لا نوم ولا فرارا   حتى ارا فابس والمنارا

وساحل مدينة فابس مرفا للسفن من كل مكـان وحوالى فابس

قبايل من البربر لواتة ولماية ونعوسة ومزاتة وزواغة وزوارة وقبايل شتى اهل اخصاص وكانت ولايتها منذ دخل عبيد الله افريقية تتردد في بني لقمان الكتامي قال الشاعر

لولا ابن لقمانَ حليف النَدَى   سُلّ على قابس سيف الرَدَى

ويجاورها جزيرة في البحر تعرف بجزيرة رازوا بينهما مسيرة اكثر من يوم عامرة اهلة وكثيرا ما يمتنع اهلها على السلاطين وبين مدينة قابس والبحر ثلاثة اميال ومما يذكرون من معايبها ان اكثر دورهم لا مذاهب فيها وانما يتبرزون في الافنية ولا يكاد احد منهم يفرغ من قضاء حاجته الا وقد وقف عليه من يبتدر اخذ ما يكون منه لتدمين البساتين وربما اجتمع على ذلك النفر فيتشاحّون فيه فيختصّ به من اراد منهم وكذلك نساؤها لا يرين في ذلك عليهن حرجا اذا استترت احداهن وجهها ولم يعلم من هي ويذكر اهل قابس انها كانت اصح البلاد هواء حتى وجدوا بها طلسما ظنوا ان تحته مالا فحفروا موضعه فاخرجوا منه تربة غبراء فحدث عندهم الوباء من حينئذ بزعمهم واخبر ابو الفضل جعفر بن يوسف الكلبي وكان كاتبا لمونس صاحب افريقية انهم كانوا في ضيافة ابن وانمّو الصنهاجي صاحب مدينة قابس فاتاه جماعة من اهل البادية بطاير على قدر الحمامة غريب اللون والصورة ذكروا انه لم يروه قبل ولا عهدوه كان فيه من كل لون اجمله وهو احمر المنقار طويله فسال ابن وانمو من حضره من العرب والبربر وغيرهم هل رءاه احد منهم فلم يعرفه احد ولا سماه فامر ابن وانمو بقص جناحيه وارسل في القصر فلما جن الليل جعل في القصر مشعل نار فما هو الا ان رءاه ذلك الطاير فقصده فصده واراد الصعود اليه فدفعه الخدّام وجعل يلحّ في التكرار على المشعل

باعلم ابن وانموا بذلك بقام وقام من حضر معه قال جعبر وكنت
بيمن حضر بامر ابن وانموا بترك الطاير وشـــانه بصــار بى اعلى
المشعل وهو يتاجج نارا واستوى بى وسطه وجعل يتفلّى كما يبعل ساير
الطير بى الشمس بامر ابن وانموا بزيادة الوقود بى المشعل من خرق
القطران وغير ذلك بزاد تاج النار والطاير بيه على حـالته لا يكترث
ولا يبرح ثم وثب من المشعل بعد حين يمشى لم يربه ريب واخبر
قوم من اهل ابريقية انهم سمعوا خبر هذا الطاير بمدينة قابس
والله اعــلم بحقيقة ذلك وعلى مقربة من قابس جزيرة جربة بيها
بساتين كثيرة وزيتون كثير واهلها مبسدون بى البر والبحر وهم
خوارج وبينهـا وبين البر الكبير مجاز ۞ قال حنش بن عبد الله
الصنعانى غزونا مع رويبع بن ثابت الانصـارى المغرب بابتتح قرية
من قرى المغرب يقال لها جربة بقام بينا خطيبا بقال ايها النـاس
لا اقول بيكم الا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
بينا يوم خيبر قام بينـا رسول الله بقال لا يحلّ لامرءى يومن بالله
واليوم الاخر ان يسقى ما زرع غيره يعنى اتيـان الحبـالى من السبى

۞ الطريق من مدينة قابس الى سباقس ۞

من مدينة قابس الى عين الزيتونة وهى عين جارية على بحر ميت
عليها مرصد لجابى ابريقية وهى عين مذكورة بى كتب حدثان
ابريقية قال ابن اغلب بى ارجوزته التى يذكر بيها وقايع ابريقية

عند حلول الجيش بالزيتونة   تكن هنـــاك الوقعة الملعونة

ومن عين الزيتونة الى تاورى وهو منزل عامر بى طرب ساحل الزيتون
ومن هناك الى قابق وهو بلد معمور ومنه الى مدينة سباقس وهى
مدينة على البحر مسورة ولهـــا اسوان كثيرة ومساجد وجامع

وسورها صخر وطوب ولها حمامات وفنادق وبواد عظيمة وقصور جمة وحصون ورباطات على البحر منها محرس بطوبة وهو اشرفها وفيها منار مفرط الارتفاع يرقى اليه في ماية وست وستين درجة ومحرس حبلة ومحرس ابي الغصن ومحرس مقدمان ومحرس اللوزة ومحرس الريحانة ۞ وسفاقس في وسط الذ غابة زيتون ومن زيتها يمتار اهل مصر واهل المغرب وصقلية والروم وربما بيع الزيت منها اربعين رُبعًا قرطبية بمثقال واحد وهي تحط السفن فاذا جزر الماء بقيت السفن في الحماة واذا مدّ رجعت السفن يقصدها التجار من الافاق بالاموال الجزيلة لابتياع المتاع والزيت وعمل اهلها في القصارة والكمادة كعمل اهل الاسكندرية واكثر واجود ويقابل سفاقس في البحر جزيرة تسمى قرقنة وهذه الجزيرة في وسط القصير بينها وبين مدينة سفاقس في ذلك البحر الميت القصير القعر نحو عشرة اميال وليس للبحر هناك حركة في وقت وبحذاء هذا الموضع في البحر على راس القصير بيت مشرف مبنى بينه وبين البر الكبير نحو اربعين ميلا فاذا راى قلبَ البيت اصحابُ السفن الواردة من الاسكندرية والشام وبرقة اداروها الى مواضع معلومة وجزيرة قرقنة المذكورة فيها اثار بنيان ومواجل للماء ويدخل فيها اهل سفاقس دوابهم ومواشيهم لانها خصبة

۞ الطريق من سفاقس الى القيروان ۞

من مدينة سفاقس الى طرق وهو بلد معمور ومنه الى قصر رباح وهو معمور ايضا ومن قصر رباح الى القيروان ۞

۞ الطريق من سفاقس الى المهدية ۞

من سفاقس الى لجم وهو حصن الكاهنة وهو طرف سوق الحسينى

وفى هذا السوق قرية كبيرة اهلة تعرف بارزلس بها جامع وحمام واسوان وهى من قرى الساحل ومن لجم الى مدينة المهدية ۞

۞ ذكر افريقية وبلادها وحدودها ولم سميت افريقية وذكر غرايبها ۞

قال قوم انها افريقية اى صاحبة السماء وقال اخرون سميت افريقية لان افريقس ابن ابرهة بن الرايش غزا نحو الغرب حتى انتهى الى طنجة فى ارض بربر وهو الذى بنى افريقية وباسمه سميت وقيل سميت بافريق ابن ابرهيم عليه السلام من زوجته الثانية قطورى وقال قوم انما سموا الافارقة وبلادهم افريقية لانهم من ولد فارق بن مصريم وقد زعموا ان اسم افريقية ليبية سميت ببنت يافوه بن يونش الذى بنى مدينة منفيش بمصر وهى التى ملكت ملك افريقية اجمع فسمى بها ۞ وحد افريقية طولها من برقة شرقا الى طنجة الخضراء غربا واسم طنجه مورطانية وعرضها من البحر الى الرمال التى هى اول بلاد السودان وهى جبال ورمال عظيمة متصلة من الغرب الى الشرق وفيه يصاد الفنك الجيد وروى جماعة عن سحنون بن سعيد وموسى بن معوية جميعا عن ابن وهب عن سعيد بن ابى ايوب عن شرحبيل بن سويد عن ابى عبد الرحمن الجبلى قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فقفلوا فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم شدة برد اصابهم فقال رسول الله لكن افريقية اشد بردا واعظم اجرا واسنداه ايضا عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة الجذامى ان سفين بن الحرث حدثهم عن اشياخهم انهم قالوا للمقداد بن الاسود صاحب النبى صلى الله عليه وسلم انك تقفلت وانت تخرج فى هذه المغازى

فقال خفيفا كنت او ثقيلا لا اتخلف عنها لان الله تبارك وتعالى
يقول انفروا خفافا وثقالا ثم قال قدمت سرية على النبى صلى الله
عليه وسلم فذكروا البرد فقال قال رسول الله ان البرد الشديد
والاجر العظيم لاهل افريقية وروى ابن ابى العرب قال حدثنى
فرات حدثنى عبد الله بن ابى حسان عن عبد الرحمن بن زياد
ابن انعم عن ابى عبد الرحمن الجبلى قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ينقطع الجهاد عن البلاد كلها فلا يبقى الا بموضع في المغرب
يقال له افريقية فبينا القوم بازاء عدوهم نظروا الى الجبال قد سيّرت
فيخرّون لله تبارك وتعالى سجّدا فلا ينزع عنهم اخلاقهم الا خدّامهم
في الجنة وكان عبد الرحمن بن زياد بن انعم يقول ينقطع الجهاد
من كل بلد وسيعود الى افريقية وليضربنّ القبايل من الافاق الى
افريقية لعدل امامهم ورخص اسعارهم وروى ابن ابى العرب عن
عبد الله بن عمر العمرى عن ابن لهيعة عن ابى قبيل عن عبد الله
ابن عمرو انه قال والله ليباعن الجمل بمصر بعشرة دنانير ثم ليباعنّ
بماية دينار لمغالاة الناس بها وكانى اسمع صرير المحامل على عقبة
الثنية من مصر الى افريقية يطلبون بها الجهاد والعدل وليملكنّ
افريقية رجل يعدل فيهم اثنين وعشرين او اربعة وعشرين سنة

۞ ذكر مسجد القيروان ۞

قد تقدم ان اول من وضع محرابه وبناه عقبة بن نافع ثم هدمه
حسان حاشى المحراب وبناه وحمل اليه الساريتين الحمراوين
الموشّاتين بصفرة اللتين لم ير الراوون مثلها من كنيسة كانت
للاول في الموضع المعروف اليوم بالقيسارية بسوق الضرب ويقولون
ان صاحب القسطنطينية بذل لهم فيهما قبل نقلهما الى الجامع

زنتها ذهبا فابتدروا الجامع بهما ويذكر كل من راهما انه لم ير في
البلاد ما يفترن بهما فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك كتب
اليه عامله على القيروان يعلمه ان الجامع يضيق باهله وان بجوفيه
جنة كبيرة لقوم من فهر فكتب اليه هشام يامر بشريها وان
يدخلها المسجد الجامع ففعل وبنى في صحنه ماجلا وهو المعروف
بالماجل القديم بالغرب من البلاطات وبنى الصومعة في بير الجنان
ونصب اساسها على الماء واتفق ان وقعت في نفس الحايط الجوفي واهل
الورع يكرهون الصلاة في هذه الزيادة ويقولون انه أكره اهل الجنة
على بيعها والصومعة اليوم على بنائه طولها ستون ذراعا وعرضها
خمسة وعشرون ولها بابان شرقي وغربي وعضايد بابيها رخام منقش
وكذلك عتبتها فلما ولى افريقية يزيد بن حاتم سنة خمس
وخمسين ومائة هدم الجامع كله حاشى المحراب وبناه واشترى
العمود الاخضر بمال عريض جزل ووضعه فيه وهو الذى كان يصلى
عليه القاضى ابو العباس عبدون فلما ولى زيادة الله بن ابراهيم
ابن الاغلب هدم الجامع كله واراد هدم المحراب فقيل له ان من
تقدمك من الولاة توقفوا عن ذلك لما كان واضعه عقبة بن نافع
ومن كان معه فلج في هدمه لئلا يكون في الجامع اثر لغيره حتى
قال له بعض البناة انا ادخله بين حايطين ولا يظهر في الجامع اثر
لغيرك فاستصوب ذلك وفعله فهو على بنائه الى اليوم والمحراب كله
وما يليه مبنى بالرخام الابيض من اعلاه الى اسفله مخرّم منقوش
كله منه كتابة تقرا ومنه تدبيج مختلف الصناعة يستدير به
اعمدة رخام في غاية الحسن والعمودان الاحمران المذكوران يقابلا
المحراب عليهما القبة المتصلة بالمحراب وعدد ما في الجامع من
الاعمدة اربع مائة واربعة عشر عمودا وبلاطاته سبعة عشر بلاطا

وطوله مايتان وعشرون ذراعا وعرضه ماية وخمسون ذراعا وكانت فيه مقصورة فلم يزل بناء زيادة الله فيه والمقصورة اليوم انما هي دار بقبلي الجامع بابها في رحبة الثمر لها باب عند المنبر يدخل منه الامام بعد ان ينزل في هذه الدار حتى تقرب الصلاة وبلغت النفقة في بنيانه ستة وثمانين الف مثقال ولما ولي ابراهيم بن احمد ابن الاغلب زاد في طول بلاطات الجامع وبنى القبة المعروفة بباب البهو على اخر بلاط المحراب وفي دورها اثنان وثلاثون سارية من بديع الرخام وفيها نقوش غريبة وصناعات محكمة عجيبة يشهد كل من راها انه لم ير مبنى احسن منه وقد فُرش من الصحن بين ايدي البلاطات نحو خمس عشرة ذراعا وللجامع عشرة ابواب ومقصورة للنساء في شرقيها بينها وبين الجامع حايط اخر مخرّم محكم العمل ۞ ومدينة القيروان في بساط من الارض مديد من الجوف منها بحر تونس وفي الشرق بحر سوسة والمهدية وفي القبلة بحر اسفاقس وقابس واقربها منها البحر الشرقي بينها وبينه مسيرة يوم وبينها وبين الجبل مسيرة يوم وبينها وبين سواد الزيتون المعروف بالساحل مسيرة يوم وشرقيها سبخة ملح عظيم طيب نظيف وساير جوانبها ارضون طيبة كريمة واحسنها الجانب الغربي وهو المعروف بفحص الدرّارة يصاب فيه في السنة الخصبة للحبة ماية وهَوَاءُ هذا الجانب طيب صحيح وكان زياد بن خلفون المتطبب اذا خرج من القيروان يريد مدينة رقّادة وحاذى باب اصرم رفع العمامة عن راسه يباشر الهواء براسه كالمتداوي به لصحته وللقيروان من القديم سبع محارس اربعة خارجها وثلاثة داخلها وكان للقيروان في القديم سور طوب سعته عشرة اذرع بناه محمد بن الاشعث ابن العقبة الخزاعي سنة اربع واربعين وماية وهو اول قايد دخل

افريقية للمسوّدة وكان فى قبليه باب سوى الاربعة وهو بين القبلة والمغرب وبين القبلة والشرق باب ابى الربيع وفى شرقيه باب عبد الله وباب نافع وفى جوفيه باب تونس وفى غربيه باب اصرم وباب سلم بهدم هذا السور زيادة الله بن ابراهيم المعروف بالكبير سنة تسع ومايتين لما قام عليه اهل القيروان مع المنصور المعروف بالطنبذى بلما انهزم عن القيروان يوم الاربعاء للنصف من جمادى الاولى من هذه السنة وخرج اهل القيروان الى زيادة الله يرغبوا فى العفو عنهم والصفح هدم سور القيروان عقوبة لهم ثم بناه المعز بن باديس بن منصور الصنهاجى سنة اربع واربعين واربعماية ومبلغ تكسيره اثنان وعشرون الف ذراع وجعل السور مما يلى صبرة كالفصيل حايطان يتصلان الى مدينة صبرة وبينهما نحو نصف ميل ولا سبيل لتاجر ولا وارد ان يُدخل مدينة القيروان ما يجب عليه فيه المكس الا بعد جوازه على مدينة صبرة وللمدينة اليوم اربعة عشر بابا منها المذكورة وباب النخيل والباب الحديث والفصيل بابان وباب الطراز والباب الحديث وباب القلالين وباب ابى الربيع وباب تحنون الفقيه ومدينة صبرة متصلة بالقيروان بناها اسماعيل سنة سبع وثلاثين وثلاثماية واستوطنها وسماها المنصورية وهى منزل الولاة الى حين خرابها ونقل اليها معد بن اسماعيل اسواق القيروان كلها وجميع الصناعات ولها خمسة ابواب الباب القبلى والباب الشرقى وباب زويلة وباب كتامة وهو جوفى وباب الفتوح ومنه كان يخرج بالجيوش ويذكر انه كان يدخل واحد ابوابها كل يوم ستة وعشرون الف درهم وكان سماط سوق القيروان قبل نقله الى المنصورية متصلا من القبلة الى الجوف وطوله من باب ابى الربيع الى الجامع ميلان غير ثلث ومن الجامع الى باب تونس ثلثا

ميل وكان سطحا متصلا بيه جميع المتاجر والصناعات وكان امر بترتيبه هكذا هشام بن عبد الملك وخارج مدينة القيروان خمسة عشر ماجلا للماء سقايات لاهلها منها من بنيان هشام بن عبد الملك وغيره واعظمها شانا وافخمها منصبا ماجل ابى ابراهم احمد ابن محمد بن الاغلب بباب تونس وهو مستدير متناهى الكبر ى وسطه صومعة مثمنة ى اعلاها قصبة لرقبة مفتحة على اربعة ابواب على احد عشر رجلا لا خلل بينهم كيلا يصل محط باذا امتلا الماجل كان ذلك وسطح هذه القصبة نحو ذراعين كان ابن الاغلب يدخل الى هذه القبة ى مركب يسمى بالزلاج ويتصل بهذا الماجل ى قبليه اقباء طويلة معقودة ازاجا على ازاج وكان زيادة الله قد بنى على غربى هذا الماجل قصرا وبجوبى هذا الماجل ماجل لطيف متصل به يسمى العسفية يقع بيه ماء الوادى اذا جرى ينكسر بيه شدة جريان الماء ثم يدخل منه الى الماجل الكبير اذا ارتبع الماء ى العسقية قدر قامتين على باب بين الماجلين يسمى السرح وهذا الماجل عجيب الشان غريب البنيان وكان عبيد الله يقول رايت بابريقية شيئين لم ار مثلهما بالشرق للحبير الذى بباب تونس يعنى الماجل والقصر الذى بمدينة رقادة المعروف بقصر البحر وبى القيروان ثمانية واربعون حماما واُحصى ما ذبح بالقيروان ى بعض ايام عاشورا من البقر خاصة بانتهى تسع ماية وخمسين راسا ومن عجايب القيروان انهم يحتطبون الدهر من زيتونها ليس لهم محتطب غيره وان ذلك لا يؤثر ى زيتونها ولا ينقص منه وسنة اثنتين وخمسين سُبيت القيروان واخليت ولم يبق بيها الا ضعفاء اهلها ۞ والقفيز بالقيروان واعمالها ثمانى ويبات والويبة اربعة اثمان والثمنة ستة امداد بمد اوى من مد النبى صلى

الله عليه وسلم ومقدار تلك الزيادة في القفيز كله اثنا عشر مدا بصاع القفيز القروى مايتى مد واربعة امداد بمد النبى وذلك بكيل قرطبة خمس اقفزة غير ستة امداد ورطل اللحم والتين وساير الماكولات عندهم عشرة ارطال بلغلية وقفيز الزيت عندهم ثلاثة ارطال بلغلية والمطر عندهم كيل يسع خمسة اقفزة من زيت ۞ مدينة رقّادة وهي من القيروان على اربعة اميال ودورها اربعة وعشرون الف ذراع واربعون ذراعا واكثرها بساتين وليس بافريقية اعدل هواء ولا ارقّ نسيما ولا اطيب تربة من مدينة رقادة ويذكر ان من دخلها لم يزل ضاحكا مستبشرا من غير سبب وذكروا ان احد بنى الاغلب ارق وشرد عنه النوم اياما فعالجه اسحق الذى ينسب اليه اطريفل اسحق فلم ينم فامر بالخروج والمشى فلما وصل الى موضع رقادة نام فسميت من يومئذ رقادة واتخذت دارا ومسكنا وموضع فرجة للملوك والذى بنى مدينة رقادة واتخذها دارا ووطنا ابراهيم بن احمد وانتقل اليها من مدينة القصر القديم وبنى بها قصورا عجيبة وجامعا وعمّرت بالاسواق والحمامات والفنادق ولم تزل بعد ذلك دار ملك لبنى الاغلب الى ان هرب عنها زيادة الله من ابى عبد الله الشيعى وسكنها عبيد الله الى ان انتقل الى المهدية سنة ثمان وثلاثماية وكان ابتدا تاسيس ابراهيم لها سنة ثلاث وستين ومايتين فلما انتقل عنها عبيد الله الى المهدية دخلها الوهن وانتقل عنها ساكنوها ولم تزل تخرب شيًا بعد شيء الى ان ولى معد بن اسماعيل فخرب ما بقى منها وعفا اثارها وحرث منازلها ولم يبق منها غير بساتينها ولما بناها ابراهيم بن احمد وجعلها داره منع بيع النبيذ بمدينة القيروان واباحه بمدينة رقادة فقال بعض الظرفاء من اهل القيروان

يا سيّد الناس وابن سيدهم ومن اليه الرفاب منفـادَةْ
ما حـرّم الشرب بى مدينتنا وهو حـلال بارض رفّادَةْ

فال محمد بن بوسف انمـا سميت بهذا الاسم لان ابا الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافرى الفايم بدعوة الاباضية باطرابلس لمـا نهد الى الفيروان لفتال ورفجومة وكانوا فد تغلبوا عليها مع عاصم ابن جميل النفى بهم بموضع رفادة وهى اذداك مُنية بفتلهم هناك فتلا ذريعـا فسميت رفادة لرفاد جثثهم بعضها فوف بعض ۞ فاما مدينة الفصر الفديم فان الذى اسسهـا ابراهيم بن الاغلب بن سالم سنة اربع وثمانين ومائة وصـارت دار امراء بنى الاغلب وهى بفبلى مدينة الفيروان وعلى ثلاثة اميال منها بها جامع له صومعة مستديرة مبنية بالاجر والعمد سبع طبفات لم ير احكم منها ولا احسن منظرا وحمامات كثيرة وفنادق واسواق جمة ومواجل للماء واذا فحطت الفيروان وفند المـاء فى مواجلها نفلوا المـاء من مدينة الفصر وكان لها من الابواب باب الرحمة فبلى وباب الحديد فبلى وباب غلبون شرفى وباب الريح شرفى وباب السعادة غربى يفابل المفبرة الكبيرة وداخـل المدينة رحبة كبيرة واسعة تعرف بالميدان ويجاور مدينة الفصر بنية تعرف بالرصافة ولما انى ابراهيم مدينة الفصر وانتفل اليها خرّب دار الامارة التى كانت بالفيروان بفبلى الجامع منذ فتحت واذا خـرج المتوجه الى مصر من الفيروان على باب الطراز يلفى مدينة الفيروان يسرة ويسلك بين مدينة رفادة ومدينة الفصر فاول ما يلفى وادى السراويل شتوى ثـم المنيـة المعروفة وهى كبيرة اهلة ثـم فرية زرور وهى كثيرة البفول لا سيما الجزر واهلها فوم يضرب بهم المثل فى سوء الحال بافريفية يفال مشايخ زرور شهد معهم سبعة على فبضة اسفنارية فيفال للحاكم للطالب زد

بيّنه ثم وادى الطرفاء كبير شتوى اذا حمل اهلك ما حوله من القرى والمنازل وسعته اذا حمل ازيد من ثلاثة اميال ثـــم مدينة فلشانة من القيروان اليها اثنا عشر ميلا كبيرة اهلة بها جامع وحمام ونحوعشرين فندقا وهى كثيرة البساتين وشجر التين واكثر تين القيروان الاخضر منها وابواب الدور بمدينة فلشانة فصار ليس يدخلها الدواب فعلوا ذلك خوفا من نزول العمّال والجباة ۞

مدينة المهدية منسوبة الى عبيد الله المهدى الذى بناهـــا على ما ذكر فى التاريخ وبينها وبين القيروان ستـــون ميلا تخرج من القيروان فتنزل منزل كامل ثم تخرج منهـا فتاتى المهدية وطريق اخر تخرج من القيروان الى مدينة تُمـــاجِر مرحلة الى المهدية مرحلة اخرى ومدينة تماجر كبيرة اهلة بهـــا جامع واسوان وفنادق وحمام وماؤها زعاق وفى وسطها غدير مـــاء وحولها غابة زيتون وشجر اعناب وبين مدينة تماجر والمهدية الوادى الملح الذى كانت فيه الوقعة المشهورة بين ابى يزيد وابى القاسم فقتل فيها من اصحاب ابى القاسم عدد لا يحصى ففر منه ابو القاسم فيمن كـان يختص به والبحر قد احاط بها من ثلاث جهاتهـا وانمـا يُدخل اليها من الجانب الغربى ولها ربض كبيـر يعرف بزُويلة فيه الاسوان والحمـام ومساكن اهلهـا وبنى على الربض المعز بن باديس سورا يحيط به وطولها اليوم نحو ميلين وعرضها يضيق ويتسع واوسعه اقلّه من بسط طولها وجميع بنيانها بالصخر ولمدينتها بابا حديد لا خشب فيهما زنة كل باب الف قنطار وطوله ثلاثون شبـرا فى كل مسمار من مساميرها ستة ارطال وفى البابين صور الحيوان وفى المهدية من المواجل العظام ثلاث ماية وستون غير ما يجرى اليها من القناة التى فيها والماء الجارى بالمهدية جلبه عبيد الله من قرية مَنانُش وهى

على مغربة من المهدية في افداس ويصب في صهريج داخل المهدية عند جامعها ويرفع من الصهريج الى القصر بالدواليب وكذلك يستقى ايضا بقرب منانش من الابار بالدواليب ويصب في محبس يجرى منه في تلك القناة وهي مرفا لسفن الاسكندرية والشام وصقلية والاندلس وغيرها ومرساها منقور في حجر صلد يسع ثلاثين مركبا على طرفي المرسى برجان بينهما سلسلة من حديد فاذا اريد ادخال سفينة فيه ارسل حرّاس البرجين احد طرفي السلسلة حتى تدخـــل السفينة ثم مدوها كما كانت بعد ذلك لئلا يطرقها مراكب الروم وعرض المدخـل الى المهدية من القبلة الى الجوف قدر غلـوة وردم عبيد الله من البحر مثل ذلك وادخله في المهدية فاتسع الموضع وفيه ستة عشر برجا ثمانية منها في السور الاول وثمانية في الزيادة منها برج ابي الوزان النحوى وبرج عثمان وبرج عيسى وبرج الدهّان نسبت اليهم لقرب مساكنهم منها والجامع ودار المحاسبات فيما ردم من البحر وغير ذلك من المنازل والجامـع سبعة بلاطات متقن البناء حسنه وقصر عبيـد الله كبير سريّ المبـانى بابه غربي وقصر ابنه ابي القاسم بازائه بابه شرقي بينهما رحبة فسيحـة ودار الصناعة بشرقي قصر عبيد الله تسع اكثر من مايتى مركب وفيهـا قبوان كبيران طويلان لالات المراكـب وعددها لئلا ينالها شمس ولا مطر وكان سبب بنيان عبيد الله للمهدية قيام ابي عبد الله وجماعة كتامة عليه وما حاولوه من خلعه وقتل اهل القيروان رجال كتامة فكان ابتداؤه بالنظر فيها سنة ثلاث مائة وكمل سورها سنة خمس وانتقل اليها سنة ثمان في شوال وكان لها ارباض كثيرة اهلة عامرة اقربها اليها ربض زويلة فيه الاسواق والحمامات وربض الحمى كان مسكنا لاجناد افريقية من العرب والبربر وقصر ابي سعيـد

وبقّة وفاساس والغبطنة وربض فبصة وغيرها ولم تزل دار ملك لهم الى ان ولى الامر اسماعيل بن القايم سنة اربع وثلاثين وثلاثماية فسار الى القيروان محاربا لابى يزيد واتخذ مدينة صبرة واستوطنها بعده ابنه معدّ وخلت اكثر ارباض المهدية وتهدمت ومن المهدية الى مدينة سلقطة ثمانية اميال ومن المهدية الى قصر لجم وهو المعروف بقصر الكاهنة ثمانية عشر ميلا ويذكر ان الكاهنة حصرها العدو فى ذلك القصر فحفرت سربا فى صخرة صمّاء من هذا القصر الى مدينة سلقطة يمشى فيه العدد الكثير من الخيل وكان ينتقل اليها فيه الطعام وساير ما تحتاج اليه ومن مدينة سلقطة الى قصر لجم هذا ثمانية عشر ميلا ايضا وفى دور قصر لجم نحو ميل وهو مبنى بحجارة طول الحجر منها خمسة وعشرون شبرا ونحوها وارتفاعه فى الهواء اربعة وعشرون قامة وهو من داخله مدرّج كله الى اعلاه وابوابها طاقات بعضها فوق بعض باحكم صناعة ۞ وترنوط حصن على ستة اميال من المهدية ومنها زاحف ابو يزيد مخلد المهدية وبهذا الحصن كانت محلته ايام حصاره المهدية وفى كتب الحدثان ۞ اذا ربط الخارج خيله بترنوط ۞ لم يبق لاهل السواد محلول ولا مربوط ۞ اهل السواد اهل الساحل وفيه ۞ ويل لاهل السواد ۞ من مُخَلَّد بن كيداد ۞ والاخوان منزل بين القيروان والمهدية وفى هذا المنزل قتل ابو يزيد لميسرة الفتى يوم الاربعاء لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين وثلاثماية قال على بن على بن ظفر يمدح ابا يزيد

هذا وكم من وقعة مشهورة   ابقيتها مثلا لكل ممثّل
بثنية الاخوين يوم تركتهم   متوسّدين وسايدا من جندل

ومن القيروان الى مدينة جلولا اربعة وعشرون ميلا وبجلولا اثار

وابراج فايمة للاول وابار عذبة وخرايب وجد بيها بعض الرعاة تاج ذهب بجوهرة باخذه منه ابن الاندلسى وبفرب جلولا منتزه يعرف بسردانية ليس بافريفية موضع اجمل منه وبه ثمار عظيمة وبيه من النارنج خاصة نحو الف اصل وجلولا مدينة لها حصن وهى مدينة اولية فديمة مبنية بالصخر وبيها عين ثرّة فى وسطها وهى كثيرة الاشجار والثمار واكثر رياحينها الياسمين وبطيب عسلها يضرب المثل لكثرة ياسمينها وجرس نحلها له وبها يربب اهل الفيروان السمسم بالياسمين للزنبف وبالورد والبنفسج وبها فصب السكر كثير ومنها كان يرد كل يوم الى الفيروان من احمال البواكه والبفول ما لا يحصى كثرة وحولها الجنات وفبايل ضريسة فى الفرارات وفتح مدينة جلولا كان على يدى عبد الملك بن مروان وذلك انه كان مع معوية بن حديج التجيبى فى جيشه فبعثه الى مدينة جلولا فى الف رجل فحاصرها اياما فلم يصنع شيًا فانصرف راجعا فلم يسر الا يسيرا حتى راى فى سافة الناس غبارا شديدا فظن ان العدو يتبعهم فكر جماعة من النـاس لذلك وبفى من بفى على مصافهم فاذا مدينة جلولا فد تسافط من سورها حايط فدخلها المسلمون وغنموا ما فيها فانصرف عبد الملك الى معوية بن حديج فاختلف الناس فى الغنيمة فكتب فى ذلك الى معوية فراجع يفول ان العسكر ردة للسرية ففسم الفىء بينهم فاصاب كل رجل منهم لنفسه مايتى درهم وللفرس سهمان فال عبد الملك فاخذت لنفسى ولفرسى ستماية درهم واشتريت بها جارية ويفال بل نازلها معوية بن حديج فكان يفاتلهم على باب المدينة صدر النهار فاذا مال الفىء انصرف يفاتلهم يوما فلما انصرف نسى عبد الملك فوسـه معلفة بشجرة فانصرف اليها فاذا جانب من المدينة فد انهدم فصـاح فى اثر

الناس فرجعوا فقد راوا غبرة شديدة فظنوا ان العدو قد ضرب في سافتهم فغنموها قالوا ولما كان من عبد الملك بن مروان ما كان ومنازعته لمعوية بن حديج على فسطاطها ثقل على معوية بن حديج فكان يتجهمه ولا يقبل عليه فراى حنش الصنعاني عبد الملك بن مروان وهو متفكر متغير اللون فقال له ما شانك فقال انى ابعد قريش مجلسا من الامير فقال له حنش لا تغتم فوالله لتلينّ الخلافة ولتصيرنّ هذا الامر اليك فلما افضت الخلافة الى عبد الملك وبعث الحجاج لقتال عبد الله بن الزبير اخذ حنشا الصنعاني اسيرا فبعث به الى عبد الملك فقال له الست الذى بشرنى بالخلافة قال بلى قال فلم ملت عنى الى ابن الزبير قال رايته يريد الله ورايتك تريد الدنيا فملت اليه فعفا عنه واطلقه ۞

۞ ومن الغرايب بافريقية ببلاد كتامة منها ۞

قال ابو جعفر احمد بن محمد بن ابى خلد المتطبب وقد ذكر الماء الذى يجرى في الاشهر الحرم خاصة ان عندنا بالمغرب ببلاد كتامة عين الاوقات معلومة انما يجرى ماؤها خمس مرات في اليوم والليلة في اوقات الصلوات الخمس وتنقطع ما بين ذلك وقد ذكرنا موضع هذه العين عند ذكر المراسى بعد هذا وقد حدث جماعة ممن قصد اليها وراها ووقف عليها بمثل ذلك وببلاد كتامة حجر اللازورد الجيد ومعادن النحاس والحديد وكانت بكنيسة شقنارية في سلطان الروم الاعجوبة مرءاة كانت اذا اتهم الرجل امراته نظر في تلك المرءاة فيرى وجه المبتلى بها وكانت البربر قد تنصرت فكان منهم بربرى قد اظهر اجتهادا في النصرانية حتى صار شمّاسا واتّهم رجل من الروم امراته فنظر في المرءاة فاذا بوجه

البربرى الشماس فدعا به الملك فقطع انفه ومثل به وطرده من الكنيسة فطرق فومه المرءاة فكسورها وارسل الملك الى حبهم باستنباحه ۞ ومن القيروان الى مدينة سوسة ستة وثلاثون ميلا قد احاط بها البحر من ثلاث نواح الشمال والجنوب والشرق وسورها صخر منيع حصين متقن البناء يضرب فيه البحر ويدخل الى دورها من قنى من الجهة الشرقية وفى ركن مدينة سوسة الذى بين المغرب والقبلة منار عال يعرف بمنار خلف الفتى وبها ثمانية ابواب احدها باب كبير جدا شرقى دار تعرف بدار الصناعة منها تدخل المراكب وتخرج ولمدينة سوسة بابان غربيان يقابلان الملعب والملعب بنيان عظيم للاول اقباء مرتفعة واسعة معقودة بحجر النشفة الخفيف الذى يطفو على الماء المجلوب من بركان صقلية وحوله اقباء كثيرة بعضها بعضها الى بعض وحول مدينة سوسة اثار عظيمة للاول وبنيان سوسة كلها بالحجر المحكم وبسوسة اسواق كثيرة وهى مخصوصة بكثرة الامتعة والثمر ولحم سوسة اطيب اللحوم وهى رخيصة الاسعار والفواكه كثيرة الخير وهى قديمة البناء وكان معوية ابن حديج قد بعث اليها عبد الله بن الزبير فى جمع كثيف وكان بلغه ان نقفور بطريقا من بطارقة الروم انفذه ملكهم فى ثلاثين الف مقاتل فنزل بذلك الساحل فسار عبد الله حتى نزل شرفا عاليا ينظر منه الى البحر بينه وبين سوسة اثنا عشر ميلا فلما بلغ ذلك نقفور رجع الى مراكبه وصدر عن ذلك الساحل فركب عبد الله بن الزبير فى جيشه حتى بلغ البحر ونزل على باب مدينة سوسة وانحط عن فرسه وصلى بالناس صلاة العصر والروم يتعجبون من امره وقلة اكتراثه بهم فاخرجوا اليه جمعا منهم كثيرا من كماتهم رجالا وركبانا فزحفوا اليه وهو مقبل على صلاته لا يروعه ذلك ولا يهوّله

حتى اذا قضى صلاته شد على فرسه فركبه وحمل عليهم فانكشفوا عنه فهزمهم وولوا ادبارهم حتى لجوا الى مدينتهم وانصرف عنهم ۞ ومدينة سوسة ممتنعة على من رامها قد جُبل على الشدة والباس اهلها وحاصرها ابو يزيد مخلد شهورا ثم انهزم عنها وكان عليها في ثمانين الف حصان وفي ذلك يقول سهـــل بن ابراهيم الورّاق

ان الخوارج صدّها عن سوسة　　منّـــا طعان السمر والاقدامُ
وجِلاد اسبـــاب تطاير بينها　　في النقع دون المحصنات الهام

وقال احمد بن بلح السوسي

المرّ بسوســـة وبغى عليها　　ولاكـــن الالاه لهـــا نصيرُ
مدينة سوســة للغرب ثغر　　تدين لهـا المداين والقصور
لقد لُعن الذين بغوا عليها　　كما لعنت قريظـة والنضير
اعزّ الدين خالقُ كل شيء　　بسوسة بعد ما التوت الامور
ولولا سوســة لَدَهَتْ دواهٍ　　يشيب لهولها الطفل الصغير
سيبلغ ذكر سوسة كل ارض　　ويعشى اهلَها العدد الكثيرُ

والخروج من سوسة الى القيروان على الباب القبـــلي المعروف بباب القيروان ومقبرة سوسة عن يمين هذا الطريق وكان زيادة الله بنى سورها وكان يقول ۞ ما ابالي ما قُدّمتُ عليه يوم القيامة وفي صحيفتي اربع حسنات بنياني مسجد الجامع بالقيروان وبنياني قنطرة الربيع وبنياني حصن مدينة سوســة وتوليتي احمد بن ابي محرز قضاء افريقية ۞ وخـــارج مدينة سوســـة محارس وروابط ومجامع للصالحين وداخلها محرس عظيم كالمدينة مسور بسور متقن يعرف بمحرس الرباط هـو ماوى للاخيـــار والصالحين داخله حصن ثاني يسمى القصبة وهو بجوفي المدينة متصل بدار الصناعة بسفح الجبل الذي هي في سنده شرقي واعلى المدينة غربي ومدينة سوسة في سند

عال ترى دورها من البحر ووراء سورها هناك هيكل عظيم يسمونه البحريون الفنطاس وهـــو اول ما يرون من البحـر اذا قصدوا من صقلية وغيرها ولهذا الهيكل اربعـة ادراج يصعد من كل واحد منها الى اعلاه وهو هيكل واسع بين بابه الذى يدخل منه والثانى الذى يخرج منه مسافة طويلة وللحياكة بسوسة كثيرة ويغزل بها غزل يباع زنة المثقال منه بمثاقيل من ذهب وبسوسة تقصر ثياب القيروان الرفيعة وجباية ساحل القيروان سوسة والمهدية وسفاقس وتونس لبيت المال خـاصة غير الدخل والخرج الذى لغير بيت المال ثمانون الف مثقال ومن محارس سوسة المذكورة محرس المنستير الذى جاء فيه الاثر المتقدم الذكر ويذكر ان الذى بنى القصر الكبير بالمنستير هرثمة بن اعين سنة ثمـانين ومائة وله فى يوم عاشورا موسم عظيم ومجمع كثير وبالمنستير البيوت والحجر والطواحين الفارسيـــة ومواجل المـــاء وهو حصن عالى البنـا متقن العمل وفى الطبقة الثانية منه مسجد لا يخلو من شيخ خير فاضل يكون مدار القوم عليه وفيه جماعة من الصالحين والمرابطين قد حبسوا انفسهم فيه منفردين دون الاهل والعشاير وقال محمد بن يوسف هو قصر كبير عال داخله ربض واسع وفى وسط الربض حصن ثان كبير كثير المساكن والمساجد والقصاب العالية طبقات بعضها فوق بعض وفى القبلة منه صحن فسيح فيه قباب عالية متقنة ينزل حولها النساء المرابطات تعرف بقباب جامع وبها جامع متقن البناء وهو ازاج معقودة كلها وافنيته لا خشب فيهـا ولها حمامات كثيرة وكان اهل القيروان يخرجـــون اليهم بالاموال والصدقات الجزلة وبقرب المنستير ملاحة عظيمة تشحن فيها السفن بالملح الى البلاد وبقربه محارس خمسة متقنة البناء معمورة بالصالحين ۞

ومن الفيروان الى مدينة تونس ماية ميل وهى ثلاث مراحل فالى فندق شكل مرحلة والى منستير عثمان مرحلة والى الفيروان مرحلة وطريق اخرى الى منزل باشوا الى الدواميس الى الفيروان ودور مدينة تونس اربعة وعشرون الف ذراع وفى سنة اربع عشرة وماية بنى عبيد الله بن الحجاب الجامع ودار الصناعة بمدينة تونس واهلها موصوفون بدناءة النفوس واسم مدينة تونس فى الاول ترشيش ويفال لبحرها بحر رادس وكذلك يسمى مرساها مرسى رادس وافتتحها حسان بن النعمان بن عدى بن بكر بن مغيث ابن عمرو مزيفياء بن عامر الازدى وروى جماعة عن ابى المهاجر فال سار حسان بن النعمان الى ارطة ففاتل الروم بحصن تونس فساله الروم الا يدخل عليهم وان يضع الخراج عليهم ويفوموا له بما يحمله واصحابه فاجابهم الى ذلك وكانت لهم سفن معدة من ناحية الباب الذى يفال له باب النساء فاحتملوا فيها اهليهم واموالهم وهربوا ليلا واسلموا المدينة فدخلها حسان فحرق وخرب وبنى فيها مسجدا وبفى هناك طايفة من المسلمين وكذلك كان مكر صاحب فرطاجنة ايضا بحسان بن النعمان فان الروم لما فروا عنها وبفى فيها مرنان صاحبها ليس معه الا اهله بعث الى حسان هل لك ان تعاهدنى وولدى وتفطع لى فطايع اشترطها عليك وافتح لك بابا فتدخل المدينة على من فيها فاجابه الى مسئلته فاشترط عليه المنازل التى بين الجبلين التى يفال لها فحص مرنان وهى اذذاك ثلاث ماية وستون فرية ثم فتح لهم الباب فلم يجد بها احدا غيره وغير ولده واهله فتم له حسان ما اشترطه وانصرف الى الفيروان فال واغارت الروم من البحر على من كان بفى من المسلمين بمدينة تونس خرجت اليهم فى المراكب ففتلوا من

بها وسبوا وغنموا ولم يكن للمسلمين شيء يحصّنهم من عدوهم انما كانوا معسكرين هناك وبلغ حسان ذلك فرحل الى تونس وارسل اربعين رجلا من اشراف العرب الى عبد الملك بن مروان وكتب اليه بما نال المسلمين من البلاء واقام هناك مرابطا ينتظر راى عبد الملك فلما بلغ ذلك عبد الملك عظم عليه وكان اذذاك التابعون متوافرين فيهم اثنان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انس ابن ملك وزيد بن ثابت فقالا للمسلمين من رابط برادس يوما فله الجنة حتما وقالا لعبد الملك امدّ هذه البلاد وانصر اهلها ليامنوا من العدو ويكون لك ثوابها واجرها فانها من البلدان المقدسة المرحوم اهلها وهي حرس لمقدونية يريدون القيروان وروى ان بحر رادس خرق الخضر عليه السلام السفينة وان الملك الذى كان ياخذ كل سفينة غصبا الجلندى ملك قرطاجنة فخرق الخضر السفينة ببحر رادس وقتل الغلام بطنبذ وهي اليوم تسمى المحمدية وهناك فارق موسى الخضر عليهما السلام وطنبذ على اميال يسيرة من تونس وكتب عبد الملك بن مروان الى اخيه عبد العزيز وهو والى مصر ان يوجه الى معسكر تونس الف قبطى باهله وولده وان يحملهم من مصر ويحسن عونهم حتى يصلوا الى ترشيش وهي تونس وكتب الى ابن النعمان يامره ان يبنى لهم دار صناعة تكون قوة وعدة للمسلمين الى اخر الدهر وان يجعل على البربر جر الخشب لانشاء المراكب ليكون ذلك جاريا عليهم الى اخر الدهر وان يصنع بها المراكب ويجاهد الروم في البر والبحر وان يغار منها على ساحل الروم فيشتغلوا عن القيروان نظرا للمسلمين وتحصينا لشانهم فوصل القبط الى حسان وهو مقيم بتونس فاجرا البحر من مرسى رادس الى دار الصناعة وجر البربر الخشب وجعل فيها المراكب الكثيرة

وامر الفبط بعمارتها ۞ وبشرق مدينة تونس بحيرة كبيرة دورها اربعة وعشرون ميلا ق وسطها جزيرة تسمى شكلة مقدار ميلين تنبت الكلخ وبها اثار قصر خرب بصارت دار صناعة تونس متصلة بالمينى والمينى متصل بالبحيرة والبحيرة متصلة بالبحر وعلى شاطى المينى مسجد يعرف بمسجد عبد الله وبقبلى المينى قصر مبنى بالحجـــارة متقن البناء وفي الجوف منه حايط ضخم كالسور بصـــار المدخل بالسفن في هذا المينى بين حايط القصر وهذا السور وتعرض بينهما سلسلة حديد تمنع المراكب من الدخول والخروج مـــا دامت متعرضة وهذا القصر يعرف بقصر السلسلة وبقبلى القصر صهريجان كان ملوك بنى الاغلب يرسلون فيهما ماء البحر ويملونهما بالسمك وقد تقدم ان عبيد الله بن الحبحاب بنى دار الصناعة فلعل من روى ذلك يريد ان عبيد الله جددها وزادها تحصينا فـــلم تزل تونس معمورة من يومئذ يغزو منها المسلمون بلاد الروم ويكثرون فيهم النكاية ولهم الاذاية ومدينة تونس في سفح جبل يعرف بجبل ام عمرو ويدور بمدينتها خندق حصين ولها خمسة ابواب باب الجزيرة قبلى ينسب الى جزيرة شريك ويخرج منه الى القيروان ويقابله الجبل المعروف بجبل التوبة وهو جبل عال لاينبت شيئًا في اعلاه قصر مبنى مشرف على البحر وبشرقى هذا القصر غـــار تحتّ الباب يسمى المعشوق وبالغربى منه عين ماء وبغربى هذا الجبل جبل يعرف بجبل الصيادة فيه قرى كثيرة الزيتون والثمار والمزارع وفي هذا الجبل سبعة مواجل للماء اقباء على غرار واحد وبغـربى هذا الجبل ايضا اشراف مزارع متصلة بموضع يعرف بالملعب فيـــه قصر لبنى الاغلب قد غرس بجميع الثمـــار واصناف الرياحين وبشرقى مدينة تونس المينى والبحيرة التى ذكرنا وسبخة وبشرقيها ايضا

باب فرطاجنة دونه داخل الخندق بساتين كثيرة وابار سوانى تعرف بسوانى المرج وباب السقّايين جوفى نسب الى السقايين لان بيرا تعرف ببير ابى القعار تقابله وهى بير كبيرة غزيرة عذبة الماء نميرة وهناك قصور لبنى الاغلب وبساتين فيها اصناف الثمار والرياحين ويتصل بها جبل اجرد يقال له جبل ابى خفاجة فى اعلاه اثار بنيان وباب ارطة غربى تجاوره مقبرة تعرف بمقبرة سوق الاحد ودون الباب من داخل الخندق غدير كبير يعرف بغدير الحجّامين وربض المرضى خارج عن المدينة وبقبلى ربض المرضى ملاحة كبيرة منها ملحهم وملح من يجاورهم وجامع مدينة تونس رفيع البناء مطلّ على البحر ينظر الجالس فيه الى جميع جواريه ويرقا الى الجامع من جهة الشرق على اثنتى عشرة درجة وبها اسواق كثيرة ومتاجر عجيبة وبمدينة تونس خمسة عشر حماما وفنادق كثيرة رفيعة وعضادات ابواب دور مدينة تونس كلها رخام بديع لوحان قايمان وثالث معترض عليهما مكان العتبة ومن امثالهم ۞ دور تونس ابوابها رخام وداخلها سخام ۞ ومدينة تونس دار علم وفقه ولى منها قضاء افريقية جماعة كثيرة ومع هذا الفضل الذى فيها فهى مخصوصة بالقيام على الامراء والخلاف للولاة خالفت نحو عشرين مرة وامتحن اهلها ايام ابى يزيد بالقتل والسبى وذهاب الاموال

وقال الجرى صاحب الحدثان

فويل لترشيش وويل لاهلها   من الحبشى الاسود المتعاضب

وقال بعض الشعراء

لعمرك ما ألفيتُ تُونس كاسمها   ولكننى ألفيتها وهى تُوحِش

ويصنع بتونس انية للماء من الخزف تعرف بالريحية شديدة البياض فى نهاية الرقة تكاد تشف ليس يعلم لها نظير فى جميع الاقطار وعامة

الامصار ومدينة تونس من اشرف مداين افريقية واطيبها ثمرة وانفسها فاكهة فمن ذلك اللوز الفريك يفرك بعضه بعضا من رقة قشره ويحت باليد واكثره حبتان في كل لوز مع طيب المضغة وعظم الحبة والرمان الضعيف لا عجم لحبه البته مع صدق الحلاوة وكثرة المائية والاترج الجليل الطيب الطعم الذكي الرايحة البديع المنظر والتين الخارى اسود كبير رقيق القشر كثير العسل لا يكاد يوجد له بزر والسفرجل المتناهي كبرا وطيبا وعطرا والعناب الرفيع في قدر الجوز والبصل القلورى في خلق الاترج مستطيل سابري القشر صادق الحلاوة كثير الماء وبها من اجناس الحوت الذى لا يكون مثله في غيرها ما لا يحصى كثرة اجناس تجرى في البحر مع شهور العجم في كل شهر من تلك الشهور يجرى فيه جنس منه لا يوجد في البحر الى دخول ذلك الشهر من العام القابل فهم من تجددها في لذة موصولة ونعمة غير مملولة وكل جنس منها يُصيَّر ويبقى السنين صحيح الجرم طيب الطعم منها جنس يعرف بالعبانى وجنس يعرف بالاكتوبرى وجنس يعرف بالاشبارس وجنس يعرف بالمنكوس وجنس يعرف بالبقونس ومن امثالهم ۞ لولا البقونس لم يخالف اهل تونس ۞ وفي الطريق بينها وبين القيروان منزل يقال له مجقّة اذا كان اوان طيب الزيتون بالساحل قصدته الزرازر فباتت فيه وقد حمل كل طاير منها زيتونتين في مخلبيه فيلقى الزيتون هناك وله غلة عظيمة تبلغ سبعين الف درهم ۞ ومن مدينة تونس الى قرطاجنّة اثنا عشر ميلا ويقال ان الذى بنى قرطاجنة ديدون الملك زمن داود عليه السلام ويقال ان بين بناء قرطاجنة وبناء مدينة رومية اثنتان وسبعون سنة ولو دخلها الداخل ايام عمره وتدبر فيها لراى فيها كل يوم مستانف اعجوبة

لم يرها في السالف وهي على شاطى البحر يصبب سورهـا امواجه وكان تكسير سورها اربعة عشر الف ذراع وقال ابو جعفر احمد بن ابراهيم المتطبب القيروانى في معازى افريقية ان موسى بن نصير لما دخل الاندلس فاتى على ما اراد منها قال لهم دلّونى على اسنّ شيخ فيكم فاتى بشيخ قد وقعت حاجباه عن عينيه من الكبر فقال له موسى من ابن انت يا شيخ قال من قرطاجنة افريقية فقال له موسى فما الذى اصارك هنا وكيف كان خبر قرطاجنة قال له الشيخ ان قرطاجنة بناها قوم من بقية العاديين الذين هلك قومهم بالريح فبقيت بعدهم خرابا الف سنة حتى بناها اردمين بن لاودين بن نمرود الجبار وجلب اليها الماء العذب من دلالا تحفرله في الجبال وبنا القناطر في بطون الاودية حتى استوى جرى الماء فيها بعد عمل اربعين سنة قال ولما حُفر اســاس تلك القنـاطر في طول الاودية اصيب فيه حجر عليه كتابة فاذا فيه ان هذه المدينة ليس تخرب الا اذا ظهر فيهـا الملح قال الشيخ فبينا نحــن ذات يوم في مجرى قرطاجنة جلوس اذا بملح على حجر فعند ذلك رحلت الى هنا وكان سبب خراب قرطاجنة ان انبيل ملك افريقية وكـانت قرطاجنة دار ملكه مضى الى بلد ايطاليــة الذى فيه مدينة رومية ولاقى قوّاد رومية وكان اهل رومية يومئذ لا ملك لهم انما كان تدبير مملكتهم الى سبعين رجلا من كبرائهم يخرجـون من انفسهـم كل عام اثنى عشر فابدا يقرعون بينهم على نواحيها فيخرج كل واحد الى الناحية التى وقعت عليهـا قرعته فهزمهم انبيل وقتلهم في عدة مواطن حتى بعــث الى افريقية بثلاثة امداء من خـواتم الذهب التى كانت في أيدى اشراف من قتــل منهم وملوكـهم وكتب اليهم ۞ هـذا عدة من قتلته من الاشراف والقواد فضلا

عن غيرهم ۞ فأقام في بلاد ايطالية محاربا لمدينة رومية ومضيقا على نواحيها نحو من ستة عشر سنة فركب قايد من قوادهم يقـــال له شبيون المراكب خفية حتى اتى صقلية فحشر من اجتمع له بها ثم مضى الى بلد افريقية وترك انبيل محاصرا لبلد رومية فنُصر على الافريقيين وعم بلد افريقية قتلا وسبيا واحراقا وبقى محـــاصرا لقرطاجنة فبعث اهلها الى اميرهم انبيل يعلمونه بما دهمهم من اهل رومية ويسئلونه الاسراع لغياثهم فعجب عند ذلك انبيل وقال انى كنت ارى ان التزام محاصرة هذه المدينة يقطع اسم الرومـانيين من الدنيا فاظنّ ان اله السماء لا ياذن بذلك ثم ركـب المـراكب واسرع الرجوع الى افريقية فزحف اليه شبيون قايد الرومـانيين فهزمه في كل مشهد فجعل انبيل يخاطبه ويقول اين كـنتم معشر الرومانيين من هذه النجدة اذ كنا نقاتلكم ونهزمكم في افنيتكـم فقال له شبيون اذ كنتم في بلدنا قد بعد عنكم بلدكم وحصونكم ونحن في حصوننا وبلدنا كنّا اشدّ منكم خورا وكـنتم اشد منـا استثباتا فلما صرنا في بلدكم انتقل الامر وتبدل الحكم فغلب عند ذلك اهل رومية على اهل افريقية وهدموا مدينة قرطاجنـــة ۞ واعجب ما بقرطاجنة دار الملعب وهم يسمونها الطياطر قـد بنيـت اقواســا على سوارى وعليها مثلها مـــا احاط بالدار وفيه صور في حيطانها جميع الحيوان وصور اصحاب جميع الصناعات وجعلت فيه صور الرياح فجعل صورة الصبا وجهه مستبشر وصورة الدبور وجهه عابس ورخام قرطاجنة لو اجتمع اهل افريقية على نقله واستخراج جميعه ما امكنهم ذلك لكثرته وفيهـا قصـــر يعرف بالمعلقة مفرط العظم والعلو اقباء معقودة طبقات كثيرة مطل على البحر في غربيه قصر يعرف بالطياطر وهو الذى فيه دار الملعب المذكورة وهـو كثير

الابواب والتراوح وهو ايضا طبقات على كل باب صورة حيوان رخام وصور جميع الصناع وقصر يقال له قومش طبقات كثيرة ايضا في سوارى رخام معرقة الكبر والعظم يتربع على راس السارية منها اثنا عشر رجلا وبينهم سفرة طعام او شراب وهي مشطّبة كالثلج بياضا والمهاة صفاء بعض تلك السوارى قايمة وبعضها ساقطة وبها سرّ عظيم لا يدرك الطرف اخره فيه سبعة مواجل للماء كبار تعرف بمواجل الشياطين فيها ماء قديم لا يدرى متى دخلها وبقرب قصر قومش تجس اقباء بعضها فوق بعض مظلم مهيب الدخول فيه جثث الموتى على حالهم الى اليوم فاذا مسّوا تلاشوا وداخل المدينة مينى كانت المراكب تدخلها بشرعها وهي اليوم ملاحة عليها قصر ورباط يعرف ببرج ابي سليمان وفي وسط المدينة صهريج كبير حوله في وقتنا هذا الف وسبع ماية حنية قايمة سوى ما انهدم منها وكان يجرى الى هذا المصنع الماء المجلوب من عين جفار الى قرطاجنة على مسيرة ايام في قناة عظيمة تغيب مرة تحت الارض وتكون في موضع اخر في قناطر فوق قناطر حتى تساوى السحاب ومن عين جفار كان عبيد الله الشيعي يشرب الماء يرد عليه كل يوم منه احمال معروفة وبقرطاجنة قصران من رخام يعرفان بالاختين ليس فيهما حجر سواه محكم البناء رخامه كله مدخل بعضه في بعض وبهذين القصرين ماء مجلوب ياتي من قبل الجوف لا يعرف من اين منبعثه يصب في البحر وعليه نواعير لقرى قرطاجنة وبها سوارى قايمة طول الظاهر فوق الارض منها اربعون ذراعا قد عقد عليه قبو من حجر النشفة وهو الحجر الخفيف الذى يطفو فوق الماء وبها قبة لا يلحقها الرامى باشدّ نزع السهام علوا وسموا ولها سطح مفروش بالفُسَيْفِساء خمسون ذراعا في مثلها وخرايب قرطاجنة

اليوم فرى ربيعة مبيدة عامرة واصناب ثمارها متناهية ي الطيب لا يكاد يرى ما يبضلها ۞ وروى الثقات عن عبد الرحمان بن زياد ابن انعم قال كنت انا وغلام مع عمى بقرطاجنة نمشى ي اثارها ونعتبر بعجايبها باذا بقبر مكتوب عليه بالحميرية انا عبد الله بن الاواش رسولُ رسول الله صالح ۞ وي رواية اخرى ۞ معتّب بعثنى الى اهل هذه القرية ادعوهم الى الله اتيتهم ضحا بقتلونى ظلمـا حسيبهم الله ۞ وقال اتحف بن عبد الملك الملشونى لم يدخل افريقية نبى قط واول من دخلها بالايمان حوارى عيسى بن مريم عليهما السلام ۞ وبيما بين مدينة سوسة ومدينة تونس جزيرة شريك تنسب الى شريك العبسى كان عاملا عليها وامّ اقليم جزيرة شريك منزل باشوا وهي مدينة كبيرة اهلة بها جامع وحمامات وثلاث رحاب واسواق عامرة وبها قصر احمد بن عيسى القايم على ابن الاغلب وبجزيرة شريك اجتمعت الروم بعد دخول عبد الله بن سعد بن ابى سرح المغرب وتبادروا منها الى مدينة اقليبية وما حولها ثم ركبوا منها الى جزيرة قوسرة وهي بين صقلية وافريقية وكانت اذ ذاك عامرة بيقال انهم اقاموا بها الى خلافة عبد الملك ابن مروان باغزى عبد الملك بن مروان عبد الملك بن قطن ي البحر بفتح ما كان هنالك من الجزاير والقصور خربها وفعل ظابرا ۞ ومن تونس الى منزل باشوا هذا مرحلة بينهما قرى كبيرة اهلة كثيرة وحامة جليلة مجرّبة النفع ثم من باشوا الى قرية الدواميس مرحلة وهي قرية كبيرة اهلة كثيرة الزيتون والشجر بينهما قصر الزيت ووادى الدمنة وقندن ريحان ووادى الرمّـان ومن قرية الدواميس الى القيروان مرحلة بينهما قصور ومنازل وقرى وبحذاء جزيرة شريك ي البر نحو الجنوب جبل زغوان وهو جبل منيف

مشرف يسمى كلب الزفان لظهوره وعلوه واستدلال المسافرين به
اين مـا توجهوا فانه يرى على مسيرة الايام الكثيرة ولعلوه ترى
السحاب دونه وكثيرا ما يمطر صفحه ولا يمطر اعلاه واهل افريقية
يقولون لمن يستثقلونه من الناس ۞ هو اثقل من جبـل زغـوان
واثقل من جبل الرصاص ۞ وهو على تونس وقال الشـاعر يخاطب
حمامه ارسلها بكتاب من القيروان الى تونس

وفي زغوان فاستعلي علوّا ودانى في تعاليك السحـابا

وبزغوان قرى كثيرة اهلة كثيرة المياه والثمـار والبساتين منها
فندن شكل الحلة المعروفة وهي على مرحلة من تونس قرية كبيرة
اهلة ومنهـا قرية فلجنة كان ابو القاسم بن عبيد الله شـرع في
بنيانها واتخذها مدينة يسكنها الغريب السايل من هوّارة ونفوسة ۞
وهذا الجبل ماوى الصالحين وخيار المسلمين وبغربي جبل زغـوان
مدينة لربس بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة ايام وهي مدينـة
مسورة لها ربض كبير وبارضيها يكون اطيب الزعفران ويعرف ببلد
العنبر وبها صار ابراهيم بن ابي الاغلب حين خرج من القيروان
وفي سنة ست وتسعين ومايتين زحف اليها ابـو عبد الله الشيعي
ونازلها وبها جمهور اجناد افريقية مع ابراهيم ففر عنهـا ابن ابي
الاغلب في جماعة من القواد والجند الى اطرابلس ودخلهـا الشيعي
عنوة ولجا اهلها ومن بقي فيها من فل الجند الى جامعهـا وركب
بعض الناس بعضا فقتلهم الشيعي اجمعين حتى كانت تسيل الدماء
من ابواب المسجد كسيلان الماء بوابل الغيث وقيل انه قتل داخل
المسجد ثلاثين الفـا وذلك من وقت صلاة العصر الى اخر الليـل
وكانت ولاية بني الاغلب افريقية مایة سنـة واحدى عشرة سنة ۞
ومن مدينة لربس الى مدينة الانصاريين مسيرة يـوم نسبت الى

قوم نزلوها من الانصار من ولد جابر بن عبد الله وهي طيبة الارض كثيرة الريع وحنطتها اجل حنطة بافريقية ومن مدينة القيروان الى مدينة قفصة ثلاثة ايام وهي مدينة مبنية كلها على اساطين وطيقان رخام قد بنى خلالها بالصخر الجليل باحكم عمل ويذكر ان بانى هذا السور شنتيان غلام نمرود وقد زبر عليه اسمه وهو مقروء فيه الى اليوم وسورها كانما قد فرغ من عمله بالامس وداخل مدينة قفصة عينان نضّاختان ينبعان بنهرين خرّارين يسقيان بساتينها ومزروعاتها وفى داخل جامعها عين كبيرة مبنية بالصخر من بنيان الاول اربعون باعا فى مثلها وقفصة اكثر بلاد القيروان فستقا ومنها ينتشر بافريقية ويحمل الى مصر والاندلس وسجلماسة وبها تمر مثل بيض الحمام وهي تمير القيروان بانواع الفواكه والتمر وحولها اكثر من مايتى قصر عامرة اهلة تطرّد فيهـا وحواليها المياه تعرف بقصور قفصة وجباية قفصة خمسون الف دينار ومن قصور قفصة مدينة طران وهي فى منصف الطريق من قفصة الى فج الحمار وانت تريد القيروان ومدينة طران كبيرة اهلة بها جامع وسوق حافلة واليها ينسب الكساء الطرانى وهو من جهاز مصر وهي كثيرة الفستق وتسير من القيروان الى مدينة نفزاوة ستة ايام نحو الغرب ولمدينة نفزاوة عين تسمى بالبربرية تاورغى وهي عين كبيرة لا يدرك لها قعر ولمدينة نفزاوة سور صخر وطوب ولها ستة ابواب وبها جامع واسواق حافلة وهي على نهر كثير النخل والثمار وحواليها عيون كثيرة برقبليها مدينة اولية تعرف بالمدينة عليها سور وبها جامع وحمام وسوق وحولها عيون وبساتين وبين مدينة نفزاوة وقابس ثلاث مراحل وبينها وبين قفصة مرحلتان وهي على ثلاث مراحل من قيطون بياضة فمن قيطون بياضة الى مدينة

نفطة مرحلة الى مدينة توزر مرحلة الى مدينة نفزاوة مرحلة ومن نفزاوة تسير الى بلاد قسطيلية وبينهما ارض سوّاخة لا يهتدى للطريق فيها الا بخشب منصوبة وادلاء تلك الطريق بنو موليت لان هناك طواعينهم فان ضل احد يمينا او شمالا غرق فى ارض دهاس تشبه فى الرطوبة بالصابون وقد هلكت فيها العساكر والجماعات ممن دخلها ولم يدر امرها وتصل هذه الارض السواخة الى مدينة غدمس ۞ واما بلاد قسطيلية فان من مدنها توزر والحمّة ونفطة وتوزر هى امها وهى مدينة كبيرة عليها سور مبنى بالحجر والطوب ولها جامع محكم البناء واسواق كثيرة وحولها ارباض واسعة اهلة وهى مدينة حصينة لها اربعة ابواب كثيرة النخل والبساتين والثمار الا ان قصب السكر والموز لا يصلحان بها وحولها سواد عظيم من النخل وهى اكثر بلاد افريقية تمرا ويخرج منها فى اكثر الايام الف بعير موقورة تمرا وازيد شربها من ثلاثة انهار تخرج من رمال كالدرمك رقة وبياضا يسمى ذلك الموضع بلسانهم سرش وانما تنقسم هذه الثلاثة الانهار بعد اجتماع مياه تلك الرمال بموضع يسمى وادى الجمال يكون قعر النهر هناك نحو مايتى ذراع ثم ينقسم كل نهر من هذه الانهار الثلاثة على ستة جداول وتتشعب من تلك الجداول سواقى لاتحصى كثرة تجرى فى قنوات مبنية بالحجر على قسمة عدل لا يزيد بعضها على بعض شيًا كل ساقية سعة شبرين فى ارتفاع فتر يلزم كل من يسقى منها اربعة اقداس مثقال فى العام وبحساب ذلك فى الاكثر والاقل وهو ان يعمد الذى تكون له دولة السقى الى قدس فى اسفله ثقبة بمقدار ما يسدّها وتر قوس النداف فيملؤه بالماء ويعلقه ويسقى حايطه او بستانه من تلك الجداول حتى ينفد ماء القدس ثم يملوه ثانيا وهم قد علموا ان سقى اليوم

الكامل هو ماية واثنان وتسعون فدسا ولابعلم في بلد مثل اترجها جلالة وحلاوة وبها الترنجبين والخبطا والاملج وحباية فسطيلية مايتا الف دينار واهلها يستطيبون لحـــوم الكلاب ويسمنونهـا في بساتينهم ويطعمونها التمر وياكلونها واخبرني من ضاف منهم رجلا باطعمه لحما استطابه واستحسنه بساله عنه بفال له لحم جــــرو مسمن ۞ ولا يُعرب وراء فسطيلية عمران ولا حيوان الا العنك انما هي رمال وارضون سواخة وهم يخبرون ان فوما ارادوا معرفة ما وراء بلادهم باستعدوا الازواد وذهبوا في تلك الرمال اياما بلم يروا اثر العمران وهلك اكثرهم في تلك الرمال ۞

۞ الطريف من مدينة الفيروان الى فلعة ابي طويل ۞

وهي فلعة كبيرة ذات منعة وحصانة وتمصرت عند خراب الفيروان انتفل اليها اكثر اهل ابريفية وهي اليوم مفصد التجار وبها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وساير بلاد المغرب وهي اليوم مستفر مملكة صنهاجة وبهذه الفلعة كان احتصن ابو يزيد مخلد ابن كيداد من اسماعيل على ما نذكره في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله ۞ تخرج من الفيروان الى وادي الرمل اربعون ميلا وهي فرية زيتونها كثير ورمالها حمر ومنها الى سبيبة وهي مدينة اولية ذات انهار وثمار ومنها الى فلعة الديك فرية ومنها الى السكة فلعة جليلة وبها مجمع سوق ومنها الى مدينة مجانة المطاحن وهي مدينة فديمة وبها مفطع حجارة الارحى ليس على الارض مثله ومنها الى نهر ملّان نهر عظيم عليه اثار فديمة وفي الشرق منه مدينة تبسا وهي مدينة اولية فبها اثار للاول كثيرة وهي كثيرة الثمار والاشجار ومنها الى

قرية مسكيانة وهى على نهر وهذه المواضع كلها محلّاة باسم من ياتى بعد ان شاء الله ومنها الى مدينة باغاية وهى مدينة جليلة اولية ذات انهار وثمار ومزارع ومسارح وعلى مغربة منها جبل اوراس وهى المتصل بالسوس وبهذا الجبل قـام مخلد بن كيداد الزناتى ومن باغاية الى مدينة فاسـاس وهى مدينة قديمة على فهر وفى غربيها جبل شامخ ومنها الى قبر مادغوس وهوقبر مثل الجبل الضخم مبنى باجر رقيق قد خرن وبنى طبقانا صغارا وعقد بالرصاص وصورت فيه صور الحيوان من الاناسى وغيرهم وهـو مدرّج النواحى وفى اعلاه شجرة نابتة وقد اجمع على هدمه من سلف فلم يقدر على ذلك وفى الشرق من هذا القبر بحيرة مادغوس وهى مجمع لكل طاير وتسير من هناك الى بلزمة لمزاتة حصن اولى وهو فى بساط من الارض كثير المزارع والقرى وهى مدينة كثيرة الانهار والثمـار والمزارع وبشرقيها مدينة اللوز وتسير من نفاوس الى مدينة طبنة وهى مدينة كبيرة سورها اليوم من بناء المنصور ابى الدوانيق وهى مما افتتح موسى بن نصير فبلغ سبيها عشرين الفا وهرب ملكهم كَسِيلة وسورها مبنى بالطوب وبها قصر وارباض وداخل القصر جامع وصهريج كبير يقع فيه نهرها ومنه تسقى بساتينها ويقـال ان الذى بناهـا ابو جعفر عمر بن حفص المهلبى المعروف بهزارمرد يسكنهـــا العرب والعجم بينهم الاختلاف والحرب ويسكن حولها بنو زفراح وقال محمد بن يوسف ان قصـــر طبنة قديم اولى كبير جليـل مبـــنى بالصخر عليه ازاج كثيرة ينزله العمّال وهـــو ملاصق لسور المدينة من جهة القبلة عليه باب حديد ولمدينة طبنـــة من الابواب باب خاقان مبنى بالحجر عليه باب حديد وهـو سرىّ وباب الفتح غربى باب حديد ايضا وبينهما سماط يشقّ المدينة من الباب الى الباب

وباب نهوذا فبلى علبه باب حديد وهو سرى ايضا والباب الجديد حديد ايضا وباب كتامة جوفى وخارج المدينة بازاء باب الفتح سور مضروب على نحص فسيح نكون مقدار ثلثى مدينة طبنة بناه عمر بن حفص ويشق سكك المدينة جداول الماء العذب وبها اسوان كثيرة غير السماط المذكور ولها بساتين يسيرة ملاصقة للربض ومقبرتها بشرقيها وبغرب المقبرة غدير بعرب بغدير برغاس وهو يجرى فى مصلى العيد وليس من القيروان الى سجلماسة مدينة اكبر منها واسم نهرها بَبْطام واذا حمل سقى جميع بساتينها ومحوصها ويقول اهلها ۞ ببطام بيب الطعام ۞ لجودة زرعها واذا كانت الحرب بين العرب والمولدين استمد العرب بعرب مدينة نهوذا وسطيف واستمد المولدون باهل بسكرة وما والاها وقال احمد بن محمد المروذى فى قصة اسماعيل بن ابى القاسم

سرنا وقد حل بغرب طبنه
وصار منها اهلها فى محنه
فاعظم الله العزيز المنّه
وبُدّلوا من بعد نار جنّه

وفى زيدان يطل على مدينة طبنه واياه عنى ابو عبد الله الشيعى فى قوله

من كان مغتبطا بلين حشيّة   فحشيتى واريكتى سرجى
من كان يعجبه ويبهجه   نقرُ الدفوف ورنّة الصنج
فانا الذى لا شىء يعجبنى   الا افتحامى لجّة الرهج
سل عن جيوشى اذ طلعتُ بها   يوم الخميس ضحى من السبج

ومن طبنه الى مدينة مَقّرة وهو بلد كبير ذو ثمار وانهار ومزارع ومنها الى قلعة ابى طويل ۞ ومن ماغاية الى بلد بَسّكرة اربعة ايام

وبسكرة كورة فيها مدن كثيرة وقاعدتها بسكرة وهى مدينة كبيرة كثيرة النخل والزيتون واصناف الثمار وهى مدينة مسورة عليها خندق وبها جامع ومساجد كثيرة وحمامات وحواليها بساتين كثيرة وهى فى غابة كبيرة مقدار ستة اميال فيهــا اجناس التمور منها جنس يعرفونه بالكسبا وهو الصيحانى يضرب به المثل لفضله على غيره وجنس يعرف بالليارى ابيض املس كان عبيد الله الشيعى يامر عماله بالمنع من بيعه والتحظير عليه وبعث ما هنالك منه اليه واجناس كثيرة يطول ذكرها لايعدل بها غيرها وحول بسكرة ارباض خارجة عن الخندق المذكور وببسكرة علماء كثير واهلها على مذهب اهل المدينة ولها من الابواب باب المقبرة وباب الحمام وباب ثالث سكّانها المولدون وحولها من قبايل البربر سدراتة وبنو مغراوة اهل بيت بنى خرز وبنو يزمرتن وداخل مدينة بسكرة ابار كثيرة عذبة منها فى الجامع بير لاتنزف وداخل المدينة جنان يدخل اليه الماء من النهر وبها جبل ملح يقطع فيه الملح كالصخر الجليل ومنه كان عبيد الله الشيعى وبنوه يستعملون فى اطعمتهم وتعرف ببسكرة النخيل قال احمد بن محمد المروذى

ثــم انى بسكرة النخيل
قد اغتدى فى زيّه الجميل

ومن مدنها مدينة جَمونة ومدينة طولقة ومدينة مليلى ومدينة بنطيوس وهى من بنيان الاول وشرب بسكرة من نهر كبير يجرى فى جوفيها منحدر من جبل اوراس وقرية من قرى بسكرة تسمى ملشون منها ابو عبد الله الملشونى وابنه اتخف عالمان يحمل عنهما العلم سمع منهمــا ابو عبد الله بن ميمون ومقاتل وغيرهما اخبرنى احمد بن عمر بن انس قـال اخبرنى قاسم بن عبد العزيز ان ق

الطريق الى بسكرة جبل يعرف بزيعيزى فى وسطه كهف فيه رجل قتيل لم يغيره مر الزمان وتقادم الدهور تبض جراحه دما كانما قتل منذ يومين وتخبر الكافة انهم لايعلمون متى قتل قدما وقد نقله اهل تلك النواحى ودفنوه بافنيتهم تبركا به ثم لم ينشبوا ان وجدوه فى الكهف على حاله يحدث بذلك ثقات اهل تلك الناحية والله يفعل لما يشاء وقال محمد بن يوسف فى كتابه ان هذا القتيل فى شق جبـــل بشرقى عين اربان وهذه العين بين مدينة مرماجنة ومدينة سبيبة المذكورة ايضا وذكر انه كما ذبح من يومه وانه هناك من قبـــل فتوح افريقية ولم يذكر امر دفنه فالله اعلم بامره ۞

۞ وطريق اخر من القيروان الى قلعة ابى طويل ۞

من القيروان فى قرى وعمارات الى مدينة ابّة ثلاثة ايام وهى مدينة اولية يكون بها الزعفران الجيد وعلى ستة اميال منها مدينة لُرْبُس المذكورة قبل هذا ومن مدينة ابة الى نهر ملّان وهو نهر عظيم يسقى نواحى فحص بُـــل ومن نهر ملان الى مدينة تامَديت وهى مدينة فى مضيق بين جبلين فى سند وعر ولهـــا مزارع واسعة وحنطتها موصوفة ومنها الى مدينة تيفاش وهى مدينة اولية شامخة البناء وتسمى تيفاش الظالمة وفيها عيون ومزارع كثيرة وهى فى صفح جبل وفيها اثار للاول كثيرة ومنها الى قصر الافريقى وهى مدينة جامعة على شرف من الارض ذات مسارح ومزارع كثيرة ومنهـا الى واد يعرف بوادى الدنانير وهو واد خصيب ومنها الى مدينة تيجس وهى مدتنة اولية شامخة البناء كثيرة الكلاء والربيع ومنهـــا الى

مدينة توبوت على بلاد كتامة ويسمى هذا الطريق بالجناح الاخضر ومنها الى مدينة تابَسْلكى وهى صغيرة فى صبح جبل يسمى انـــف النسر ومنهـا الى النهريين وهى قرى كثيـرة فى فحص عريض وبساط من الارض ممتد ومنها الى مدينة تامسلْت وهى مدينة جليــلة للزرع والضرع ومنها الى مدينة دكّه وهى على نهر كبير ذات مزارع ومسارح ومنها الى مدينة الغدير تخرج منه عيون نهر سهر وهو نهر المسيلة وهو المعروف بالوادى الرئيس على ما نذكره بعد ان شاء الله ومنها الى قلعة ابى طويل ۞

۞ الطريق من القيروان الى مدينة بونه ۞

من القيروان الى جلولا كما تقدم ومنها الى اجّر ولها حصن وبهـا قنطرة وهـو موضع وهو كثير التجارة المتكاثد المسالك ماسده لاتكاد يخلو من اسد دايـم الريح العاصفه ولذلك يقولون ۞ اذا جئت اجّرْ فتحرّز فان فيه اسدا يفرى وحجرا يبرى وريحا تذرى ۞ وحول اجر قبايل من العرب ومن البربر ضريسة ومرنيسـة ومنها الى القمهين وهى قرية وبها سوق جامعة ومنها الى جزيرة ابى حمامة ومنها الى الانصاريين وقد تقدم ذكرها وبقرب هذا الموضع فحص بل وهو من اطيب ارض افريقية مزدرعا ومن جزيرة ابى حمـــامة خمس مراحل الى مدينة بونة فى قرى وعمارة ۞ اول المراحـل من مدينة بونه الى القيروان ۞ زانه خصوص وقرارات للبربر بها عيون ماء فى شعراء عظيمة شجرها كلها زان ومنها يجلب الى افريقية ومدينة بونه اولية وهى مدينة افشتين العـالم بدين النصرانية وهى على ساحل البحر فى نشز من الارض منيع مطل على مدينة سيــبوس

وتسمى اليوم مدينة زاوى وبينها وبين المدينة الحديثة نحو ثلاثة اميال ولها مساجد واسواق وحمام وهى ذات ثمر وزرع وقد سورت بونه الحديثة بعد الخمسين واربعماية وفى بونة الحديثة بير على ضفة البحر منقورة فى حجر صلد يسمى بير النثرة منها يشرب اكثر اهلها وبغربى هذه المدينة ماء سايح يسقى بساتين وهو مستنزه حسن ويطل على بونه جبل زغوغ وهو كثير الثلج والبرد ومن العجايب ان فيه مسجدا لا ينزل عليه شىء من ذلك الثلج وان عم الجبل كله ومدينة بونه برية بحرية كثيرة اللحم واللبن والحوت والعسل واكثر لحمانهم البقر الا انها يعم بها السوداء ويسقم البيضاء وحول بونه قبايل كثيرة من البربر مصمودة واورية وغيرها واكثر تجارها اندلسيون ومستخلص بونه غير جباية بيت المال عشرون الف دينار وبشرقى مدينة بونه مدينة مرسى الخرز فيه المرجان وهى مدينة قد احاط بها البحر الا مسلك لطيف ربما قطعه البحر فى الشتاء عليها سور وبها سوق عامرة وقد صنع بها مرفا للسفن منذ مدة قريبة وفى هذه المدينة تُنشا السفن والمراكب الحربية التى تغزى بها الى بلاد الروم والى هذه المدينة يقصد الغزاة من كل افق لان مقطعها يقرب من جزيرة سردانية بينهما نحو مجريين وبازاء مدينة مرسى الخرز بير وفية الماء تعرف ببير ازران يقول اهلها ۞ طعنة بمزران خير من شربة من بير ازران ۞ وهذه المدينة كثيرة الحيات فاسدة الهواء يمتاز اهلها من غيرهم بصفرة الوانهم ولا يكاد يخلو عنق احد منهم من تميمة وجباية هذه المدينة عشرة الاف دينار ۞

۞ الطريق من القيروان الى طبرقة ۞

من مدينة القيروان الى منستير عثمان ست مراحل وهى قرية كبيرة

اهلة بها جامع وفنادق كثيرة واسواق وحمامات وبير لا تنزف وقصر تلاول مبنى بالصخر والجير وارباب المنستير قوم من قريش من ولد الربيع بن سليمان وهو اختطها عند دخوله افريقية وبها عرب وبربر وافارق ومنها الى مدينة باجة ثلاث مراحل في قرى غير متصلة ومدينة باجة كبيرة كثيرة الانهار وهي على جبل يسمى عين الشمس في هيئة الطيلسان تطرد حواليها وفيها عيون الماء العذب ومن تلك العيون عين تعرف بعين الشمس هي تحت سور المدينة والباب هناك ينسب اليها ولها ابواب غير هذا وفي داخل الحصن عين اخرى عذبة غزيرة الماء وحصنها اولى مبنى بالصخر الجليل اتقن بناء ويقال انه من عهد عيسى عليه السلام ولها ربض كبير في شرقي الحصن وسور الحصن مما يلي الربض مهدوم وبها جامع متقن البناء قبلته سور المدينة وفيها خمسة حمامات ماؤها من العيون وفنادق كثيرة وبها ثلاث رحاب لبيع الاطعمة وعيون خارجها لا تحصى كثرة وهي دائمة الدجن والغيم كثيرة الامطار والانداء قل ما يصحى هواؤها وبها يضرب المثل في كثرة المطر ولها نهر من جهة الشرق جار من الجوف الى القبلة على ثلاثة اميال منها وحولها بساتين عظيمة تطرد فيها المياه وارضها سوداء متشققة يجود فيها جميع البزور وبها حمص وفول قل ما يرى مثله وتسمى هرى افريقية لريع زرعها وكثرة رفاعها وانها خصيبة لينة الاسعار امحلت البلاد او خصبت واذا كانت اسعار القيروان نازرة لم يكن للحنطة بها قيمة ربما اشترى وقر البعير من الحنطة بدرهمين ويردها كل يوم من الدواب والابل العدد العظيم الالف والاكثر لانتقال الميرة فلا يؤثر ذلك في سعرها لكثرة طعامهم ثم تسير منها مرحلة الى باسلي وهي قرارات للبربر ببلد ورداحة على

عيون عذبة ومن قرى باجة المغيرية قرية شريفة بها اثار عظيمة عجيبة للاول من كنايس قايمة البنيان محكمة العمل كانما رفعت عنها الايدى بالامس وكلها معروشة بالرخام المقنس يقف عليها من الغربان عدد لايحصى كثرة حتى يظن المرء ان غربان الارض قد تجمعت هناك ويزعمون ان بها طلسما وامتحن اهل مدينة باجة ايام ابى يزيد بالمقتل والسبى والحرق قال الراجز فى هجوه لابى يزيد

وبعدها باجة ايضـــا افسدا

واهلها اجلى ومنهـا شـــرّدا

وهدّم الاســوان والقصـــورا

والدور قد فتّــــش والقبورا

ولم يزل الناس يتنافسون فى ولاية باجة وكـــان المتداولون فيهـا لذلك بنـــو على بن حُميد الوزير فاذا عُزل منهم احـــد لم يزل يسعى ويتلطف ويهادى ويتاحف حتى يرجع اليها فقيل لبعضهم لم ترغبون فى ولاية باجة فقال لاربعة اشياء ۞ قمح عندة وسفرجل زانة وعنب بلطة وحوت درنة ۞ وبها حوت بورى ليس له فى الاعيان نظير يخرج من حوت واحد عشرة ارطال شحـــم اذا كـان من جلتها واكثر وكان يحمل الى عبيد الله حوتها فى العسل فيحفظه ويصل طريا ودُرْنة بين طبرقة وباجة ومنها الى مدينة طبرقة وهى على شاطى البحر وفيها اثار للاول وبنيان عجيب وهى عامرة لورود التجار فيها وبها نهر كبير تدخله السفن الكبار وتخرج فى بحر طبرقة وروى ان الكاهنة قتلت بطبرقة وبشرقى مدينـة طبرقة على مسيرة يوم وبعض اخر قلاع تسمى بقلاع بنزرت وهى حصون ياوى اليهـا اهل تلك الناحية اذا خرج الروم غزاة الى بلادهم فهى مفزع لهم وغوث وهى رباطات للصالحين وقال محمد بن يوسف فى ذكر الساحل

من طبرقة الى مرسى نوبس قفال ۞ مرسى القبة عليه مدينة بنزرت وهي مدينة على البحر يشقها نهر كبير كثير الحوت ويقع في البحر وعليها سور صخر وبها جامع واسواق وحمامات وبساتين وهي ارخص البلاد حوتا ۞ وافتتحها معوية بن حديج سنة احدى واربعين وكان معه عبد الملك بن مروان فشد عن الجيش فمر بامراة من العجم من اهل بنزرت فقرته واكرمت مثواه فشكر ذلك لها فلما ولى الخلافة كتب الى عامله بافريقية في المراة واهل بيتها فاحسن اليهم وظاهر النعم لديهم ۞ وتوالى هذه المراسى مذكور بعد هذا في موضعه ان شاء الله وعلى ساحل هذه القلاع بحيرة تنسب ايضا الى بنزرت يدخل اليها ماء البحر الكبير فيوجد فيها في شهر ما من السنة صنف من الحوت لايشبه غيره ولا يوجد هناك في غير ذلك الشهر وفي هذه البحيرة اعجوبة وهو ان الصياد فيه اذا اتاه التجار لشراء الحوت يقول لهم على اى شىء ارسل شبكتي فيتفق معهم على عدة معلومة فيأتى الصياد بحوت يقال انه انثى الصنف المعروف بالبورى فيرسلها في البحيرة ثم يتبعها بشبكته فيخرج العدة التى اتفقوا عليها لايكاد يخطىء وعلى مقربة من هذه البحيرة بحيرتان احداها حلوة والاخرى ملحة فيصب كل واحد منهما في الاخرى نصف العام على السواء فلا يتغير لواحدة منهما طعم وبغربى مدينة بونه بركة بينها وبين بونة مسيرة يوم طولها ثلاثة اميال في مثلها وفيها سمك جليل وفيها الطاير المعروف بالكيكل يعشش على ماء تلك البحيرة ويفرخ فيها فاذا احس بحيوان في البر دفع عش فراخه قدامه الى وسط البركة وهو الطاير الذى يسمى بمصر بالحواص يصنع من جلوده الفراء ويباع بالاثمان الغالية ۞

۞ الطريق من قلعه ابى طويل الى مدينه تنس ۞

تخرج من القلعة الى مدينة المسيلة وهى مدينه جليلة على نهر يسمى بنهر سَهْر اسسها ابو القاسم اسماعيل بن عبيد الله سنه ثلاث عشرة وثلاث مايه وكان المتولى لبنائها على بن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور الجذامى المعروف بابن الاندلسى واستعمله القائم عليها فلم يزل بها الى ان هلك فى فتنة ابى يزيد وبقى ابنه جعفر فيها وصار اميرا على الزاب كله الى ان خرج عنها فى سنة ستين وثلاث مايه على ما نحن ذاكروه فى موضعه ان شاء الله وهى مدينه فى بساط من الارض عليها سوران بينهما جدول ماء جار يستدير بالمدينه وله منافذ تسقى منها عند الحاجة وللمدينة اسواق وحمامات وحولها بساتين كثيرة ويجود عندهم القطن وهى كثيرة اللحم رخيصة السعر وبها عقارب مهلكة لا يتخلص من لسبها ويقرب منها جبل عجيسة وهوارة وبنى برزال ولهم كانت ارض المسيلة ويقبلى مدينه المسيلة موضع يعرف بالقباب فيه قباب من بنيان الاول وعلى مقربة منها مدينة للاول خربه يقال لها بشليقة فيها جدولان من ماء عذب جلبه الاول اليها يقال لها تارفا انوودى تفسيره ساقية السمن ۞ وقال احمد بن محمد المروذى يذكر نزول اسماعيل بالمسيلة والشيعة تسميها المحمدية

تم الى مدينة مرضيه — اسست على التقوى محمديه

اقبل حتى حلها محييه — بالنور من طلعته المضيه

حل فى عسكره المسيله — فى هيئة كاملة جميله

للنصر فى ارجائه مخيله — بنعمة من ذى العلى جليله

ونهر سهر الذى عليه مدينة المسيلة منبعثه من عيون داخل مدينة غدير وارّوا وهى مدينة كبيرة اولية بين جبال فيها عين

ثرة عذبة عليها الارحاء وعين اخرى وتحتهما عين خرارة يقال لها عين مخلد تجتمع فيها ومن هناك منبعث نهر سهر وبمدينة الغدير جامع واسواق عامرة وفواكه كثيرة وهي رخيصة الطعام واللحم وجميع الثمار فنطار عنب فيها بدرهم وسكانها هوارة يعتقدون في ستنن الفا ۞ وبشرقي مدينة الغدير قرية اولية يقال لها طرفلة لا تعدل بها قرية وهم يقولون ۞ طرفلة طرف من الجنة ۞ ومدينة الغدير ما بين سوق حمزة وطبنه وهي على مرحلتين من طبنة ۞ وتسير من مدينة المسيلة الى نهر يسمى جوزة ومن جوزة الى مدينة اشير وقال محمد بن يوسف ان الذى بنا اشير زيرى والدليل على ذلك ما انشده عبد الملك بن عيشون

يا ايها السايل عن غربنا — وعن محل الكفر ءاشير
عن دار فسق ظالم اهلها — قد شيدت للافك والزور
اسسها الملعون زيريها — فلعنة الله على زيرى

وهي جليلة حصينة يذكر انه ليس في تلك الاقطار احصن منها ولا ابعد متناولا ومراما ولا يوصل الى شيء منها بقتال الا من موضع يحميه عشرة رجال وهو في شرقيها الذى ينفذ الى عين مسعود وساير نواحيها تزلّ عنها العيون وتكيف الاقدام وهي مع ذلك بين جبال شامخة محيطة بها دايرة عليها وداخل مدينتها عينان ثرتان لا يبلغ لهما غور ولا يدرك قعر احداهما تعرف بعين سليمان والاخرى بعين تالانتيرغ والذى بنى سورها بالجيّن يوسف بن زيرى بن مناد الصنهاجي سنة سبع وستين وثلاث ماية وخربها يوسف بن حماد ابن زيرى واستباح اموالها وفضح حرمها وذلك بعد اربعين واربع ماية ثم تراجع الناس اليها بعد خمس وخمسين ۞ وتسير من مدينة اشير الى قرية تسمى سوق هوارة ومنها الى قرية تسمى سوق

كرام وهى على نهر شلف ومنها الى مدينة مليانة وهى مدينة
رومية فيها اثار وهى ذات اشجار وانهار تطحن عليها الارحاء جددها
زيرى بن مناد واسكنها ابنه بلجين وهى عامرة ومنها الى مدينة
الخضراء وهى مدينة جليلة كثيرة البساتين وهى على نهر اذا حمل
دخل بعضها ومنها الى مدينة قديمة مدينة دنى واربعين وهى
واسعة المسارح كثيرة الكلاء ومنها الى مدينة فارنة وهى مدينة
لطيفة ذات اعين كثيرة وهى فى سفح جبل ومنها الى مدينة
تنس بينها وبين البحر ميلان وهى مسورة حصينة داخلها قلعة
صغيرة صعبة المرتقى ينفرد بسكناها العمال لحصانتها وبها مسجد
جامع واسواق كثيرة وهى على نهر يسمى تناتين ياتيها من جبال
على مسيرة يوم ياتيها من القبلة ويستدير بها من جهة الجوب
والشرق ويريف فى البحر وبها حمامات وتنس هذه هى التى تسمى
تنس الحديثة وعلى البحر حصن يذكر اهل تنس انه كان القديم
المعمور قبل هذه الحديثة وتنس الحديثة اسسها وبناها البحريون
من اهل الاندلس منهم الكركنى وابو عايشة والصقر وصهيب
وغيرهم وذلك سنة اثنتين وستين ومايتين ويسكنها فريقان من
اهل الاندلس من اهل البيرة واهل تدمير واصحاب تنس من ولد
ابراهيم بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسين
ابن على وكان هولاء البحريون من اهل الاندلس يشتون هناك
اذا سافروا من الاندلس فى مرسى على ساحل البحر فتجمع اليهم
بربر ذلك القطر ورغبوا فى الانتقال الى قلعة تنس وسالوهم ان
يتخذوها سوقا ويجعلوها سكنى ووعدوهم بالعون والرفق وحسن
المجاورة والعشرة فاجابوهم الى ذلك وانتقلوا الى القلعة وخيموا بها
وانتقل اليهم من جاورهم من اهل الاندلس وغيرهم فلما دخل

عليهم الربيع اعتلوا واستوئوا الموضع فركب البحريون من اهـــل الاندلس مراكبهم واظهروا لمن بقى منهم انهم يمنارون فحينئذ نزلوا مرية بجّانة وتغلبوا عليها على ما يأتى ذكره ان شاء الله ثـم ان البافون فى تنس لم يزالوا فى تزيد ثروة وعدد ورحـل اليهـم اهل سوق ابراهيم وكانوا فى اربع ماية بيت فتوسع لهم اهل تنس فى منازلهم وشاركوهم فى اموالهم وتعاونـوا على البنيـان واتخذوا الحصن الذى فيها اليوم ولها بابان الى القبلة وباب البحر وباب ابن ناصح وباب للخوخة شرقى يخرج منه الى عين تعرف بعين عبد السلام ثرة عذبة وكيلهم يسمى الصحفة وهى ثمـــانية واربعون قادوسا والقادوس ثلاثة امداد بمد النبى صلى الله عليه وسلم ورطل اللحم بها سبع وستون اوقية ورطل سـاير الاشياء اثنتان وعشرون اوقية ووزن قيراطهم ثلث درهم عدلٍ بوزن قرطبة والجارى عندهم قيراط وربع درهم وصغل وحبّتان مضروبة كلها ودرهمهم اثنا عشر صغلية عددا وقال سعيد بن واشكَل التيهرتى فى علته التى مات منهـــا بتنس

نأى النوم عنى واضمحلّت عرى الصبر واصبحت عن دار الاحبّة فى اسر
واصبحت عن تيهرت فى دار معزل واسلمنى مرّ القضاء من القدر
الى تنـــس دار النحوس فانهـــا يساق اليها كل منتقض العمر
هــو الدهر والسيّان والماء حاكم وطالعها المنحوس صمصامة الدهر
بلاد بها البرغوث يحمل راجـــلا ويأوى اليها الذيب فى زمر الحشر
ويزحف فيها العـامّ فى كل ساعة بجيش من السودان تغلب بالوتر
ترى اهلهـــا صرعى دوى امّ ملدم يروحون فى سكر ويغدون فى سكر

وقال غيره

ايّها السايل عـــن ارض تنـــسْ مقعد اللـــوم المصفّى والدنسْ

بلدة لا ينزل القطر بها   للندى في اهلها حرف درس
فيحاء النطق في لا ابدا   وهم في نعم بكم خرس
فمتى تلم بها جاهلها   يرتحل عن ارضها قبل الغلس
وماؤها من قبح ما خصت به   نجس يجرى على ترب نجس
فمتى تلعن بلادا مرة   فاجعل اللعنة ذابا لتنس

فاما الطريق من تنس الى تبهرت خمس مراحل ۞

۞ الطريق من القيروان الى مرسى الزيتونة ۞

من القيروان الى مجانة على ما تقدم ومنها الى مدينة تيجس ومدينة تيجس عليها سور صخر رومى ولها ربض وبها اسواق وجامع وحمام وبها من قبايل البربر نفزة وورغروسة وبنو وتموا وكزناية وجزة من زناتة ثم تسير من مدينة تيجس الى مدينة قسنطينة وهي مدينة اولية كبيرة اهلة ذات حصانة ومنعة ليس يعرف احصن منها وهي على ثلاثة انهار عظام تجرى فيها السفن قد احاطت بها تخرج من عيون تعرف بعيون اشقار تفسيره سود وتقع هذه الانهار في خندق بعيد القعر متناهي البعد قد عقد في اسفله قنطرة على اربع حنايا ثم بنى عليها قنطرة ثانية ثم على الثانية قنطرة ثالثة من ثلاث حنايا ثم بنى فوقهن بيت ساوى حافتي الخندق يعبر عليه الى المدينة ويظهر الماء في قعر هذا الوادى من هذا البيت كالكوكب الصغير لعمقه وبعده ويسمى هذا البيت العبور لانه معلق في الهواء ويسكن قسنطينة قبايل شتى من اهل ميلة ونفزاوة وقسطيلية وهي لقبايل من كتامة وبها اسواق جامعة ومتاجر رابحة وبينها وبين مرسى سكدة مسيرة يوم ومن مدينة قسنطينة الى مدينة ميلة وفي سنة ثمان وسبعين

وثلاث مائة في شوال خرج المنصور من القيروان غازيا لكتامة فلما
قرب من مسيلة زحف اليها بانيا على اصطلام اهلها واستباحتهم
فخرج اليه النساء والعجائز والاطفال بعد ان عبّا جيوشه لمحاربتها
ونشر البنود وضرب الطبول فلما راى من خرج اليه منها بكى وامر
ان لا يقتل من اهلها احد وامر بهدم سورها وتسييرهم من فيها الى
مدينة باغاية فخرجوا بجماعتهم بريدونها وقد تحملوا ما خف
من امتعتهم فلقيهم ماكسن بن زيري بعسكره فاخذ جميع ما
معهم وبقيت مسيلة خرابا ثم عمرت بعد ذلك وعليها سور صخر
اليوم وحولها ربض وبها جامع واسواق وحمامات والمياه تطرد
حولها يسكنها العرب والجند والمولدون وهي من غرر مدن الزاب
ولمدينة مسيلة باب شرقي يعرف بباب الروس وعلى مقربة منه جامعها
وهو ملاصق لدار الامارة وباب جوفي يعرف بباب السعلى وبلده
داخل المدينة عين تعرف بعين ابي السباع مجلوبة تحت الارض من
جبل بني ياروت يشف منها سوقها سافية فاذا قل الماء في الصيف
اجريت يوم السبت والاحد من الجمعة لا غير ولها حمامات في
ربضها وبها عين تعرف بعين الحمى يرش منها على المحموم فيبرا
لبركتها وشدة بردها ثم تسير من مدينة مسيلة الى مرسى الزيتونة
وهو جبل جيجل ۞

۞ الطريق من مدينة اشير الى مرسى الدجاج ۞

تخرج من مدينة اشير الى شعبة وهي قرية ومنها الى مضيق بين
جبلين ثم يفضي الى فحص افيح تجمع فيه عروق عافر فرحا ومن
هذا الموضع تحمل الى الافاق وهناك مدينة تسمى حمزة نزلها

وبناها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسن بن على بن الحسن ابن على بن ابى طالب رضى الله عنهم والحسن بن سليمان هو الذى دخل المغرب وكان له من البنين حمزة هذا وعبد الله وابراهيم واحمد ومحمد والقاسم وكلهم اعقب وعقبهم هناك ونسير من حمزة الى بلياس وهى فى جبل عظيم ومن بلياس الى مرسى الدجاج ومدينة مرسى الدجاج قد احاط بها البحر من ثلاث نواح وقد ضرب بسور من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية ومن هناك يُدخل اليها واسواقها ومسجد جامعها داخل ذلك السور له باب واحد ولها مرفا غير مامون لضيقه وقرب قعره وبها عيون طيبة يسكنها الاندلسيون وقبايل من كتامة وبشرقيها مدينة بنى جنّاد وهى اصغر منها ۞ ومن اراد الطريق من القيروان الى مرسى الدجاج فانه ياخذ الى المسيلة على ما تقدم ثم الى اوزفور وهى عيـــن عذبة بارده عليها شجرة عظيمة وهذا اخر حد بلد صَنهاجة الى سوق ماكسن وهى مدينة على وادى شلف لصنهاجة عليها سور ولها عيون الى سوق حمزة وهى مدينة عليها سور وخندق وبها ابار عذبة وهى لصنهاجة وكانْ نزلها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين ابن على بن الحسن بن على الى بنى جناد وهى مدينة صغيرة على جبل بينها وبين البحر نحو ميل ومنها الى مرسى الدجاج ۞

۞ الطريق من مدينة اشير الى مدينة جزاير بنى مزغنى ۞

من اشير الى المديّة وهى بلد جليل قديم ومنها الى قزرونة وهى مدينة على نهر كبير عليه الارحا والبساتين ويقال لها متيجة ولها مزارع ومسارح وهى اكثر تلك النواحى كتّانا ومنها يحمل

وبها عيون سائحة وطواحين ماء ومنها الى مدينة ماغزر ومنها الى مدينة جزاير بنى مزغنى وهى مدينة جليلة قديمة البنيان بيها اثار للاول وازاج محكمة تدل على انهـا كانت دار مملكة لسالب الامم وصحن دار الملعب بيها قد برش بحجارة ملونة صغار مثل البسيبساء بيها صور الحيوان باحكم عمل وابدع صناعة لم يغيرها تقادم الزمان ولا تعاقب القرون ولها اسوان ومسجد جامع وكانت بمدينة بنى مزغنى كنيسة عظيمة بقى منهـا جدار مدير من الشرق الى الغرب وهو اليوم قبلة الشريعة للعيديين مبصص كثير النقوش والصور ومرساها مامون له عين عذبة يقصد اليـه اهل السبن من افريقية والاندلس وغيرها ومن اشير الى تامَغَلْت ثلاثون ميلا وهى مدينة مبنية فى سبح جبل على راس الصحراء ۞

۞ الطريق من القيروان الى تنس ۞

من القيروان الى مدينة الغُزّة على ما تقدم ثم منهـا الى مدينة تاجنة وهى مدينة سهلية اهلة عليهـا سور وبها جـامع سكانها برغجانة وحولها كزناية ومن مدينة تاجنة الى مدينة تنـس بان اردت من الغزة الى مدينة تيهرت بمن مدينة الغزة الى ناجـوت على مضيق مكناسة الى عين الصبحى عيـن خرارة فى سبح جبل لمطماطة الى تاغريبت الى تيهرت ومدينة تيهرت مسورة لها ثلاثة ابواب باب الصبا وباب المنازل وباب الاندلس وباب المطاحن وغيرها وهى فى سبح جبل يقال له جزّول ولها قصبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة وهى على نهر ياتيها من جهة القبلة يسمى مِينة وهو فى قبلتها ونهر اخر يجرى من عيون تجتمع تسمى تاتُش و من تاتس

شرب اهلها وبساتينها وهو في شرقيها وفيها جميع الثمار وسفرجلها يفوق سفرجل الآفاق حسنا وطعما ومشما وسفرجلها يسمى بالفارس وهي شديدة البرد كثيرة الغيوم والثلج قال بكر بن حماد ابو عبد الرحمن وكان ثقة مامونا حافظا للحديث سمع بالمشرق من ابن مسدد وعمرو بن مرزوق وبشر بن حجر وبافريقية من سحنون وغيرهم وسكن تاهرت وبها توفي فقال

ما اخشن البردَ وريعانه   واطرف الشمسَ بتاهرت
تبدو من الغيم اذا ما بدَتْ   كانها تُنْشَر من تخت
فنحن في بحر بلا لجّة   تجرى بنا الريح على السمت
نفرح بالشمس اذا ما بدت   كفرحة الذمّى بالسبت

ونظر رجل من اهل تاهرت الى توقد الشمس بالحجاز فقال احرقي ما شئت فوالله انك بتاهرت لذليلة ۞ وهذه تاهرت الحديثة وعلى خمسة اميال منها تاهرت القديمة وهي حصن لبرجانة وهو في شرقي الحديثة ويقال انهم لما ارادوا بناء تاهرت كانوا يبنون النهار فاذا جن الليل واصبحوا وجدوا بنيانهم قد تهدم فبنوا حينئذ تاهرت السفلى وهي الحديثة وبقبليها لواطة وهوارة في قرارات وبغربيها زواغة وبجوفيها مطماطة وزناتة ومكناسة وقد ذكرنا ان بشرقيها حصن لبرجانة وهو تاهرت القديمة وكان صاحب تاهرت ميمون ابن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن رُستم بن بهرام وبهرام هذا مولى امير المومنين عثمان رضى الله عنه وهو بهرام بن ذوشرار بن سابور ابن بابكان بن سابور ذى الاكتاف الملك الفارسى وكان ميمون راس الاباضية وامامهم وامام الصفرية والواصلية وكان يسلّم عليه بالخلافة وكان مجمع الواصلية قريبا من تاهرت وكان عددهم نحو ثلاثين الفا في بيوت كبيوت الاعراب يحملونها وتعاقب مملكة

تاهرت بنو ميمون وبنو اخويه عبد الرحمن واسماعيل بن الرستمية الى سنة ست وتسعين ومايتين بوصل ابـــو عبد الله الشيعي الى مدينة تاهرت بدخلها بالامان ثم فتل فيها من الرستمية عددا كثيرا وبعث برءوسهم الى اخيه ابى العباس وطيف بها بالقيروان ونصبت على باب رفادة وملك بنو رستم تاهرتماية وثلاثين سنة وذكر محمد بن يوسف ان عبد الرحمن بن رستم كـــان خليفة لابى الخطاب عبد الاعلى بن السمح بن عبيد بن حرملة ايام تغلبه على افريقية فلما فتل محمد بن الاشعث الخزاعي ابا الخطاب وذلك في صفر سنة اربع واربعين ومايه هرب عبد الرحمن باهله وما خف من ماله وترك القيروان فاجتمعت اليه الاباضية واتفقوا على تقديمه وبنيان مدينة تجمعهم فنزلوا موضع تاهرت اليوم وهـــو غيضة اشبة ونزل عبد الرحمـــن منه موضعـــا مربعا لا شعراء فيه فقال البربر نزل تافدمت تعسيره الدب شبهوه بالدب لتربيعه وادركتهم صلاة الجمعة فصلى بهم هنالك فلما انقضت الصلاة ثارت صيحة عظيمة على اسد ظهر في الشعراء فاخذ حيّا وأُتى بـــه الى الموضع التى صلوا فيه وقتل هناك فقال عبد الرحمن بن رستم هذا بلد لايفارقه سفك دم ولاحرب ابدا وابتدوا من تلك الساعة فبنوا في ذلك الموضع مسجدا وقطعوا خشبة من تلك الشعراء فهو كذلك الى اليوم وهو مسجد جامعها وهو من اربعة بلاطات قال وكـــان موضع تاهرت ملكها لقوم مستضعفين من مراسة وصنهاجة فارادهم عبد الرحمـــن على البيع فابـــوا فوافقهم على ان يودوا اليهم الخراج من الاسواق ويبيحوا لهم بنيان المساكن فاختطوا وبنـــوا وسمى الموضع معسكر عبد الرحمن بن رستم الى اليوم قال وبتاهرت اسواق عامرة وحمامات كثيرة يسمى منها اثنى عشر حماما وحواليها من

البربر امم كثيرة ومدهم الذى يكتالون به خمسة افعزة ونصف فرطبية وفنطار الزيت وغيرة عندهم فنطاران غير ثلث الا المجلوب من البلبل وغيره فانه فنطـار عدل ورطل اللحم عندهم خمســة ارطال ۞ وان اردت طريف الساحل من تنس الى اشير زيرى فمن تنس الى بنى جلّيداسن مدينة لطيفة لمطغرة يسكنه الاندلسيون والغرويون ولا يدخلها برنجانى من وفت غدرهم بهــا وهى بلدة طيبة بها عيون عذبة وهى مطلة على فحص شلف وهنـاك مدينة شلف على نهر بها سوف عامرة تعرف بشلف بنى واطيــل لزواغة ومنها الى بنى واريفن لمطغرة على نهر شلف بها حوانيت الى مدينة مليانة وهى اولية شريفة جددها زيرى بن مناد واسكنهــا ولده بلجين وهى مشرفة على جميع ذلك الفحص الذى فيه بنــو واريفن وغيرهم وهى عامرة اهلة على نهــر ولهــا انار عذبة وسوف جامعة ومنها الى مدينة اشير ۞ وان اردت الطريف من تاهرت الى البحر فانك تمر بين فبايل البربر حتى تاتى شلف بنى واطيل ومن هناك الى الغزّة يومــان والغزة ســـاحل تاهرت وبغرب هذا الموضع على البحر فلعة مغيلة دَلول وهى فى اعلى جبل منيف هنــاك شديدة الحصانة بينها وبين البحر خمسة فراسخ وبها عين مـاء تسمى عين كُردى وبين فلعة دلـول هذه ومدينة مستغانم مسيـرة يومين وهى على مغربة من البحر وهى مدينة مسورة ذات عيـون وبساتين وطواحين ماء ويبذر فى ارضها الفطن فيجود وهى بغرب مصب نهر شلف فى البحر وبغربى هذه المدينة على نحـو ثلاثة اميــال منها مدينة تامزغران وهى مدينة مسورة لها مسجد جامع وعلى مغربة منها فلعة هوارة ويسمونها تاسفدالت وهى فلعة فى جبل لهــا ثمار ومزارع وتحت هذه الفلعة يجرى نهر سيرات وهـــو النهر الذى

يسقى به فحص سيرات وطول الفحص نحو اربعين ميلا ليس منه
شيء الا يناله ماء هذا النهر الا انه اليوم غامر غير عامر ولا اهل
لان الخوف اجلى اهله وفي ساحل هذا الفحص مدينة ارزاو وهي
مدينة رومية خالية فيها اثار عظيمة للاول باقية يحار من دخل
فيها لكثرة عجايبها وبغرب مدينة ارزوا جبل كبير فيه قلاع
ثلاث مسورة رباط يقصد اليه وفي هذا الجبل معدن الحديد
والزبيب واذا ارسلت النار في حجره تفاوحت منه ارواح عطرة
وبين مدينة ارزوا هذه ووهران اربعون ميلا ومدينة وهران
حصينة ذات مياه سايحة وارحاء ماء وبساتين ولها مسجد جامع
وبنى مدينة وهران محمد بن ابي عون ومحمد بن عبدون وجماعة
من الاندلسيين البحريين الذين ينتجعون مرسى وهران باتفاق
منهم مع نفزة وبنى مُسقن وهم من ازداجة وكانوا اصحاب الفرشى
سنة تسعين ومايتين فاستوطنوها سبعة اعوام وفي سنة سبع
وتسعين ومايتين زحف قبايل كثيرة الى وهران يطالبون اهلها
باسلام بنى مسقن اليهم لدماء كانت بينهم فابى اهل وهران
من اسلامهم اليهم فنصبوا عليهم الحرب وحاصروهم ومنعوهم الماء
فخرج عنهم بنو مسقن ليلا هاربين واستجاروا بازداجة واجاروهم
وتغلّب على اهل مدينة وهران وخرجوا عنها مسلّمين في انفسهم
واسلموا ذخايرهم واموالهم وخربت وهران واضرمت نارا وذلك
في ذى الحجة من هذه السنة ثم عاد اهل وهران اليها في السنة
بعدها سنة ثمان وتسعين ومايتين بامر ابي حُميد دوّاس بن
صولات ويقال داود عامل تاهرت وابتدوا بنيانها في شعبان من
هذه السنة فعادت احسن مما كانت وولى عليهم داود بن صولات
اللهيصى محمد بن ابي عون فلم تزل في عمارة وكمال وزيادة وحسن

حال الى ان وقع يعلى بن محمد بن صالح اليفرنى بازداجة بجبل فيدر وبين جماعتهم وكانت الوقيعة بينهم يوم السبت للنصف من جمادى سنة ثلاث واربعين وثلاث مائة بدخل يعلى مدينة وهران وملكها ثم نقل اهلها الى مدينته المعروفة وذلك فى ذى القعدة من العام المورخ وخرب مدينة وهران ثانية وحرقها وبقيت كذلك سنين ثم تراجع الناس اليها وبنيت ۞ وفى عمل وهران قرية اهلها موصوفون بعظم الاجساد ومعروفون بشدة الايد اخبرنى غير واحد انه راى الرجل الكامل فى الخلق المعهود يكون الى دون منكب الرجل منهم وانه كان منهم رجل يحمل ستة نفر ويخطو بهم خطوات يحمل على عاتقه اثنين ونابط اثنين ويحمل على ذراعيه اثنين وان رجلا منهم اراد عمل بيت فاقتطع الف كلخة وحملها على ظهره وسوى منها بيتا تاما معرّشا ۞

۞ الطريق من وهران الى القيروان ۞

تخرج من وهران الى تانسالمت قرية لازداجة بها سوق وعين عذبة وهى فى طرف جبل جَيْدَرْ ومنها الى جراوة لعْزيزوا وهى سوق عبيدون ابن سنّان الازداجى ومنها الى قصر ابن سنّان ثم الجادة على ما تقدم وهى خمس وعشرون مرحلة ۞

وطريق اخر من وهران الى القيروان على بلد قسطيلية ۞ من وهران كما ذكرنا الى قصر منصور بن سنان ثم الى العلويين وهى مدينة يعلى بن باديس عليها سور وهى على نهر كبير وداخلها عيون ومنها الى نهر سى بن دمر وهو نهر كبير عليه بساتين كثيرة ومنها الى احساء عقبة بن نافع القرشى وهى ابار

كثيرة مبنية بخشب العرعار وتعرى باآبار العسكر يريدون عسكر عقبة ويسمى بالبربرية ارســــان ثم تمشى في معاوز ربما نزلها بنـو مغراوة ثلاث مراحل او اربعا الى سافية ابن خزر يسمونها ازمّرين عليها قصر خراب حوله ثمار وتخبل الى مدن بنطيوس وهي ثلاث مدن يقرب بعضها من بعض وفي كل مدينة جامع فالاثنان لاهل السنة والثالث لقوم من الخوارج يعرفون بالواصلية اباضية احداها يسكنها قوم من الفرس يعرفون ببنى جُرج وبغربيها نهر جار ينحدر اليها من ناحية الجوف وهذا النهر يسقى الثلاث المدن والثانية يسكنها المولدون والثالثة يسكنها البربر واكثر ثمارها النخل والزيتون والثلاث المدن في سهلة عريضة اريضة عليها كلها اسوار وخنادق وبغربيها صحراء بنطيوس تسقى بثلث النهر المذكور واذا كمل الرجل فيها زريعته عرف مبلغ اصابته من الطعام لايخطى وابارها ملحة وبقرب منها قرى كثيرة وبجوفى بنطيوس طولقة وهي ثلاث مدن كلها عليها اسوار طوب وخنادق وحولها انهـار وهي كثيرة البساتين بالزيتون والاعنـاب والنخل والشجر وجميع الثمار احداها يسكنها المولدون والثانية يسكنها اليمن والثالثة يسكنها قيس ثم من بنطيوس الى مدينة بسكرة وقد تقدم ذكرها ومنهـا الى مدينة تهوذا وتعرف بمدينة السحر وهي مدينة اهلة كثيرة الثمار والنخيـــل والزرع وتهوذا مدينة اولية بنيانها بالحجر ولهـــا اموال كثيرة وحولها ربض قد خندق على جميعه واستدار بالمدينة وبها جامع جليـل ومساجد كثيرة واسوان وحمامات ونهر ينصب في جوفيهـــا من جبل اوراس سكانها العرب وقوم من قريش وان كـــانت بينهم وبين من يجـــاورهم حرب ارسلوا مـــاء النهر في الخندق المحيط بمدينتهم فشربوا منه وامتنعوا من عدوهم به وفي المدينة بيـــر

لاتنفزح اولبة وابار كثيرة طيبة واعداؤهم هوّارة ومكناسة اباضية وهم بجوبيها واهل تهوذا على مذاهب اهل العراق وحولها بساتين كثيرة من اصناف الثمار وضروب البذر تجود بها البذور وحواليها ازيد من عشرين فرية ۞ وروى ابو المهاجر عن رجاله عن شهر ابن حوشب ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن سكنى هذه البقعة الملعونة التى يقال لها تهوذا ويقول انه سوف يُقتل بها رجال من امتى على الجهاد فى سبيل الله ثوابهم ثواب اهل بدر واهل احد ما بُدّلوا حتى ماتوا وكان شهر بن حوشب يقول واشوقاه اليهم وكان يقول سالت التابعين عن هذه العصابة فقالوا ذلك عقبة ابن نافع قتله البربر والنصارى بمدينة يقال لها تهوذا فمنها يحشرون يوم القيامة وسيوفهم على عواتقهم حتى يقفوا بين يدى الله تعالى ۞ قال ابو المهاجر قدم عقبة بن نافع مصر وعليها عمرو ابن العاصى فى خلافة معوية فنزل منزلا من بعض قراها ومعه عمرو ابن العاصى وعبد الله بن عمرو وجماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع بين ايديهم سفرة فيها طعام فلما تناولوا من الطعام ضربت حداة على الطعام الذى بين ايديهم فاخذت منه عرقا فقال عقبة اللهم دُقَّ عنقُها قال فاقبلت الحداة منقضّة حتى ضربت بنفسها الارض فاندق عنقها فاسترجع عمرو فسمعه عقبة يترجع فقال ما بالك يابا عبد الله قال بلغنى ان نفرا من قريش يخرجون الى هذا الموضع فيستشهدون جميعا فقال عقبة اللهم وانا منهم ۞ ثم ان عقبة بن نافع خرج من عند يزيد ابن معوية فى جيش على غزو المغرب فمر على عبد الله بن عمرو وهو بمصر فقال له عبد الله يا عقبة لعلك من الجيش الذين يدخلون الجنة برحالهم ۞ وقال ابو المهاجر فبلغ عقبة بن نافع فى غزواته

الى السوس الادنى والسوس الاقصى والبحر المحيط وادخل فيه فرسه حتى بلغ الماء لبب فرسه وانصرف الى افريقية فلما دنا منها نفرق اصحابه عنه فوجا فوجا فلما وصل الى مدينة طبنة اذن لساير من بقى معه وبقى فى عدة يسيرة وقال فى طريقه امرّ الى مدينة تهوذا والى مدينة باديس اعرف ما يكفيهما من العدة والجيوش وكانا فى ذلك الوقت من اعظم مداين المغرب فلما انتهى الى مدينة تهوذا اغتنم كسيلة بن لهزم فى جيوش الروم واقبلت اليه عساكر البربر وقد علموا بافتراق عساكر عقبة فزحفوا اليه فكسر عقبة واصحابه اجفان سيوفهم وقاتلوا حتى قُتلوا جميعا وقبر عقبة معروف بمدينة تهوذا ولما اراد معد بن اسماعيل بن عبيد الله تخريب قبلة مسجد القيروان وقلع من محرابه اجرّا وذلك سنة خمس واربعين وثلاث ماية بلغه ان اهل القيروان يذكرون دعاء عقبة للقيروان وتاسيسه جامعها وانهم يقولون ان الله عز وجل يمنعه منه بدعاء صاحب نبيه له فامر معد لعنه الله بنبش قبر عقبة واحراق رمته بالنار وبعث الى مدينة تهوذا لذلك خمس ماية بين فارس وراجل فلما دنوا من قبره وحاولوا ما امرهم به هبت ريح عاصفة ولاحت بروق خاطفة وقعقعت رعود قاصفة كادت تهلكهم فانصرفوا ولم يعرضوا له ۞ ومنها الى مدينة باديس مرحلة ومدينة باديس حصنان لهما جامع واسواق وبسايط ومزارع جليلة يزدرعون بها الشعير مرتين فى العام على مياه سايحة كثيرة عندهم ومن باديس الى قيطون بياضة وهو اول بلد سماطة ومنه يفترق الطريق الى بلاد السودان والى اطرابلس والى القيروان الى مدينة نقطة مرحلتان وهى مبنية بالحجر عامرة اهلة بها جامع ومساجد وحمامات كثيرة وهى كثيرة المياه السايحة وشرب جميع بلاد قسطيلية

بوزن الا نعطه فان شربها جزاف وجميع اهلها شمعة وتسمى الكوفة الصغرى الى مدينة توزر وهى اخر اقاليم بلد قسطيلية وقد تقدم ذكرها وبينها وبين بسكرة خمسة ايام ثم تسير منها الى نفصة مرحلتان ومن مدينة نفصة الى فج الحمار وبه فنادق وماجل الماء الى الهروية وهى اخر فرى كورة فمونية الى مدينة مذكود وهى ام اقاليم بلد فمونية بها جامع وحمامات واسوان ومساجد كثيرة وفنادق عدة وابار عذبة الماء بعيدة الرشاء وحولها ثمار كثيرة من جميع الاصناف اكثرها شجر التين وهو يعرف تيـــن افريقية طيبا ومنها يحمل التين زبيبا الى القيروان فيكون اعلى من ساير التين ثمنا واكثر طلبا وهى فى غابة من شجر التين لا تظهر لمـــن قصدها حتى يبلغها ومن مدينة مذكود الى جمونس الصـــابون فرية كبيرة اهلة وبها ابار عذبة وهى فى سند جبل حولها رمـــل كثير وشجر الزيتون وبها جامع وسوق عامرة وحمام وبيها فصر كبير وهو مخزن لجماعة اهلها وبها غدير ماء كبير ولها فرى كثيرة عامرة معيدة الى فرية مجدول اهلة كبيرة ايضا مثل التى فبلهـا صغة ولها غدير يعرف ببحيرة مجدول منه شربهم ولهم ابار كثيرة طيبة ومنها الى بنى دَعام فرية جامعة عامرة الى مدينة القيروان وذلك من وهران الى القيروان على قسطيلية ثلاث واربعون مرحلة ۞ ومن اراد الطريف من تنس الى تاهرت فمن تنـــس الى الغُزّة على ما تقدم الى تاجموت على مضيف مكناسة الى عين الصُبحى عيـــن كبيرة فى سند جبل لملماطة الى تاغريبت الى مدينة تاهرت ۞ ومدينة الخضراء على مغربة من تنس وهى مدينة كبيرة على نهـــر خرّار عليه الارحاء واذا حمل دخل المدينة وحولها بساتين كثيرة ويكتنفها من قبايل البربر مدغرة وبنو دَمّر ومديونة وبنو واربغن

وهى بين مدينة تنس ومدينة اغزر وقد تقدم ذكرها وهى افزّرنة متيجة ومدينة سطيف على مرحلتين من المسيلة تخرج من المسيلة الى غدير وارّوا يسكنه بنو يغمراسن من هوارة على عيون طبنة يعتدّون فى سنين الغا وقد تقدم ذكرها ومنها الى سطيف وهى مدينة كبيرة جليلة اولية كان عليها سور خربته كتامة مع ابى عبد الله الشيعى لانها كانت فى الاول لكتامة ثم غلبتهم عليها العرب فكانوا يعشّرونهم اذا دخلوها وهى اليوم دون سور لاكنها عامرة جامعة كثيرة الاسواق رخيصة الاسعار وبين سطيف والقيروان عشر مراحل وبينها وبين افزّرنة عشر مراحل ايضا ومدينة تاناجللت على مرحلة من مدينة سطيف وعلى مغربة من مدينة ميلة المذكورة قبل هذا وتانافللت مدينة لكتامة عامرة اهلة ليس بها مسجد وغدير واروا المذكور على مرحلتين من طبنة وبين تاناجللت ومدينة القيروان ثمان عشرة مرحلة وبين مدينة وهران وتلمسان ومرحلتان ۞

۞ ذكر مدينة تلمسان وما والاها الى المغرب ۞

وهى مدينة مسورة فى سفح جبل شجرة الجوز ولها خمسة ابواب ثلاثة منها فى القبلة باب الحمام وباب وهب وباب الخوخة وفى الشرق باب العقبة وفى الغرب باب ابى قرّة وفيها للاول اثار قديمة وبها بقية من النصارى الى وقتنا هذا ولهم بها كنيسة معمورة واكثر ما يوجد الركاز فى تلك الاثار وكان الاول قد جلبوا اليها ماء من عيون تسمى لوريط بينها وبين المدينة ستة اميال وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الاوسط ولها اسواق ومساجد ومسجد جامع واشجار وانهار عليها الطواحين وهو نهر سطفّسيف وهى دار مملكة زناتة

وموسطه قبايل البربر ومقصد لتجار الآفاق ونزلها محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن على بن ابى طالب ومن ولده عيسى ابو العيش بن ادريس بن محمد بن سليمان الذى بنا جراوة وكان اميرها وبها توفى ولم تزل تلمسان دارا للعلماء والمحدثين وحملة الرأى على مذهب ملك بن انس رحمه الله وفى الجنوب من تلمسان قلعة ابن الجاهل وهى قلعة منيعة كثيرة الثمار والانهار ويتصل بها جبل تارنى وهو وما يليه جبال معمورة الى مدينة تيزيل وهى اول الصحراء ومنها يسافر الى مدينة سجلماسة والى وارجلن والى القلعة وهى مدينة معمورة فيها اثار للاول وبها مسجد وفى الشمال من تلمسان منزل يسمى باب القصر وفوقه جبل يسمى جبل البغل ينبعث من اسفله نهر سطفسيف ويصب فى بركة عظيمة من عمل الاول ويسمع لوقوعه فيه خرير شديد على مسافة ثم ينبثق منها بحكمة مدبرة الى موضع يسمى المهماز الى ولج الحنا الى جنان الحاج حتى يصب فى نهر اسّر ثم ينصبّ فى نهر تافنا وهو النهر الذى يصل الى مدينة ارشقول وهناك ينصب فى البحر وارشقول ساحل تلمسان وبين مدينة ارشقول وتلمسان حصن زندور طوله خمسة وعشرون ميلا ومدينة ارشقول على نهر تافنى يقبل من قبليها ويستدير بشرقيها يدخل فيه السفن اللطاف من البحر الى المدينة وبينهما ميلان وهى مسورة وبمدينة ارشقول جامع حسن فيه سبعة بلاطات وفى صحنه جب كبير وصومعة متقنة البناء وفيها حمامان احدهما قديم ولها من الابواب باب الفتوح غربى وباب الامير قبلى وباب مرنيسة شرقى محنية كلها عليها منافس وسعة سورها ثمانية اشبار وامنع جهاتها جوفيها وبها آبار عذبة لا تغور تقوم باهلها وبمواشيهم ولها ربض من جهة القبلة

وكيلهم ستون مدا بمد النبى صلى الله عليه وسلم وبسمونه ثمورة ورطلهم اثنتان وعشرون اوقية ودرهمهم ثمـــانى خراريب والخروبـة اربعة حبات وكان يسكنها التجار ونزلهـا عيسى بن محمـــد بن سليمان المذكور قبل هذا ووليها وتوفى فيها سنة خمس وتسعـين ومايتين وولد له فيها ابراهم بن عيـسى الارشغولى ووليهـا بعده ابنه يحيى بن ابرهيم وهو الذى حبسه ابو عبد الله الشيعى سنة ثلاث وعشرين وثلاث مايه ويقابلها جزيرة فى البحر تسمى جزيرة ارشغول بمنها وبين البر قدر صوت رجل جهير فى سكـون البحر وهى مستطيلة من القبلة الى الجوف عالية منيعة واليها لجا الحسن ابن عيسى بن ابى العيش صاحب جراوة وتخلى مما كان بيده لما غلبه على ذلك موسى بن ابى العافية على ما نبينه بعد هذا ان شاء الله تعالى فكتب موسى بن ابى العافية الى صاحب الاندلس عبد الرحمـــن ابن محمد يسئله نصرته عليه ويقرب له الماخذ واعـــانه على ذلك عبد الملك بن ابى حامة عند موسى بن محمد بن حُدَيْر فـــامر عبد الرحمن اهل بجانة وغيرهم من اهل السواحل باقامة خمسـة عشر مركبا حربية ثم جهزها بالرجال والسلاح والازودة والاموال فاحاطت بهذه الجزيرة وقتلوا كثيرا ممن كان فيها وحـــاصروهم حتى كادوا يهلكون عطشا لما نفدت مياه جبابهم حتى تداركهم الله بغيث وابل فلم يطمع فيهم اهل الاسطول حين سقوا وانصرفوا نافلين فوصلوا الى المرية فى شهر رمضان سنة عشرين وثلاث مايه ثم ظفر القورى بن موسى بن ابى العافية بالحسن بن عيسى الذى لجا الى ارشغول وبعث به الى عبد الرحمن بن محمد سنة ثمـــان وثلاثين وثلاث مايه ۞

۞ ذكر الحصون التى بساحل تلمسان ۞

سوى مدينة ارشقول مدينة ءاسلن وهى شرقى ارشقول حصينة وهى مدينة قديمة عليها سور صخر وبها جامع وسوق يسكنها مغيلة ولها نهر يصب فى البحر من شرقيها يسقى منه بساتينهم وثمارهم وهى مقطوعة منحوتة السور من كل ناحية بنهر ولها عين تجرى بينها وبين البحر وكان عبد الرحمن افتتحها وبعث اليها محمدُ ابن ابى عامر حُميدَ بن بزل فبناها وجددها ۞

فاما الطريق من ارشقول الى القيروان فمنها الى مدينة اسلن ومن اسلن الى قصر ابن سنان مرحلة لطيفة ثم الطريق على ما تقدم من اسلن الى تاهرت اربع مراحل ومن تاهرت الى القيروان تسعة عشر ومنها الى حصن تانكرمت وهو ايضا على الساحل ستة اميال وله مزارع واسعة وبسايط خصيبة وعلى مرحلتين من اسلن مدينة فكّان بينهما نهر سى وعليه المنزل فى المرحلة الاولى ومدينة فكان كانت سوقا قديمة من اسواق زناتة فمدّنها يَعْلَى بن محمد بن صالح اليفرنى وكان ابتداء تاسيسه لها سنة ثمان وثلاثين وثلاث ماية وارتحل اليها اهل المعسكر من اهل تاهرت ويلل وشاطى بنى واطيل ووهران وقصر الفلوس فعمرت وتمدنت وعظمت وهى فى صفح جبل اوشيلاس وهو بجوفيها ولهذا الجبل شعراء غامضة وبقبليها نهر سيرة ومنبعثه من عيون بشرقيها عليه الارحاء والبساتين من كلا ضفتيه وبغربى فكان اسفل بساتينها مجمع الاودية وادى سيرة ووادى سى ووادى هنت وعلى مدينة فكان سور طوب وبها جامع وحمام وفنادق وبين هذا الحصن وحصن مرنيسه البربر ثلاثة اميال وهو حصن حصين ومنه الى حصن ابن زيتى ثلاثة اميال ايضا ولهذا الحصن نهر كثير الثمار ومن

بنى زبنى الى حصن العروس ميلان وهو على فنة جبل على ضفة البحر ومنه الى حصن الوردانية ميلان وهو مثله على جبل بساحل البحر ومن الوردانية الى حصن هُنَين اربعة اميال وهو على مرسى جيد مقصود وهو اكثر الحصون المتقدمة الذكر بساتين وضروب ثمر يسكنه قبيلة تسمى كومية وبين هذا الحصن ومدينة ندرومة الجبل المعروف بتاجرة ومسافة ما بين الحصن والمدينة ثلاثة عشر ميلا ومدينة ندرومة هي في طرف جبل تاجرا وغربيها وشماليها بسائط طيبة ومزارع وبينها وبين البحر عشرة اميال وساحلها وادى ماسين وهو نهر كثير الثمار وله مرسى مامون وعليه حصنان ورباط حسن مقصود يتبرك به اذا سرق احد فيه او اتى بفاحشة لم تتاخر عقوبته قد تعارفوا ذلك من بركته وحسن صنع الله فيه ومدينة ندرومة مسورة جليلة لها نهر وبساتين فيها من جميع الثمار وبين مرسى ماسين وترنانا عشرة اميال وهي مدينة مسورة ولها سوق ومسجد جامع وبساتين كثيرة وبينها وبين ندرومة ثمانية اميال ويسكن مدينة ترنانا فخذ من بنى دمر يسمون بنى يلول وكان بها عبد الله الترناني بن ادريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم وعلى ساحل ترنانا حصن تاونت وهو حصن منيع في جبل منيف قد احاط به البحر من ثلاث جهاته وله مرتقى وعر من ناحية الشرق لا يطمع فيه احد وينزله قبيل من البربر يعرفون ببنى منصور وفي جبل الحصن معدن الاثمد وله بساتين وشجر كثير يحمل من زبيب تينه الى ما يليه من النواحي وعلى هذا الساحل ايضا حصن اى جنون وحصن كاربيوا ۞

۞ ذكر المراسى ۞

فاما اتصال المراسى من مرسى اسلن الى الشرق فادنى المراسى اليه مرسى الماء المدفون والسكنى منه على مغربة وله عيون ماء تسيل فى البحر وبينهما ثلاثة عشر ميلا ويقابله من بر الاندلس مرسى الراهب بينهما مجريان وثلث ويليه مرسى جبل وهران مرسى كبير مشتى من كل ريح بينهما ستة اميـــال ويقابله من بر الاندلس مرسى اشكوبرش المرسى القديم الذى نزله البحريون قبل نزولهم بجّانة وبينهما مجريان ونصف ويليه الى الشرق ايضا مرسى عيـــن فرّوج وهو مرسى شتوى مامون وله ابار ماء والسكنى منه على مغربة وبينه وبين وهران فى البر اربعون ميلا ويقابله من بر الاندلس مرسى ءافلة وهو مرسى مدينة لورقة وبينهما ثلاثة مجار ويليه الى الشرق مرسى قصر الفلوس وهى مدينة على البحر غير مسكونة وبها ماء مجلوب واحساء مـــاء ومرساها غير مـــامون ويوازيه من بر الاندلس مرسى قرطاجنة ويواليه مرسى مغيلة بنى هاشم وهـــو مرسى صيفى لايكنّ من ريح وله رباط على ضفة البحر مسكون وماؤه كثير وبينه وبين قصر الفلوس خمسة وثلاثون ميلا ويقابل من بر الاندلس قبطيل تُدْمير ويليه مرسى مدينة تنس وهـــو صيفى يكن بشرقيه وغربيه وله ماء معين بينهمـــا مراس لطاف ويقابل مرسى تنس من بر الاندلس شنت بول ويلى مرسى تنس الى الشرق مرسى جزيرة وقور بينهمـــا ازيد من عشرين ميلا وله نهر لطيف يصب فى البحر والجزيرة قريبة من البر ويقـــابل من بر الاندلس مرسى لقنت ويقطع البحر بينهما فى خمسة مجار ثم مرسى شرشال وعليه مدينة عظيمة للاول غير مسكونة وله احساء مـــاء يكـــن بشرقيه

وغربيه ويقـابل من بـر الاندلس مرسى مدبرة بينهما خمسـة مجار ونصف وكانت لمدينة شرشـال مينى ارتدم وبيهـا رباطات يجتمع اليها في كل عام خلف كثير ويليه جبـل شنوة وله مرسى يسمى البطال وهو غير مسكون يكن غربيه وله ماء يسير ويقـابل من عدوة الاندلس جبل فرون بينهمـا خمسة مجـار ونصف ثم مرسى هور ثم الى انف القناطر وهناك اثار قناطر قايمة ثم الى مرسى الدبان ويليه مرسى جنابية وله جزيرة وهناك مدينة للاول غير مسكونة لها نهر يريق في البحر ويقـابل من بر الاندلس مرسى دانية وبينهما ست مجار ويليه مرسى الجزاير وتعرف بجزاير بنى مزغنّى وقـد تقدم ذكـر مدينتها وهو مرسى مـامون مشتى بين جزيرة سطفلة من الشرق الى الغرب وبين البر وبالمرسى عين عذبة ويقابـل من بر الاندلس مرسى بنشكلة بينهمـا ست مجـار ويلى هذا المرسى من المراسى المشهورة مرسى الدجاج وهو صيفي غير مامون ويقابل من جزيرة الاندلس جزيرة ميورقة ثـم مرسى مدينة بجاية ازلية اهلة عامرة باهل الاندلس بشرقيها نهر كبير تدخله السفن محملة وهـو مرسى مامون مشتى قد خرج عن محاذاة جزيرة الاندلس ثم مرسى بونة مرسى مامون ومرسى بجاية هو ساحل قلعة ابي طويل وعلى هذا المرسى في تلك الجبـال قبايل كتامة وهي شيعة يكرمون من مـال الى مذاهبهم ويبرون من واقف اعتقادهم وجزيرة جونة قبل مرسى بجاية ثـم يـلى مرسى بجاية مرسى سبيبة وعلى مرسى سبيبة في جبال كتامة عين الاوقات معروف اذا كانت اوقات الصلوات جرى المـاء فيه فاذا خرجت الاوقـات قلص وانقطع ومن هذا المرسى تدخـل السفن الى جزاير العـافية ثـم مرسى جيجل فيه اثار للاول وهـو معمور اليوم وعلى هذه

المواضع كلها من جبال كتامة معادن النحاس ومنها يحمل الى افريقية وغيرها وبهذا الجبل حجر الازورد الطيب ومن هذا المرسى الى مرسى الزيتونة وقد تقدمت صفته وهذا المرسى اول حد الجبال التى تعرف بجبال الرحمن وهو جبل عظيم خارج فى البحر يقابل جزيرة سردانية وهو كثير الثمار والانهار يسكنه قبايل من كتامة وغيرها وفيه مزارع كثيرة ومراع مريعة ومنه يحمل عود الخرط الى افريقية وما والاها وفيه اسوان كثيرة ومراس منها مرسى الخرّاطين ومرسى الشجرة وفى اخره مرسى الفلّ ومنه تسير الى مرسى استورة وهو مرسى مدينة تاسفدة وهى مدينة اولية قديمة فيها اثار للاول عجيبة ثم منه الى مرسى الروم وهو مشتى مامون الى جزيرة فحر الى مرسى تكوش مرسى مامون فيه قرى كثيرة يتصل به جبل كثير الفاكهة والخير ثم الى راس الحمراء ثم الى مرسى ابن الالبيرى ثم الى مرسى الخروبة ثم الى مرسى منيع وهو مرسى بونة وبغربه بير النثرة المذكورة وهى بير منقورة فى صخرة من عمل الاول على ضفة البحر اذا ارتج البحر وصل اليها ومن مرسى بونة تخرج الشوانى غازية الى بلاد الروم وجزيرة سردانية وكرسقة وما والاها ثم مدينة مرسى الخرز ثم مرسى طبرقة ويلى طبرقة من المراسى المشهورة مرسى قرطاجنة وبينهما من المراسى الصغار مرسى ابن ابى خليفة فبالته جزيرة الاخوين ثم مرسى الروم ثم مرسى الغبة هو مرسى بنزرت وعلى مغربة منه جزيرة قملارية منها يقطع قواطع الطير من الاندلس وغيرها الى بلاد الروم وهناك ترتقب سكون الريح لطيرانها فتستعلى على اوطانها ثم مرسى راس الجبل وهو مشتى مامون ثم مرسى الثنية ثم رباط قصر ابى الصقر وقبالته جزاير الكُرّات التى قتل فيها زيادة الله عمومته واخوته ثم مرسى رباط قصر الحجامين

ثم مرسى قرطاجنة ثم مرسى قصر الامير بينه وبين مدينة تونس ثمانية اميال في البر وهو متصل بهـــا في البحيرة المحفورة وهـذا القصر على الخليج المحفور في البحر الى مدينة تونس ثم مرسى كبير يسمى رادس وقد تقدم ذكره وما ورد فيه عند ذكر مدينة تونس ويلي مرسى تونس الى القبلة من المراسي الكبار مرسى سوسة وبينهما من المراسي الصغار رباط لحمة ثم جون النخلة ثـم مرسى بونة في قبالته جزيرتان احداهما تعرف بالجـامور الكبير والاخرى بالجـامور الصغير وهي اصغر ثم جبل ادار يظهر منه جبل صقلية وفي هذا الجبل قوم متعبدون تخلوا عن الدنيـا وسكنوا في هذا الجبل مـع الوحش لباسهم البَرديّ وعيشهم من نبات الارض ومن صيد البحر يتناولون من ذلك ما يكون بلغة لهم اذا جاعوا والدعوة من اكثرهم مستجابة وهذا الجبل معروف بالتزام هولاء فيه منذ فتحت افريقية ثم جون الملّاحة ثم مرسى مدينة اقليبية مدينة كبيرة اهـلة ثم المرسى المدفون وهو بحر صعب كثيرا ما تعطب فيه السفن ثم مرسى مدينة ريهان ثم مرسى هرقلة ثـم مرسى قصر ابن عمـر الاغلبي ثم مرسى مدينة سوسة ثم تسير من مرسى سوســـة الى ناحية القبلة الى مرسى خفانس وهو مشتى عليه قصر كبير محرس رباط ثم الى مرسى مَحْرس المنستير وليس بافريقية اجـل من هذا المحرس وقد مضى ذكـره وبقرب هـــذا المرسى ملاحة لمطة وهي ملاحة كبيرة وملحها لايعوقه ملح ومنها يحمل الى ما جاورها من البلاد ثم الى مرسى قصر القوريتين وهما جزيرتان في البحر كبيرتان تشف السفن بينهما ومنهما الى مدينة المهدية والمهدية على ساحل القيروان ومحط للسفن لمن قصدها من جميـــع الجهات فاما سلوك السفن من المهدية الى الاسكندرية فمن مرسى المهدية الى مرسى

سنعطة وعليه فصر الى مرسى فبودية وهى فصور الى راس الجسر وهو اول الغصير الى الزرقاء الكبيرة والصغيرة وهى جزيرتان من تحت الماء الى جزيرة درقنه وهى جزيرة كبيرة بها سبعة اجباب وبها انار قديمة ويدخل فيها اهل الساحل مواشيهم ويبذر اكثرها وهى قبالة مدينة سفاقس ثم الى راس الرملة ثم الى الجرب ثم الى قصر الروم وهو بحر ميت ثم الى مدينة قابس ثم الى جزيرة جربة وهى جزيرة معمورة يسكنها قوم من البربر خوارج وهى كثيرة الذهب وبينها وبين البر الكبير مجاز وهى اخر الغصير الى الشرق واهلها غدّارون شرّار لاتومن ناحيتهم وطول هذا الغصير فى البحر نحو خمسين ميلا وفى داخل البحر من داخل الغصير بنيان من بنيان الاول فهو يسمى قُصبر البيت وتجرى من قصير البيت الى الشمال نحو خمسين ميلا الى جزيرة تموشت وجزيرة انبدوشت ثم تخرج السفن من جزيرة جربة الى مرسى الاندلسيين ثم الى قصر الدَّرق وهو بحر ميت ثم الى عقَيْبلات يدخل اليها فى مجلْه فى البحر ثم الى جبل فنطبير ۞ وجبل فنطبير المتقدم الذكر هو موضع مخوف فى البحر ثم الى مرسى مدينة اطرابلس ومرساها مامون جيد ولها دار صناعة للاساطيل ثم تخرج منه الى راس الشعراء ثم الى لبدة ثم الى راس فانان ثم الى قصر العبادى ثم الى سرت ثم الى اجدابية ثم الى اليهودية ثم الى حجر عبدون ثم الى عين ابى زياد ثم الى راس اوتان وفى راس اوتان قالة الشينى ثم الى سوسة برقة ثم الى شقّة البلبل ثم الى شقّة التيس ثم الى مرسى دَرْنى ثم الى مرسى تبنَى ثم الى طُبُرق ثم الى جزيرة القرشى ثم الى جزيرة الطرفا ثم الى جزاير الحمام ثم الى وادى ملالى الى راس الملاحة الى مرسى الزيتونة الى مرسى عمارة الى مرسى السُلّوم الى راس

العوسج الى الكنايس الى الشقر الى بوصير الى مينى الزجاج الى مينى الاندلسيين الى منار الاسكندرية ۞

۞ واما سلوك السفن من الاسكندرية الى انطالية ۞

وانها تخرج من مدينة الاسكندرية الى بوقير ثم الى دمياط ثم الى بحيرة تنيس ثم الى جزيرة دبقوا وهى التى يصنع فيها الثيـــاب الدبيقية ثم الى تيدارميماس وفيها قصر مبنى للصحابة رضى الله عنهم ثم الى غزة ثم الى ملاحة الواردية ثـم الى عسقلان ثـم الى قيسارية ثم الى يافَ ثم الى راس الكرمان ثـم الى حيفى ثـم الى عكّى وفيها قنطرة مبنية للاول تدخل تحتهـا السفن بشرعها ثم الى مدينة صور وهى داخل البحر وهى ساحل بيت المقدس ثم الى صيدا ثم الى بيروت ثم الى اطرابلس الشام ثم الى اللاذقية ثم الى انطاكية ثم الى انطالية ومن انطالية تدخـل الى الجزاير المولعـة فهذا مسلك المراكب من مدينة اصيـلى على التوالى الى هـــذا الموضع وقد بقى فى اقاصى المغرب مراسى نذكرها ان شـــاء الله حتى نوصلها باصيلة ۞

اخبر موسى بن يوسر الهوارى ان بجزيرة آوى مرسى مشتى على ضفة البحر وهذه الجزيرة تمشى منها الركبان مواجهة للشرق شهرين مسى الابل الى مدينة نول ومدينة نول اخر بلد الاسلام واول العمران من الصحراء وتسير السفن من ساحل نول الى وادى السوس ثلاثة ايام ثـــم من وادى السوس الى مرسى امغدول وهـو مرسى مشتى مامون وهو ساحل بلاد السوس ثم الى مرسى فوز وهو رباط يعمره الصالحون وهو ساحل اغمات ثم الى مرسى اسفى الى البيضاء وهو

راس جبل داخل في البحر ثم الى جزيرة بفضالة وهو ساحل بلد تامَسْنَى بلد برغْواطة ثم الى مرسى ماريفن ثم الى وادى سَلَى وهناك مدينة اولية اثارها قايمة تسمى شَلّه وفي ناحية الشرق من وادى سلى على البحر غار عظيم وفي اعلاه منافس كافواه الابار وظهر الغار مزروعة ثم الى وادى سَبو ثم الى وادى سَفدد ولا يسكن بوادى سفدد ابيض اللون الا اعتل وقل ما يسلم من علته وانما يسكنه السودان واذا راوا رجلا ابيض اللون قد دخل عندهم ينادى بعضهم بعضا ميز ميز ثم من وادى سفدد الى حوض اصيلة ثم على ما تقدم ۞ قال ثم من مدينة ترنانا الى تاجرية عشرة اميال وهي مدينة مسورة على ساحل البحر لها مسجد جامع متقن البناء مشرف على البحر ولها اسواق جامعة وهي محط للسفن ومقصد لقوافل سجلماسة وغيرها ويسكنها من البربر مطغرة وهم اعدل من هناك من قبايلهم وفي الشرق من تاجريت مدينة مصكاك بينهما نحو ثلاثة اميال وهي مدينة مسورة على شاطى البحر ذات بساتين وسوقهم بتاجريت وهي اقدم من تاجريت وانما جدد مدينة تاجريت لحاج بن مرامر بعد العشرين والاربع ماية وتاجريت ساحل مدينة وجدة بينهما اربعون ميلا ومن تلمسان الى وجدة ثلاث مراحل فمن تلمسان الى لحمة ومن لحمة الى قرية يسمى بالشهبا ومنها الى مدينة وجدة ومد وجدة يسمى بالوجدات وهي مدينتان مسورتان احدث احداهما يَعْلَى بن بلجين الورنغنى بعد اربعين واربع ماية يسكن في المحدثة التجار وفيها اسواق والجامع خارج المدينتين على نهر قد احدقت به البساتين وهي كثيرة الاشجار والفواكه طيبة الغذا جيدة الهوا يمتاز اهلها من غيرهم في نضارة الوانهم ونعمة اجسامهم ومراعيها انجع المراعى

واصلحها للظلف والحافر ينتهى ثمن شاة من شياههم مايتى اوقية وعلى مقربة من تابحريت مدينة تابرجنّيت وهى ساحل جراوة وعلى مدينة وجدة طريق المارة والصادرة من بلاد المشرق الى سجلماسة وغيرها من بلاد المغرب والطريق منها الى سجلماسة تخرج من وجدة الى صاع وهى قرية ذات نهر وثمار ومزارع ومنها الى تاملّلت ومنها الى جبل بنى برنيبان ومنه الى فير ومنه الى الاحساء ومنها الى لامسلى ومنه الى دار الامير ومن دار الامير الى سجلماسة ۞

۞ والطريق من وجدة الى فاس ۞

تخرج منها ايضا الى صاع ومنها الى تابريدا ومنه الى مكناسة وهم اهل اخصاص ومنها الى عين الطين ومنها الى مدينة فاس فاما الطريق من وجدة الى مليلة فالى صاع ومنها الى اجرسيف مرحلة وهى قرية عامرة على نهر ملوية ياتيها من جانب مطغرة والمخاضة اليها من جهة القبلة ومن اجرسيف الى قلوع جارة وهى حصن منيع فى اعلى جبل لا متناول له ولا مطمع فيه ومنه الى مدينة مليلة وهى مدينة مسورة بسور حجارة وداخلها قصبة مانعة وفيها مسجد جامع وحمام واسواق وهى مدينة قديمة ويذكر ان بنى البورى بن ابى العافية المكناسى جددوها ويسكنها بنو ورتدى وهم يفترعون على من يدخل عندهم من التجار بمن اصابته قرعة الرجل منهم كان تجرة على يده ولم يصنع شيئا الاتحت نظرة واشرافه فيحميه ممن يريد ظلمه وياخذ منه الاجر على ذلك وياخذ منه الهدية لنزوله عنده وذكر محمد بن يوسف وغيره ان

عبد الرحمن الناصر لدين الله وفتحها سنة اربع عشـــرة وثلاث مائة وبنى سورها معقلا لموسى بن ابى العافية وقال احمد بن محمد ابن موسى الرازى يذكر ذلك

والملك النـــاصر دين الله   فيما يحوط الدين غير ساه
بـــنى لموسى عُـدّة مدينةْ   منيعـة شـــاهقة حصينـةْ
ذلّت لهــا ناهرت والافارقة   ولم يطف بنيانها العمالقة

وكيلهم يسمونه المد وهو خمسة وعشرون مدا بمد النبى صـــلى الله عليه وســـلم ورطلهم مثل رطل نكور اثنتان وعشرون اوقية والاوقية خمسة عشر درهما وقنطارهم من جميع الاشياء بهذا الرطل والدراهم بها عدة قراريط كل قيراط خمســـة اثمـان درهم ۞ ومن المراسى مرسى مليلة وهو صيفى ويوازيه من بـــر الاندلس مـرسى مدينة شلوبينة وسنذكر اتصال المراسى من نكور اخذا الى الشرق وما يحاذيها من مراسى الاندلس الى مرسى مليلة ومن مرسى مليلة الى الشرق مرسى مدينة جراوة وهو مامون وله نهر يريق فى البحر وبينه وبين جزاير ملوية فى البر ثمـانية اميـــال ويقابله من بر الاندلس فحجلة بينهما مجريان ويليه الى الشرق مرسى مجرود وهـو مرسى صيفى يكن بغربيه وفيه ابار وهو مسكـــون ويوازيه من بـر الاندلس مرسى دلاية بينهما مجريان ويليه الى الشرق مرسى ترنانة وعليه سكنى وله ابار ماء وبينه وبين مرسى مجرود عشرة اميـــال ويحاذيه من بر الاندلس مرسى مرية بجانة ويليه مرسى مدينة ارشقول بجوفى هذا المرسى ويقابل هذا المرسى من بر الاندلس قابطة بنى اسود بينهما مجريان ويليه الى الشرق اسلن ۞ فاما الطريق من ارشقول الى القيروان فمنها الى مدينة آسَلَنْ ومن اسلن الى قصر سنان مرحلة لطيفة ثـــم الطريق على مـــا تقدم ومن اسلن الى

ناهرت اربع مراحل ومن تاهرت الى القيروان تسع عشرة مرحلة ۞
ذكر بلد نكور وحدّه؛ ينتهى من جانب الشرق الى زواغة جراوة
الحسن بن ابى العيش ومسافة ذلك نحو خمسة ايام ويجاورهم من
هاهنا مطماطة واهل كبدان ولمرنيسة الكُدْيةُ البيضاء وغساسة
اهل جبل هُرك وقلوع جارة التى لبنى ورتدّى وينتهى من جانب
الغرب الى قبيل من غمارة يعرفون ببنى مروان وبنى حُميد اليهم
تنسب الحميدية والى مَسَطّاسة وصنهاجة ومن ورائهم اوربة حزب
برحون وبنو ولبد وزناتة اهل تابريدا وبنو يرنيبان وبنو مراسن
حزب فاسم صاحب صاع والكدية المعروفة بتاوررت والمراسى
المنسوبة الى نكور مرسى ملوية وهرك وكَرط ومرسى الدار واوفتيبس
من مراسى تمسامان وهو الجبل المعروف بابى الحسن الذى لجا اليه
بنو صالح ووادى البقر والمزمّة بينه وبين نكور خمسة اميال والمدينة
فى القبلة من المرسى ويقابله من بر الاندلس مدينة مالقة ويقطع
الغدير بينهما فى مجرى ونصف ومرسى باديس ومرسى بُقوية وبالش
مرسى صنهاجة وغيرها ۞ ومدينة نكور بين رواب منها جبل
يقابل المدينة يعرف بالمصلّى وبها جامع على اعمدة من خشب العرعر
وهو والارز اكثر خشبها ولها اربعة ابواب فى القبلة باب سليمان
وبين القبلة والجوف باب بنى ورياغل وفى الغرب باب المصلى وفى
الجوف باب اليهود وسورها من اللبن وبها حمامات كثيرة واسواق
عامرة معيدة وهى بين نهرين احدهما نكور ومخرجه من بلاد
كزنّاية من جبل بنى كَوين والثانى نهر غيس منبعثه من بلد
بنى ورياغل ومسافة مجرى كل نهر منها الى مصبه فى البحر مسيرة
يوم وبعض ثانى وعلى نهريه الارحاء ومن جبل كوين ايضا ينبعث
النهر المعروف بنهر ورغة وهو من مشهور انهار ارض المغرب ويجتمع

نهر نكور وغيس بموضع يقال له أكدال ثم يتشعب هناك جداول وفى طرف هذا الموضع رباط نكور وعلى نهر غيس بنا سعيد بن صالح مسجدا على صفة مسجد الاسكندرية بحارسه وجميع منافعه وعدوة غبس هذه يقال لها ناكراكرى وهى منبعة وفيها يتناج كراع ءال صالح وبين مدينة نكور وبين البحر خمسة اميال وهو بجوفيها وهى كثيرة البساتين والفواكه لاسيما الكمثرى والرمان وقال ابراهيم بن ايوب النكورى

ابا املى الذى ابغى وسولى | ودنياى الذى ارجو ودينى
أحرم من يمينك رىّ نفسى | ورزق الخلق فى تلك اليمين
وتحجب عن جبينك لحظ طرفى | ونور الارض من ذلك الجبين
وقد جبت المهامة من نكور | اليك بكل ناجية امون

وكيل نكور يسمونه الصحفة وهى خمسة وعشرون مدا بمد النبى صلى الله عليه وسلم ويسمون نصف الصحفة السدس والرطل عندهم فى جميع الاشياء اثنتان وعشرون اوقية وقنطارهم ماية رطل ودراهمهم عدد بلا وزن ۞ والذى اسسها وبناها سعيد بن ادريس ابن صالح بن منصور الحميرى وصالح هو المعروف بالعبد الصالح وهو الذى افتتحها زمن الوليد بن عبد الملك ودخل ارض المغرب فى الافتتاح الاول فنزل مرسى تمسامان على البحر بموضع يقال له بدكون بوادى البقر وبين مرسى تمسامان ومدينة نكور عشرون ميلا وهو مرسى صيفى لا يكن ويقابله من بر الاندلس مدينة طونيانة وعلى يديه اسلم بربرها وهم صنهاجة وغمارة ثم ارتد اكثرهم لما ثقلت عليهم شرايع الاسلام وقدموا على انفسهم رجلا يسمى داود ويعرف بالرُندى وكان من نفزة واخرجوا صالحا من البلد ثم تلافاهم الله بهداه وتابوا من شركهم وقتلوا الرندى واستردوا صالحا فبقى

هنالك الى ان مات بتمسامان ودبن بغربة بغال لها افطى على شاطى البحر وفبره بها بعرب الى اليوم وكان له من الولد المعتصم وادريس امهما صنهاجية وعبد الصمد بولوا المعتصم بمكث بيهم يسيرا ومات بولى سعيد بن ادريس وهو الذى بنى مدينة نكور على ما نفدم وفد كان صالح بن منصور انزل بعرا من البربر موضعا يحاذى مدينة نكور في الضبة الثانية من النهر وكانوا بفيمون هناك سوفا بنفلهم سعيد الى المدينة التى اسس وغزى المجوس لعنهم الله مدينة نكور سنة اربع واربعين ومايتين بتغلبوا عليها وانتهبوها وسبوا من بيها الامن خلصه الفرار وكان بيمن سبوا امة الرحمن وخنعولة ابنتا وافيف بن المعتصم بن صالح بفداهن الامام محمد ابن عبد الرحمن وافامت المجوس بمدينة نكور ثمانية ايام وفامت البرابر على سعيد بن ادريس وفدموا على انبسهم رجلا يسمى سكن وتالبوا عليه من كل جهة وغزوه في عفر داره باظهره الله عليهم وهزمهم وفتل رئيسهم وابترق جمعهم ورجع من بفى منهم الى الطاعة ومات سعيد بن ادريس بعد ان ملكهم سبعة وثلاثين عاما وولى ابنه صالح بن سعيد وكان لسعيد من الولد منصور وجود وصالح وزيادة الله والرشيد وعبد الرحمن الشهيد ومعوية وعثمان وعبد الله وادريس وكان عبد الرحمن بفيها بمذهب مالك وحج اربعا وعبر الى الاندلس للجهاد بفطع عليه ابن حبصون الطريف بفتل من كان معه وتخلص عبد الرحمن على فرسه وحضر غزاة ابى العباس الفايد واستشهد بيها وفام على صالح اخوه ادريس في بنى ورياغل وكزناية بالتفوا بجبل كزناية المعروب بكوين بانهزم صالح وانتهب ادريس معسكره واستمر الى مدينة نكور ليدخلها بامتنع عليه مخلب صالح بفال له ان صالحا فد فتل

بحال اذا صح عندى دلك لم ادابعك فلما لم يجد عنده ما يريد
نزل الجبل المطل على المدينة وانى صالح ى جوف الليل ى خاصة من
اصحابه بدخل المدينة ولما كان من الغد اقبل ادريس على برسه
وعليه درعه وهو لا يعلم بامر اخيه فادخلوه المدينة وارحلوه
بتبان صالح عن دابته واتوا به صالحا اخاه بامر بحبسه ى داره
ثم اشار عليه قاسم الوسنانى صاحب صاع والكدية بقتله[والح
عليه ى دلك بامر الموالى بقتله بامتنعوا بامر بتى من بتيانه يقال
له عسلون بقتله وامتنعت مكناسه عن صالح وحبسوا مغارمهم
مكتب اليهم يوعدهم وختم الكتاب وادخله ى مخلاة وشدها على
حمارة وبعثه مع ثقة من ثقاته وقال اذا توسطت بلاد مكناسه
باترك الحمار بما عليه وانصرب بفعل باصابت مكناسة حمار صالح
وكان معروبا بينهم واخذوا المخلاة بلما قرءوا الكتاب ابتمروا
على عقر الحمار والتمادى على امتناعهم ثم انصرب رايهم الى جمع
ما كان عليهم لصالح بجمعوه وجللوا الحمار بملحبة مروية واتوا
صالحا بالحمار مجللا ومغارمهم موباة واستعتبوه باعتبهم ومات
صالح بن سعيد بعد ان ملك ثمانية وعشرين عاما بولوا ابنه
سعيدا وكان اصغر ولده بلما توطد له الامر واستوسق دخل
عليه عبيدهم الصقالبة يسالوه العتق بقال لهم انتم جندنا
وعبيدنا وانتم كالاحرار لا تدخلون ى المواريث ولاتجرى عليكم
المغاسم بما طلبكم للعتق بالحوا عليه ى ذلك بابى بناله منهم
جباء وغلظة وقدموا اخاه عبيد الله وعمه الرضا المكنى بابى على
وزحبوا بهما الى القصر بحاربهم سعيد من اعلى القصر بالعتيان
والنساء حتى انهزموا وقامت عليهم العامة باخرجوهم الى قرية
بون المدينة تعرب بقرية الصقالبة بتحصنوا بها سبعة ايام وحشر

سعيد فخرج اليهم وظفر بهم بعد حرب شديدة وكان الرضا عمه وصهره كانت ابنته طالت تحته فحبسه مع اخيه عبيد الله وقتل من خرج معهما من بنى عمه منهم الاغلب وابو الاغلب ثم وكل باخيه عبيد الله من اوصله الى مكة فاقام بها حتى مات فامتعض سعادة الله بن هارون وهو ابن عم الاغلب لقتل ابن عمه وقال قتل سعيد ابن عمى وابقى عمه واخاه وذنبهما واحد فالب عليه بنى يصلیتن اصحاب جبل ابى الحسن وعقد امره معهم وسعادة الله مع سعيد بنكور وهو لا يعلم فلما اعلن بنو يصليتن بالخلاف على سعيد جمع اصحابه وخرج اليهم ومعه سعادة الله فلما التحمت الحرب تحيز سعادة الله فيمن تبعه الى بنى يصليتن وخذل سعيدا فانهزم واخذت بنو يصليتن بنوده وطبوله وقتلوا من مواليه نحو الف رجل واتوا مع سعادة الله حتى حاصروه بنكور فكانت لسعيد الكرة عليهم فهزمهم واسر ميمون بن هارون اخا سعادة الله وقتله وسار سعادة الله الى تمسامان وحرق سعيد دوره واخربها ثم صالح سعيدا فانصرف الى نكور وكان شجاعا بئيسا وخرج بعد ذلك في خاصته الى بلاد بطوية وبنى ورتدى بادخلوه فلوع جارة وبهد بهم الى مرنيسة وربانة فقتل واستفاد له جميع ذلك البلد وانصرف سعادة الله الى مدينة نكور فاقام بها مصافيا لسعيد ۞ تزوج احمد بن ادريس بن محمد بن سليمان ابن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن على بن ابى طالب اخت سعيد ام السعد بنت صالح وابتنى بها وسكن معها مدينة نكور الى ان مات ولما تغلب عبيد الله الشيعى كتب الى اهل المغرب يدعوهم الى الدخول فى طاعته والتدين بامامته فكتب بمثل ذلك الى سعيد بن صالح وكتب فى اسفل كتابه ابياتا كثيرة منها

فان تستقيموا استقم لصلاحكم وان تعدلوا عنى ارى فتلكم عدلا
واعلو بسيفى قاهرا لسيوفكم وادخلها عفوا واملوها قتلا
فاجاب رجل من شعراء الاندلس من اهل طليطلة امره يوسف
ابن صالح وتلقب بالاحمس وكان شاعر ال صالح فى ذلك العصر
بابيات كثيرة منها
كذبت وبيت الله لا تحسن العدلا ولا علم الرحمن من قولك الفضلا
فما كنت الا جاهل ومنافق تمثل للجهال فى السنة المثلا
وهمتنا العليا لدين محمد وقد جعل الرحمن همتك السفلا
فكتب عبيد الله الشيعى الى مصالة بن حبوس عامله على تاهرت
يامره بالمسير الى بلد نكور ومحاربة سعيد بن صالح فخرج مصالة
لذلك من تاهرت فى غرة ذى الحجة سنة اربع وثلاث مائة فنزل من
مدينة نكور على مسيرة يوم بموضع يقال له نسافت فخرج اليه
سعيد بن صالح فحاربه ثلاثة ايام مكافيا له وكان مع سعيد رجل
من شجعان البرابر واعلامهم يقال له حمد بن العياش من بنى
يطوفت دعته نفسه الى ان يقصد محلة مصالة فيفتك به فوافى
المحلة فى سبعة فوارس واقتحم على مصالة فتصايح الناس وكاثروهم
فاخذ حمد اسيرا ومن معه فامر مصالة بضرب اعناقهم فقال حمد
ليس مثلى يقتل قال مصالة ولم قال لانك لا تطمع بسعيد الا فى
وعلى يدى فاستبقاه وقربه والطف مكانه حتى انس به ثم اعطاه
قطعة من العسكر فقصد بها من جانب كان يعلم الغرة به حتى
دخل عسكر سعيد من المامن ومن حيث لايظن ففرق جمعه
وغشى سعيدا ما لم يتاهب له وتتابعت عليه العساكر فنظر امرا
لا يستطيع المقام عليه فبعث الى مدينة نكور فاخرج كل من كان
فى قصره وما معهم وصاروا بجزيرة فى مرسى نكور ومعهم صالح بن

سعيد وادريس والمعتصم ابنا سعيد اخواه وظاهر سعيد بين درعين هو وفتيانه وخاصته وقاتل حتى قتل واستبيح عسكره ودخل مصالة مدينة نكور يوم الخميس لثالث خلون من المحرم سنة خمس وثلاث ماية وانتهب مدينة نكور وسبى النساء والذرية وبعث بالفتح الى عبيد الله وبعث براس سعيد بن صالح ومنصور ابن ادريس بن صالح وغيرهم من بنى صالح بن منصور بطيب بها في مدينة القيروان ونصبت بمدينة رقادة وفي ذلك يقول ابو جعفر احمد بن المروذى في ارجوزة له

لما طغى الارذل وابن الارذل ... في عصبة من الطغام الجهل
قال نكور دون ربى معقلى ... اتاه مختوم القضاء الفيصل
من الاله كالحريق المشعل ... تحل ارضا طال ما لم تحلل
حطم اهل كفرها بالكلكل ... وجاء راس راسها المبذل
على القنا من الرماح الذبل ... ذو لمة شاعثة لم تغسل
ولحية غبراء لم ترجل

وركب من نجا من ذرية سعيد بن صالح واهله البحر من مرسى نكور ونزلوا مالقة وبجانة فامر عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله بانزالهم والتوسع لهم وحباهم بالكساء الرفيعة والصلات الجزلة وخيرهم بين المقام بدار مملكته او المقام بمالقة فاختاروا المقام بمالقة لقربها من بلدهم ورجائهم الفيئة اليه وتكرر مصالة في البلد نحو ستة اشهر ثم استخلف عليه رجلا من اصحابه يقال له دلول وانصرف الى تاهرت فافترق عن دلول من كان معه من المشارقة وبقي في قل من اصحابه فلما صح الانباء بذلك عند بنى سعيد ازمعوا الانصراف الى بلدهم ثقة بمحبة رعيتهم لهم وميلهم اليهم فاتفقوا على ركوب البحر في مراكب مختلفة فمن وصل منهم قبل

صاحبيه بالولاية له وهم ادريس والمعتصم وصالح فركبوا البحر من ذلك الموضع في ليلة واحدة ووقت واحد وريح واحد فوصل اصغرهم سنّا صالح بن سعيد الى مرسى نكور من ليلته واصبح له بالمرسى المعروف بوادى البقر بتمسامان فتسامع البربر بقدومه فتسارعوا اليه من كل جانب واتوه من كل جهة وعقدوا له الامرة ولقبوه باليتيم لصغره وزحفوا الى دلول فاخذوه وجميع اصحابه فصلبوا اجمعين على ضفتى نهر نكور وكتب صالح بالفتح الى عبد الرحمن بن محمد فقرئ كتابه بجامع قرطبة ونسخه في ساير بلاد الاندلس وامر بامداد ال صالح بما يجمل من الاخبية الشريفة والالة الحسنة والكساء الرفيعة والسروج والحلى والبنود والطبول والدروع وجميع السلاح حتى عوضهم الله عز وجل اكثر مما زال عنهم فتوطد الملك لصالح بن سعيد واعتاق البحر اخويه شهرين يترددان فيه ثم وصلا بعده الى نكور سالمين فسلما له الامر ومات صالح بن سعيد بعد ان ملك عشرين سنة ولم يزل ال صالح في السنة والجماعة والتمسك بمذهب مالك بن انس رضى الله عنه وكان سعيد وابوه صالح يصليان بالناس ويخطبان ويحفظان القرءان فولى الامر المويد بن عبد البديع بن صالح بن سعيد بن ادريس بن صالح بن منصور فزحف اليه موسى بن ابى العافية فحاصره حتى تغلب عليه فقتله واستباح المدينة وانتهبها وهدم اسوارها وخرب ديارها ونسف اثارها وتركها بلاقع تسفى عليها الرياح وتعاوى فيها الذياب وبلغ منها ما لم يبلغ بعضه مصالة بن حبوس وذلك سنة سبع عشرة وثلاث ماية ثم ولى ابو ايوب اسمعيل ابن عبد الملك بن عبد الرحمن بن سعيد بن ادريس بن صالح فبنى المدينة القديمة التى اسسها صالح بن منصور وعمرها واعاد

السون بيها وسكنها الى سنة ثلاث وعشرين وثلاث مـــاية بعبيهـا اخرج ابو القاسم صاحب افريقية صندلا الفـتى الاسود الى ارض المغرب مددا لمنصور الفتى اذ ابطا خبره عليه فخرج صندل من المهدية في جمادى الاخرة سنة ثلاث وعشرين وثلاث ماية بوصل جراوة لحسن بن ابى العيش باستراح بها اياما ثم سار الى هَرّاس وكتب الى اسمعيل بن عبد الملك صاحب نكـــور يامره بالقدوم عليه وقد كان خرج من نكور وصار بقلعة اكرى ببعث اليه رسلا وكتب انه في الطاعة بلم يرض صندل بذلك وبعث اليه رسلا يستحثونه في المسير اليه بقتلهـم اسمعيـل عن اخرهم بلمـــا اتى صندلا خبر قتلهم زحف الى قلعة اكرى بنزل قريبا منها بموضع يقال له نسابت وهو الموضع الذى قتل بيه مصالة بن حبوس سعيد ابن صالح بغلب صندل على القلعة بعد قتال ثمانية ايام ومعـارك قتل في اخرهـا اسمعيل واكثر اصحابه وذلك يوم الجمعة في شوال من السنة المذكورة وغنم صندل كل ما كان في القلعة من نسـاء اسمعيل وقرابته واخذ له ولدين طفلين وولى على المدينة رجـلا من كتامة اسمه مُرمازوا وصار الى صاحبه ميسور وهـو على باس يحاصرها وكان موسى بن المعتصم بن محمد بن قرة بن المعتصم ابن صالح بن منصور وموسى هو المعروب بابن رومى بجبل ابى الحسن مع بنى يصليتن بلما زال صندل تراجع اهـــل نكور وقدموا على انبسهم ابن رومى وقتلوا مرمازوا وجميع من كان معه وبعثوا براس مرمازوا الى امير المومنين عبد الرحمن بن محمد وقـام على موسى ابن رومى عبد السميع بن جرثم بن ادريس بن صالح بن ادريس ابن صالح بن منصور باخرجه من بلد نكور وذلك سنة اربع وعشرين وثلاث ماية بصار موسى الى الاندلس ونزل بجانة باهله وولده ومعه

اخوه هرون بن رومى ونزل بمالقة ابنا عمه جرثم بن احمد ومنصور ابن الفضل ثم استدعى اهل نكور جرثم بن احمد بن محمد بن زيادة الله بن سعيد بن ادريس بن صالح فعبر البحر اليهم فولوه على انفسهم وذلك سنة ست وثلاثين وثلاث ماية وكان بها الى ذى الحجة سنة ستين وتوالت الولاية هناك فى بنى جرثم الى سنة عشر واربع ماية فغلبت عليهم ازداجة وانتقل بنو جرثم الى مالقة ثم انتقلت ازداجة الى بلدهم بناحية وهران ورجع بنو جرثم الى بلد نكور وهى مدينة المزمّة ثم غلب على بلد نكور يعلى ابن الفتوح الازداجى واخرجوا بنى جرثم من جميع بلاد نكور وهى اليوم بايدى ذرية يعلى بن الفتوح وذلك سنة ستين واربع ماية ۞ ويلى مرسى تمساماں المذكور الى الشرق مرسى كَرَط وهو غير مكن وفيه اثار بينهما خمسة عشر ميلا ويقابله من الاندلس مرسى قرية بُلّس ويقطع الغدير بينهما فى يوم وليلة ويليه الى جانب الشرق طرف هرك وبينهما عشرة اميال تشتى فيه المراكب الصغار وله احساء ويقابله من بر الاندلس مرسى شاط ويقطع الغدير بينهما فى مجرى ونصف ويليه الى الشرق جون بين طرف هرك ومدينة مليلة ويقابل هذا الجون من بر الاندلس مرسى المنكّب بينهما مجريان ويليه الى جانب الشرق مرسى مليلة ونهرها يريق فى البحر وبينه وبين طرف هرك مسيرة اميال ويقابله من بر الاندلس مرسى مدينة شلوبينية ۞

فاما الطريق من مدينة نكور الى مدينة القيروان فمن نكور الى بنى يصليتن على نهر تمساماں ومنها الى نهر كرط مرحلة ثم الى قلوع جارة مرحلة الى وادى ملوية مرحلة الى مدينة جراوة مرحلة فذلك ست مراحل ثم الطريق كما تقدم ۞

وبجاور بلد نكور بلد غمارة فمنه مُجْكَسَة وتنبّا بذلك الصقع ابو محمد حاميم بن من الله بن حَريز بن عمرو بن وجفوال بن وزروال الملقب بالمفتري وببلد مجكسة جبل حاميم المنسوب اليه وهو على مغربة من مدينة تيطاوان واجابه بشر كثير اقروا بنبوته وجعل لهم الصلاة صلاتين عند طلوع الشمس وعند غروبها يسجدون على بطون اكفهم ووضع لهم قرءانا بلسانهم فمما ترجم منه بعد تهليل يهللونه ۞ حُلّني من الذنوب يا من يحمل البصر ينظر في الدنيا حلني من الذنوب يا من اخرج موسى من البحر ۞ ومنه ۞ امنت بحاميم وبابي خلف ۞ يريدون ابا حاميم وكذلك كان يكنّى ۞ وامن راسي وعقلي وما اكنّه صدري وما احاط به دمي ولحمي وامنت بتانفيت ۞ وهي عمة حاميم اخت ابي خلف من الله وكانت كاهنة ساحرة وكانت لحاميم ايضا اخت تسمى دجّو وكانت ساحرة كاهنة من اجمل الناس وكانوا يستغيثون اليها في كل حرب وضيق ويزعمون انهم يجدون نفعها وفرض عليهم صوم يوم الخميس كله وصوم يوم الاربعاء الى الظهر فمن اكل فيهما غرم خمسة اثوار لحاميم ووضع لجميعهم صوم سبعة وعشرين يوما من رمضان وابقى فرض صوم ثلاثة ايام والفطر الرابع وجعل عيدهم في الثاني من الفطر وفرض زكاتهم العشر من كل شيء واسقط عنهم الحج والطهر والوضوء واحل لهم اكل لحم الخنازير وقال ۞ انما حُرّم ذكورها وذلك في قرءان محمد ۞ صلى الله عليه وسلم وحرّم عليهم الحوت حتى يذكّى وحرم عليهم البيض من جميع الطير وانشد ابو العباس فضل بن مفضل بن عمر المذحجي لعبد الله بن محمد المكفوف الطنجي يهجو حاميم ويذكر فسقه

وقالوا افتراء ان حاميم مرسل   اليهم بدين واضح الحق باهر

بقلت كذبتم بدد الله شملكم فما هو الا عاهر وابن عاهر
فان كان حاميم رسولا فانني بارسال حاميم لاول كافر
رووا عن عجوز ذات افك بهيمة تعاون في اسحارها كل ساحر
احاديث افك حاك ابليس نسجها يسرونها والله مبدى السرائر

وقتل حاميم المفترى بمصمودة الساحل من احواز طنجة سنة خمس عشرة وثلاث ماية وكان له من البنين محمد وبه كان يكنى وعبد الله وعيسى ودخل عيسى الاندلس زمن عبد الرحمن بن محمد ولعيسى في بلادهم قدر ويعرف بابن المفترى وبنو وجبوال رهط حاميم ينزلون على نهر راس وهو على ثلاثة اميال من مدينة تيطاوان وكان في بعض جبال مجكسة رجل من السحرة المهرة يعرف بابن كُسية وكان اهل موضعه يسمعون منه ولا يعصونه طرفة عين واذا عصاه احد او خالفه حول كساه التى يلتحف بها فتصيب ذلك الرجل عاهة لحينه اوجايحة وان كانوا جماعة اصابهم مثل ذلك وكان يخيل اليهم كانّ برقة تلوح من تحت كسائه ولبنيه وعقبه حتى الان في تلك الناحية منزلة ومزية وحظوة على سواهم ومن اعاجيب بلد غمارة امرء بوحلاوت وكان في بني شداد منهم وكان معه عدل مملوة برءوس الحيوان وانيابها من بريها وبحريها قد نظمها في حبل واتخذها كالسبحة فاذا ساله احد عن شيء من الحدثان وما هو كاين علق منه ذلك السبحة وقلده اياها ثم قلقلها عليه وانتزعها وجعل يشمها قطعة قطعة الى ان تمسك في يده ما امسك منها ثم طفق يخبره خبره وما الذى سال عنه وعما يدور له من مرض او موت او ربح او خسران او اقبال او ادبار او عبرة او غير ذلك فلا يكاد يخطى ومن اعاجيب بلد غمارة ان عندهم قوما يعرفون بالرقّادة وهم في وادى لو عنه

بنى سعيد وعند بنى فطيطن وعند بنى يروتن يغشى على الرجل منهم يومين وثلاثة بلا يتحرك ولا يستيقظ ولو بلغ به اقصى مبلغ من الاذى ولو قطّع قطعا فاذا كان بعد ثلاثة من غشيته استيقظ كالسكران ويكون يومه ذلك كالواله لا يتجّه لشيء فاذا اصبح في اليوم الثانى اتى بعجايب مما يكون في ذلك العام من خصب او جدب او حرب او غير ذلك وهذا امر مستفيض لا يخفى واخبرنى غير واحد انه راى بمرسى بادس رجلا قصير القامة مصفر اللون يكرمه اهل ذلك الموضع ويخدمونه ويذكرون انه يقبط المياه في المواضع التى لم يعهد فيها ماء عيونا وابارا وانه يخبر بقرب الماء وبعده وانه انما يستدل على ذلك باستنشاق هواء ذلك الموضع لا غير والمواربة عند اهل تارة كلها متعارفة يفخر بها نسوانهم وذلك ان الرجل اذا دخل بامراته البكر واربها شباب اهل ناحيتها فاحتملوها وامسكوها عن زوجها شهرا واكثر ثم يردونها وربما فعل ذلك بها مرارا على قدر جمالها ومقدار الرغبة فيها تفضل لذاتها ولا يتم اكرام الضيف عندهم الا بان يونسوه بنسائهم الايامى منهن فيبيت الرجل مع ضيفه اخته الثيب او بنته او من لم تكن ذات زوج من نسائه ولا يتركون ذا عاهة يستقر ببلدهم ويقولون انه يفسد النسل وهم يرغبون في الرجل الجميل الشجاع وهم مخصوصون بالجمال ولهم شعور يسدلونها كشعور النساء ويتخذونها ضفاير ويطيبونها ويتعممون بها ۞

۞ ذكر مدينة سبتة ۞

وهى على ضفة البحر الرومى وهو بحر الزقاق الداخل من البحر

المحيط وهي في طرف من الارض داخل من الغرب الى الشرق نبعف
جدا والبحر محيط بها شرفا وشمالا وفبلة ولو شاء ساكنوهـــا ان
يوصلوه من ناحية الشمال لوصلوه فتكـــون جزيرة منقطعة وفد
حفر من تقدم في ذلك الموضع نحـــو غلوتين وهي مدينة كبيرة
مسورة بسور صخر محكم البناء بناه عبد الرحمن الناصر لدين الله
وحماماتها يجلب اليها الماء على الظهر من البحر وبمدينتها حمـــام
فديم يعرف بحمام خالد ولها ربض من جانب الشرق فيه ثلاثة
حمامات وجامعها على البحـــر القبلي المعروف ببحر بسـول له خمسة
بلاطات وفي صحنه جبّان ولها مقبرة في الجبل ومقبرة اخرى بجوفيها
على بحر الرملة واهلها عرب وبربر فعربها تنتسب الى صدف وبربرها
من ناحية اصيلة والبصرة ولم تزل دار علـم وفي شرقيها جبـــل
منيف كان محمد بن ابي عامر ابتدا فيه بناء سور لم يتم وهذا
الجبل مطل على الربض المذكور الذى فيه الحمامات وما بينها كروم
ودار الامارة في جوفي المدينة وطولها من السور الغربي الذى يدخل
منه المدينة قاطعا الى اخر الجزيرة خمسة اميال والمدينة في الجانب
الغربي منها ولسورها الغربي تسعة ابراج والبـــاب في البرج الاوسط
وبين يدى هذا السور سور لطيف يستر الرجـــل ويتصـــل به
خندق منيف عريض عليـه قنطرة خشب امامهـــا بستان وابار
ومقبرة والسور القبلي على اجراف عالية والشرقي والجوفي فيه تطامن
ولها باب ثان مما يلي الجوف في برج يعرف ببرج سابق يدخل منه
الى دار الامارة وذرع المدينة من السـور الغربي الى الشرقي العـــان
وخمس ماية ذراع وذرع مـا ياخذه نقاب الربض المتصـــل بالسور
الغربي سبعة الاف واربع ماية ذراع وهي مدينة قديمة سكنها الاول
وبها اثارهم بقايا كنايس وحمامات ومـــاؤه مجلوب من نهر اويات

مع ضفة البحر القبلي في فنا الى الكنيسة التي هي اليوم الجامع وكان صاحبها اليان وهو الذى اجاز طارق بن زياد واصحابه الى الاندلس فلما غزا عقبة بن نافع القرشي ارض المغرب وصار الى سبتة خرج اليه اليان بهدايا وتحف ورغب اليه في الامان بامنه واقره في موضعه ثم دخلها العرب بعد ذلك بالصلح وعمروها ثم قام عليهم برير طنجة فاخرجوهم منها وافقروها فبقيت خرابا يعمرها الوحش مدة ثم دخلها رجل من غمارة يسمى ماجكن وكان مشركا فعمرها واسلم وراس فيها ثم وليها بعد هلاكه ابنه عصام ثم ابن ابنه مجبر بن عصام وفي دولتهم دخلها قوم كثير من اهل فلسانة ايام الفتن فاشتروا من البربر وبنوا فيها واستوطنوها وكانوا مع ذلك يودون الطاعة الى قريش العدوة من الحسنيين حتى افتتحها عبد الرحمن الناصر لدين الله وواليها الرضى بن عصام بعد موت اخيه مجبر ودخلها عامله وقايده فرج بن عفير يوم الجمعة في صدر ربيع الاول سنة تسع عشرة والمسلك من سبتة الى طنجة على طرق وهي مساكن قبايل مصمودة كلها ۞

۞ ذكر طنجة ۞

فاما كورة طنجة فهي مساكن صنهاجة وطريف الساحل من مدينة سبتة الى طنجة تخرج من المدينة في بسيط تعمره نحو ميل ثم تدخل في حد بنى سمغرة وهم اهل جبل مرسى موسى ثم تخرج الى وادى مدينة اليمّ والقصر الاول وبطون مصمودة تتشعب من اربع قبايل دغاغ واصادة وبنى سمغرة وكتامة وبطون صنهاجة تفترق من قبيلتين من فار بن صنهاج وحزمار بن صنهاج

و فى القصر الاول سكنى بنى طريف وحوله غراسات كثيرة وتدخل المراكب فى هذا الوادى الى حايط القصر وبين مخرج هذا الوادى وموقعه فى البحر نحو سكتين ومن سبتــة الى هذا القصر مرحلة ومن القصر الى طنجة مرحلة قـال محمـــد بن يوسف اذا خرج الخارج من طنجة الى سبتة فى البحر فانه ياخذ الى جانب الشرق واول ما يلقى جبل المنارة ثم مرسى باب اليم وهو غير مكــن وفيه سكنى ورباط وواد لطيف يريق فى البحر وبين طنجة وبينه ثلاثون ميلا فى البر وفى البحر نصف مجرى ويقابل باب الـــيم من جزيرة الاندلس مرسى جزيرة طريف وبينهما ثلث مجرى ثم يلقى بعد باب اليم وادى زلول عليه ثمار وعمارة كثيرة ثم وادى باب اليم يصب فى البحر حوله بساتين وعليه سكنى وعمارة لمصمودة ثم حجر نابت فى البحر يعرف بالمبخة ثم مرسى موسى وهو مرسى مـــامون مشتى الا من اللبش وفيه نهر يريق فى البحر وكان عليه حصن هدمه بنو محمد ومصمودة سنة اثنتين وثلاث ماية ثم بناه امير المومنين الناصر فهدموا ايضـــا سنة اربعين وحول هذا الحصن فى غربيه قبايل من البربر فى ساحل رمل فيه ماء طيب وهو متصيد اهــل سبتة وبين مرسى موسى ومرسى باب اليم فى البر ثمانية اميال وبازاء مرسى موسى من الاندلس مرسى بورت لــب وبقطع الغدير بينهمــا فى نصف مجرى ومرسى موسى اكثر بقع الارض قردة وهى تحكى ما ترى من فعل من يمر بها من الناس فاذا راءت النواتى يجذفون فى القوارب اخذت عيدانا وجعلت تحكى عملهم ويليه مرسى جزيرة تُورة وفى برة قرية تعرف بتورة فنسبت الجزيرة والمرسى اليهـــا وهى جزيرة فى البحر كهية جبـل منقطعة من البر يقابلها فى البر على شاطى البحر اجراف عالية والمرسى بينهـا وبين تلك الاجراف ثم

مرسى بليونش وبليونش قرية كبيرة اهلة كثيرة الفواكه وبغربيها
نهر يريف في البحر عليه الارحاء وبينه وبين مرسى جزيرة تورة في
البر خمسة اميال ثم موضع يعرف بالقصر على خندق يجرى فيه ماء
كثير في الشتاء ويقل في الصيف وبهذا القصر اثار للاول من افباء
وغير ذلك ثم موضع يعرف بماء الحياة عيون على ضفة البحر منبعة
بين احجار من تحت شرف رمل طيبة عذبة يصل اليها الموج وينبط
الماء العذب في هذا الرمـــل بايسر حفر ويذكر ان بهذا الموضع
نسى فتى موسى الحوت ويوجد في ذلك الموضع خـاصة دون غيره
حوت ينسب الى موسى عرضه مقدار ثلثى شبر وطـوله اكثر من
شبر لحمه في احد جانبيه والجانب الاخر لا لحم فيه انما جلدته
على الشوك ولحمه طيب نافع من الحصاة مقو للباه ثم مرسى لطيف
يعرف بمرسى دنّيل بازائه في البر قرية تعرف بهوارة عامرة بها عيون
عذبة ثم حجر نابت في البحر يعرف بحجر السودان ثم مدينة سبتة ⓞ
وطريف البر من سبتة الى موقع وادى المناول في البحر القبـلى من
سبتة ستة اميال ثم الى وادى نجروا ومخرجه من جبـل ابى جميل
وعليه مساكن بنى عجان بن خلف وعلى هذا النهر الموضع المعروف
بالقصر وهو قصر للاول قايم فيه حمـــام وعلى هذا النهر اثار للاول
كثيرة ثم الى نهر اسمير ومنبعثه من جبل الدرقة وجريته من
الغرب الى الشرق وعلى ضفته قرارات لبـنى كترات من مصمـودة
ثم الى الموضع المعروف بقَبْ مُنْت وهو الجبل الداخــــل في البحـر
بقبلى سبتة يسكنه ايضا بنو كترات وبنو سكين ثم الى نهر اليلى
ومنبعثه ايضا من جبل الدرقة ثم الى موضع يعرف بتاورص قرية
عبد الرحمن بن نخل من بنى سكين من مصمودة لهـــا مزارع
وارضون ثم الى مدينة تطاوان وهى بصدر جبـل ايشفار وهو متصل

بجبل الدرفة ويبلغ الى جبل راس الثور الى مـــرسى موسى بالبحر الغربى ومدينة تطاوان على اسفـــل وادى راس وفال محمـــد وادى مجكسة وهذا النهر يتسع هناك وتدخله المراكب اللطاب من البحر الى ان تصل تطاوان ومسافة ما بين البحر وبينهـــا عشرة اميال وهى فاعدة بنى سكين بهـا فصبة للاول ومنار وبهـــا مياه كثيرة سايحة عليها الارحاء وبجوفيها جبل يعرف ببلاط الشوك مركب لبنى سكين ماية فارس وبين مدينة تطاوان وجبل الدرفة سكة وهو فاعدة بنى مرزوق بن عون من مصمودة وسكناهم منه بموضع يفال له صدينة فرية ذات مياه ســـايحة وهى اطيب تلك البلاد مزارع وهذا الجبل فى غـاية المنعة وفى اعلاه مسارح واسعـة ومروج خصبة للماشية وهذه الفرية المذكورة فى فبـلى الجبل وبين الفبلة والغرب منه الجبل المنسوب الى حاميم المفترى المتفدم الذكر وجبل الدرفة يتصل ببلاد غمارة ويسكن اخره من غمارة بنو حسين ابن نصر ثـــم الى نهر راس ومنبعثه من موضع يعرف بتيطّسوان من جبل بنى حاميم ثـــم الى سوق بنى مغراوت وهو اخر بلـد مجكسة فى غـرب راس ويجتمع هذا السوق يوم الثلاثاء وهى جامعة ثم الى فج الفرس وبـه فرارات لفبايل من مصمودة ويركـب لهـم مايتا فارس ثـــم الى مدينة وبنافام وهى كانت فاعدة جـــود بن ابراهيم وهى فى سفح جبل ولها ثمـــار ومـيـاه كثيرة وهى على نهر سسهور وهو بلد طيب ومنبعث سسهور من جبل تامورات وهـــو من مساكن متنة من صنهاجة وبين وينافام وجبل الدرفة ميلان وهو ما بين الغرب والفبلة من المدينة وهو الجبـــل الذى يمتنـع فيه صنهـاجة اذا خالفوا على الملوك وبجبل الدرفة يتصل جبـل حبيب بن يوسف الفهرى وبين الدرفة وطنجة سكتان ۞

فمن الطريق من سبتة الى مدينة تيقيساس فالى وادى راس كما
تقدم ثم تدخل ارض غمارة فتسير فى بنى جعو ثم فى بنى نقفاوة
وهم من بنى حُميد من غمارة ايضا وهم على وادى لاو وهو نهر كبير
تجرى فيه السفن ولهم نتاج معروف وخيلهم معروفة بالحميدية
ثم الى بنى مسارة وهم السكان حول تيقيساس وهم ايضا من بنى
حميد ومن المواضع المشهورة والمنازل المعمورة ما بين سبتة وطنجة
نهر اليان وقصر اليان فيه اثار للاول كثيرة وفى غربى هذا النهر
موضع يعرف بكروشت وهو اخر غمارة ومصمودة ويتصل بهم هناك
متنة من صنهاجة ونهر الخليج وهو شرقى طنجة وموقعه فى البحر
تدخله المراكب وجبل راس الثور يسكنه قبايل كثيرة من
مصمودة ونهر مجاز العرون نهر كبير جدا ونهر فرميول وعنصرة
من جبل عين الشمس وجبل مترارة وهو جبل وعر كثير الشجر
والمياه ومن هذا الجبل الى البحر المعروف بالزقاق وادى الرمل وهو
كثير الثمرة طيب المزارع وعين الشمس عين ثرة فى قرية نصر
ابن جرو عامرة اهلة بها جامع وبساتين كثيرة ويوم سوقها يوم
الجمعة ومن سبتة اليها مرحلة ويتصل بعين الشمس جبل تارمليل
قاعدة بنى راسن لها قرارات حسان وبساتين ومسجد جامع وفى
وسط بلد مصمودة وهذا الموضع يقابل تيطاوان ويتصل هذا
الجبل الى مدينة باب اليم الى البحر الغربى ومجاز فكان وهو موضع
ملوثة يركب لهم خمس مائة فارس وهنالك الموضع المعروف بالرصافة
وكدية تافوغالت وفيها قرارات كثيرة لمتنة يركب منها نحو
ثمانين فارس ونهر اوربة وعنصرة من قرية تعرف بالافولس وحواليه
ارضون كثيرة الربيع طيبة الزرع وفى فنبسانية طنجة ومدينة
طنجة تعرف بالبربرية وليلى افتتحها عقبة بن نافع وقتل رجالها

وسبا من بها وهي على شـــاطئ البحر المعروب بالزفاق مسورة متقنة البنـــاء وهي تحط للسفن اللطاب لان الريح الشرقية توذى بيه وهي طنجة البيضاء القديمة المذكورة بي التواريخ وبها اثار للاول كثيرة قصور واقباء وغيران وحمام وماء مجلوب بي قنا ورخام كثير وصخر منجور وتحتبر خرايبها بتوجد بيها اصناب الجواهر بي قبور اولية وغيرها من المواضع وهي اخر حدود ابريقية بي الغرب وقيـــل ان عمل طنجة مسيرة شهــــر بي مثله وان ملوك المغرب كانت دار مملكتهم طنجة وان ملكا من ملوكهم كان بي عسكره ثلثون بيلا ومسابة ما بين مدينة القيروان وطنجة الب ميل وقد غلب على مدينة طنجة القديمة الرمل والعمارة اليوم بوقها وهنـاك جـامع حسن وسوق عـــامرة وبازاء طنجة بي البحر المحيط وازا جبـــل ادلنت الجزاير المسمــــاة فرطناتش اى السعيدة سميت بذلك لان شعراءها وغياضها كلها اصنـاب البواكه الطيبة العجيبة دون غراسة ولا عمارة وان ارضها تحمل الزرع مكان العشب واصنـــاب الرياحين العطرة بـــدل الشوك وهي بغربي بلـــد البربر مبترقة متقاربة بي البحر المذكور ۞

۞ الطريق من مدينة طنجة الى مدينة باس ۞

من مدينة طنجة الى قلعة ابن خرّوب مرحـلة وهي مدينة كبيرة على ظاهر لها ثمر وشجر وهي كثيرة الزرع والضرع وهي لكتامة من بطون مصمودة وبغرب هذه القلعة قرية كبيرة لعرب خـــولان اهلة كثيرة الخير وهي على نهر زلول وهذا النهر تلقاه قبل الوصول الى قلعة ابن خروب وبالغرب منها ايضا دمنة عشيرة بلد طيب

لصنهاجة ثم فرى متصلة لكنامة الى حـــاضرة سوى كتامى وهى فاعدة ادريس بن الفـــاسم بن ابراهيم كبيرة شريعة على نهر واولكس لها سوى عامرة وجامع ثم تسير الى فصر دبهـاجة وهو على تل وتحته نهر عظيم وبيه اثار للاول وبـه كـــان ينزل ملوك المغرب ى فديم الدهر وجبل صرصر يفبـــلى هـذا الفصر بنزله بطون كنامة واصادة ثم تسير من هذا الفصر الى مدينة البصرة وهى مدينة كبيرة واسعة وهى اوسع تلك النواح مرعـا واكثرها ضرعا ولكثرة البانها تعرى ببصرة الذبان وتعرى ايضـــا ببصرة الكتان كانوا يتبايعون ى بدء امرها ى جميع تجاراتهم بالكتـان وتعرى ايضا بالحمراء لانها حمراء التربة وسورها مبنى بالحجارة والطوب وهى بين شرفين ولها عشرة ابواب وجامعها سبـــع بلاطات وبهـا حمامان ومفبرتها الكبرى ى شرفيها ى جبل ومفبرتها الغربية تعرى بمفبرة فضاعة وماء المدينة زعاق وشرب اهلهـا من بير عذبة على باب المدينة تعرى بيير ابن دلعاء وخارجها ى جنانها عيون كثيرة وابار عذبة ونساء البصرة مخصوصة بالجمال الفايف والحسن .الرايع ليس بارض المغرب اجمل منهن فـــال احمد بن فتح المعروى بابن الخراز التاهرى يمدح ابا العيش بن ابراهيم بن الفاسم

فـــتح الاله اللهـــو الا فينة بصريـــة ى حمرة وبيـــاض
الخمر ى لحظانهـــا والورد ى وجناتهـا والكشح غير معاض
ى شكـــل مرى ونسك مهاجر وعبـــاى سنى وسمـت اباض
تاهرت انـــت خلية وبرية عوضتُ منك ببصرة فاعتـاض
لا عذر للحمراء ى كلـــبى بها او تستعيـــض بابحر وحياض
ما عذرها والبحر عيسى ربها ملــك الملوك ورايض الرواض

ومدينة البصرة محدثة ايضا اسست ى الوفت الذى اسست بيه

اصيلة او قريبا منه ومن مدينة البصرة الى نهر ردات مرحلة وهو في اصل جبل وفي اعلى الجبل مدينة تسمى كُرت وهي اليوم خربة ومن كرت الى موضع يقال له حنّاوة قال محمد جنبارة ويعرف بالجبل الاشهب وهي قرى كثيرة عامرة ومنه الى قرية صغيرة على نهر عظيم يسمى سبوا مرحلة ومنه الى مدينة فاس مرحلة ۞ ومن اخذ من طنجة على اصيلة فمن طنجة على مدينة اصيلة مرحلة ثم الى سوق كتامى المذكور قبل هذا ۞ ومن مدينة البصرة طريق اخر الى فاس فمنها الى وادى ورغة ثم الى مدينة ماسنه مرحلة وهي مدينة عيسى بن حسن الحسنى المعروف بالحجام وهي على نهر كبير ثم الى مدينة سداك في بلد مغيلة وهي قاعدة خلوف بن محمد المغيلى ثم الى مدينة فاس فذلك سبعة ايام ۞ ومدينة اصيلة اول مدن العدوة من جانب الغرب وهي في سهلة من الارض حولها رواب لطاف والبحر بغربيها وجوفيها وكان عليها سور له خمسة ابواب وجامعها خمسة بلاطات واذا ارتج البحر بلغ الموج الى حايط الجامع وسوقها حافلة يوم الجمعة وماء ابار المدينة شريب وبخارجها ابار عذبة بير عدل وبير السانية وابار كثيرة ومقبرتها في شرقيها ومرساها مامون والمدخل اليه من الشرق ويستدير بالمرسى من ناحية الجوف جسر من حجارة مخلوقة تكف عن السفن المرفاة فيها هيجان البحر ومدينة اصيلة محدثة وكان سبب بنيانها ان المجوس خرجوا في مرساها مرتين فاما الاولى فاتوا قاصدين وزعموا ان لهم بها اموالا وكنوزا فاجتمع البربر لقتالهم فقالوا لم نات بالحرب وانما لنا كنوزا في هذا الموضع فكونوا ناحية حتى نستخرجها ونشاطركم فيها فرضى البربر بذلك واعتزلوا وحفر المجوس موضعا فاستخرجوا دخنا كثيرا عفنة

بنظر البربر الى صعرته بظنوه ذهبا ببدروا اليه وهرب المجوس الى مراكبهم واصاب البربر الدخن بندمـــوا ورغبوا المجوس في الخروج واستخراج المال بابوا وقالوا قد نقضتم عهدكم بلا نثق بعذركم وساروا الى الاندلس بحينئذ خرجوا باشبيلية وذلك سنة تسع وعشرين ومايتين في ايام الامام عبد الرحمن بن الحكم واما خروجهم الثاني هنـــاك بان الريح قذبتهم في ذلك المــــرسى من الاندلس وعطبت لهم على باب المرسى من ناحيـة الغرب مراكب كثيرة ويعرب ذلك الموضع بباب المجوس الى اليوم باتخذ الناس موضع اصيلة رباطا بانتأبوه من جميع الامصار وكانت تقوم بيه سوق جامعة ثلاث مرات في السنة وهو وقت اجتماعهم وذلك في شهر رمضان وفي عشر ذي الحجة وفي عاشوراء وكان الموضع ملكا للواتة بابتنى بيه قوم من كتامة واتخذوه جامعا وتسامع الناس امرها من الاندلس واهل الامصار بقصدوها في الاوقات المذكورة بضروب السلع وخيموا بيها ثم بنوا شيًا بعد شيء بعمرت بقدمها القاسم بن ادريس بن ادريس بملكها وبنى سورها وقصرها وبها قبره ووليها ابراهيم ابنه ثم حسين بن ابراهيم ثم القاسم بن حسين ثم صار امرها الى حسن الحجام منهم حتى استولى عليهم ابن ابي العافية على ما تقدم وكـــان الحجام يستعمل عليها الولاة قالوا وتعسير اصيلة جيدة وبقبـــلى اصيلة قبـــايل لواتة وبنو زياد من هوارة زلول وبغربيها هوارة الساحل وغار كبير على البحر اذا مد وصل اليه وبين القبلة والغرب منها عين تعرب بعين الخشب ثرة وبقبليها خندق يعرب بخندق المعزة وخندق اخر يعرب بخندق السرادق وبغربيها خندق يعرب بتاشت فيه مراعي مواشي اهلها ۞ وكيلهم يسمى مدا وهو عشرون مدا بمد النبي صلى الله عليه وسلم مثل

العنفة الغرطبية وكبل الزيت يسمونه فلبلة وهى مابة واثنتا عشرة اوفية بـبى الفنطار عشرون فليلة ۞ واصيلة بغربى طنجـــة واول ما يلفى الخارج من مدينة اصيلة واديها وهو يخاض ثم مسجد عن يمين الطريف ثـــم وادى نبرش يخاض ايضا وهى فرية اهلة عامرة كثيرة الثمــار والعيون وهى للواتة بينها وبين البحر فدر نصف ميل ثم ساحل رمل ثم نهر كبير يعبر بى المراكب عليه سكنى اهل تاهدارت وهى فرية كبيرة عامرة بهـــا ملاحة ثم ساحل رمل ثم بركة عذبة وهى بركة فدر مايتى ذراع بيها ماء عذب بينها وبين البحر نصف ميل بى فبليها حجارة عـــالية يهب من هده البركة ريح عاصبة شديدة تودى المراكب وتغلبها اذا غفل ركابها ثـــم ساحل يفابله بلد سطة ثم جربة يصعد منها الى فرية كغمارية بها يفطع الطواحن عامرة لصنهاجة ثم جبل اشبرتال داخـــل بى البحر متصل بالبر بيـــه عيون عذبة ومسجد رباط وبين الجبـــل ومدينة اصيـــلة ثلاثون ميلا واذا اخرمت المراكب من اشبـرتال بالريح الشرفية لم يكن لهـــا بد من البحر المحيط الا ان تدور الريح الغربية ويفابل جبل اشبرتال من الاندلس جبـــل الاغر على سمت واحد ويفطع الغدير بينهما بى ثلثى تجرى بالريح الفبلـــية من ذلك البــر ومن الاندلس بالريح الجوبية ثـــم تسير من هذا الموضع الى موضع يعرب بالغالة ثـــم الى مدينة طنجة ومن جبل اشبرتال الى مدينة طنجة اربعة اميال ۞

۞ الطريف من سبتة الى باس ۞

من سبتة الى دمنة عشيرة المذكورة مرحلة ومنها الى موضع يعرب

بالكنيسة قرية معيدة على ظاهر لكتامة ثم الى وادى مغار لكتامة ايضا قرار كبير بلد للزرع والضرع الى الحجر المعروف بحجر النسر قاعدة بنى محمد فى الغرب منه بلد رهونة وفى الشرق بنو جتركان من غمارة وتفترق الطريق من الحجر فمن تيامن ياخذ الى افتس مدينة حنون بن ابراهيم لكتامة وهى مدينة صالحة كثيرة الخير وهى من الحجر غربا وهى على نهر واولكس المذكور قبل هذا وجريته من الشرق الى الغرب وهو يلقيه عند افتس اليها ثم يهبط الى مدينة سوق كتامى فيسمى هناك واولكس ثم الى مدينة تشومس مدينة ميمون بن القاسم وهى مدينة اولية عليها سور صخر كبيرة اهلة كثيرة المياه والثمار ويسمى بذلك الموضع بسعدد وبنسع هناك وعليه رباط يعرف برباط حارة الاحشيس وهى قرية اهلة يتصل بها نحص مديد يعرف بحص ابى شيار ثم تسير من افتس الى زجوكة مدينة ابراهيم بن محمد ومنها قام ابراهيم وبنوه وملكوا دار طنجة الى حد سبتة وهى لزرهونة وبعدها مدينة بُجّاجين مدينة جيدة معيدة على نهر عذب بها جامع واسواق وحمام ويعرف بالجبل الاشهب وهو على نهر سوسف نهر كبير كنهر قرطبة وهى من بلد جنيارة وفيها عيون وهى لجنون بن محمد سكانها بنو مسارة من مصمودة وبعدها مدينة اصادة وبها اثار للاول ذات اعناب واشجار كثيرة وهى بقبلى بجاجين بينهما ستة اميال ويجاورها على الطريق اربعة اصنام ثم تاتى مجاز للخشبة على وادى ورغة فى بلد شريف وقرارات كثيرة شبيهة بالمدن ثم قرى متصلة اكبرها فرزاوة بنى حُصين الى بلد مغيلة فترقى عقبة الاغارق وتلقى حصن زالغ على يسار الطريق ثم قلعة ورطيطة ثم نحص محلّى ثم قرية خندق سدّرواغ يفترق من هناك الطريق

الى كلتى عدونى فاس ودلك مى مدينة سبتة الى فاس ستة ايام ۞
وطريف اخر الى ڢاس من سبتة الى تيطاوان مرحلة اول ما ياتى لخارج
من سبتة وادى اوياب يجرى ڢ خندن عليه ارحاء شتوية وبينه
وبين المدينة ميلان ومنه جلب اليان المـــاء الى سبتـة على ازاج
وبعضها قايم ڢ تلك لخنادن الى اليوم ثـــم الى وادى نكره ثـم
الطريف كما تقدم من سبتة الى طنجه حتى ياتى ڢج العرس ثـم الى
ڢج الصارى بطرف جبل حبيب بن يوسف وهو جبل كثير العيود
وبسند هذا الڢج مما يلى لجوب حارة تعرف بمراد وبين هذا الڢج
ومدينة اڢتس مرحلة ثم من اڢتس كما تقدم انڢا وبين الڢج
واڢتس قلعتان احداهما قلعة ابن خروب المذكورة ۞

۞ ذكر مدينة ڢاس ۞

ومدينة ڢاس مدينتان مقترنتان مسورتان وبينهما نهر يطرد وارحاء
وقناطر وعدوة القرويين ڢ غربى عدوة الاندلسيين وعلى باب دار
الرحل ڢيها رحاه وبستانه بانواع الثمر وجداول الماء تخترق داره
وبالمدينتين ازيد من ثلاث مائة رحا وبينهما نحو عشرين حماما
وهى اكثر بلاد المغرب يهودا يختلفون منها الى جميع الاڢاق ومن
امثال اهل المغرب ۞ ڢاس بلد بلا ناس ۞ وكلتا عدوتى ڢاس ڢ
سفح جبل والنهر الذى بينهمـــا مخرجه من عين غزيرة ڢ وسط
مرج ببلاد مطغرة على مسيرة نصف يوم من ڢاس واسست عدوة
الاندلسيين ڢ سنة اثنتين وتسعين ومـــاية وعدوة القرويين ڢ
سنة ثلاث وتسعين ومائة ڢ ولاية ادريس بن ادريس ومات ادريس
بمدينة وليلى من ارض ڢاس على مسافة يـــوم من جانب الغرب

وكانت وفاته سنة ثلاث عشرة ومايتين فى شهر ربيع الاول ولعدوة الاندلسيين من الابواب باب الفتوح قبلى منه يخرج الى القيروان وباب الكنيسة شرقى يقابل ربض المرضى وباب ابى خلوف شرقى وباب حصن سعدون جوفى وباب الحوض غربى بقابل عدوة القرويين وباب سليمان مثله ومن هذين البابين يخرج اهل هذه العدوة الى الحرب اذا كان بينهم اختلاف وتقوم الحرب حينئذ بموضع يعرف بكدية الفول وباب الفوارة وبها جامع حسن فيه ستة بلاطات طولها من الشرق الى الغرب وعدده ارجل كذان وله صحن فسيح فيه اصول جوز وشجر وسانية تعرف بسانية مصمودة غزيرة الماء وبهذه العدوة تفاح حلو يعرف بالاطرابلسى جليل حسن الطعم يصلح بها وله غلة ولا يصلح بعدوة القرويين وسميد عدوة الاندلسيين اطيب من سميد القرويين لحذقهم بصنعته وكذلك رجال عدوة الاندلسيين اشجع وانجد من القرويين ونساؤهم اجمل من نساء القرويين ورجال القرويين اجمل من رجال الاندلسيين ولعدوة القرويين من الابواب باب الحصن الجديد قبلى يخرج منه الى زواغة وباب السلسلة شرقى يخرج منه الى عدوة الاندلسيين وباب القناطر شرقى وباب سياج يحيى بن القاسم جوفى يخرج منه الى المخاض والى وشتاتة ومغيلة وباب سوق الاحد غربى يخرج منه الى زواغة وبها جامع فيه ثلاثة بلاطات طولها من الشرق الى الغرب بناه ادريس بن ادريس وله صحن كبير فيه زيتون وشجر وله سقايف وبها نحو من عشرين حماما وهى اكثر بساتين ومياها وعدوة الاندلسيين يجرى الماء عليهم اولا ويجود بهذه العدوة الاترج ويعظم ولا يجود بعدوة الاندلسيين وكلتا العدوتين جليلة الخطر عظيمة القدر وموقع وادى فاس بوادى سبوا وفى غربى عدوة

الفرويين في بلد معيلة موضع يقال له السيخ ساخ باهله ومن هذا الموضع انهزم البوري بن ابي العافية سنة احدى واربعين وثلاث مائة هزمه بنو محمد واحتووا على معسكره وبفهر فاس الحوب المعروف بالليبس كثير وقال محمد بن اتحف المعروف بالبجلي

يا عدوة الفرويين التي كرمت لازال جانبك المحبور ممطورا
ولا سرى الله عنك ثوب نعمته ارض تحففت الاثام والزورا

وانشد ابراهيم بن محمد الاصيلي والد الفقيه ابي محمد المفضل ابن عمر المذحجي

دخلت فاسا ولي شوق الى فاس والجبن باخذ بالعينين والراس
فلست ادخل فاسا لو حييت ولو اعطيت فاسا بما فيها من الناس

وقال احمد بن فتح قاضي تاهرت في كلمة له

اسلم على كل فاسي مررت بـه في العدوتين معا لا تبغين احدا
قوم غذوا اللوم حتى قال قايلهم من لا يكون لئيما لم يعش رغدا

ومدهم يسع من الطعام ثمانين اوقية ومديهم يسمونه اللوح وفيه من هذا المد ماية وعشرون مدا وجميع الماكولات من الزيت والعسل واللبن والزبيب يبـاع عندهم بالاوان ۞ وحواليهـا من قبايـل البربر ترهنة ومغيلة واوربة وصدينة وهوارة ومكناسة وزواغة ۞ ولما وصل موسى بن نصير الى طنجة مال عياض بن عقبة الى قلعة يقال لها سقوما على مقربة من فاس ومال معه سليمان بن ابي المهاجر وسالا موسى الرجوع معهمـا فابى وقال هولاء قوم في الطاعة فاغلظا له القول حتى رجع فقاتل اهل سقوما فكان لهم على العرب ظهور ثـم تسور عليهم عياض بن عقبة من خلفهم في قلعتهم فانهزم القوم واشتد القتـل فيهم فبادوا وقلت اوربة الى اليوم فذكر ابن ابي حسان ان موسى لما افتتح سقوما كتب الى

الوليد بن عبد الملك ان صار الملك يامير المومنين من سبي سعوما
ماية الف راس فكتب اليه الوليد ويحك اظنها من بعض كذباتك
فان كنت صادقا فهذا محشر الامم ۞ وفاس هي دار مملكة بني
ادريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه وكان نزول ادريس عند دخوله المغرب بوليلي
ووليلي وهي طنجة بالبربرية وذكر محمد ان وليلي على مسافة يوم
من فاس وفيها مات ادريس بن ادريس بهذه غير طنجة وهي بغربي
مدينة فاس مدينة عظيمة اولية فنزل على اسحق بن محمد بن
عبد الحميد الاوربي المعتزلي فتابعه على مذهبه وذلك في سنة
اثنتين وسبعين ومائة وخرج الى ماسنة في شعبان سنه ثلاث
وسبعين ومائة وخرج ايضا الى تازي وهو موضع من اعمال بني
العافية يوجد في جبل منه الذهب وهو اعتق الذهب واجوده
وكان خروجه اليها في جمادى الاخرة سنة اربع وسبعين ومائة
ومات بوليلي ۞ وذكر ابو الحسن علي بن محمد بن سليمان النوفلي
عن ابيه وغيره في خروج ادريس الى ارض المغرب غير ما ذكره
المورخون قال ان ادريس بن عبد الله انهزم فيمن انهزم من وقعة
حسين صاحب فخ وكانت وقعة فخ يوم السبت يوم التروية سنة
تسع وستين ومائة فاستتر مدة والح السلطان في طلبه فخرج به
راشد وكان عاقلا شجاعا ايدا ذا حزم ولطف في جملة الحاج
متحاشا عن الناس بعد ان غير زيه والبسه مدرعة وعمامة غليظة
وصيره كالغلام يخدمه وان امره ونهاه اسرع في ذلك فسلما
حتى دخلا مصر ليلا فبينما هما متحيرون يمشيان في بعض طرقها
لاهداية لهما بالبلد اذ مرا بدار مشيدة يدل ظاهرها على باطنها
ونعمة اهلها فجلسا في دكان على باب الدار فراهما صاحب

الدار فعرف فيهمـــا الجـــارية وتوسم في خلقتهمـــا الغربية فقال احسبكما غريبين قالا نعم قال واراكما مدنيين قالا نعـــم نحن كما ظننت فاذا الرجل من موالى بنى العباس فقام اليه راشد وقد توسم فيه الخير فقال له يا هذا قد اردت ان القى اليك شيئـًا ولست افعل حتى تعطينى موثقا ان تفعـــل احدى خلتين اما اويتنا وتتقرب الى الله بالاحسان الينا وحفظت فينا نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم وان كرهت مـــا القيته اليك سترته علينا فاعطاه على ذلك موثقا فقال له هـــذا ادريس بـن عبد الله بـن حسن بن حسن بن على بن ابى طالـــب خرج من موضعه مـــع حسين بن على فسلم من القتل وقد جيت به اريد بلاد البربر فانه بلد ناء لعله يامن فيه ويعجز من يطلبه فادخلهمـــا منزله وسترهما حتى تهيا خروج رفقة الى افريقية فاكترى لهمـــا جملا وزودهما وكساهمـــا فلما عزم القوم على الشخوص قال لهما ان لامير مصر مسالح لا يجوز احد الا فتشوه وهاهنا طريق اعرفها لا يسلكها الناس فانا احمل هذا الفتى معى يعنى ادريس فى هـــذه الطريق الغامضة البعيدة فالقاك به يقول لراشد فى موضع كذا وهنالك تنقطع مسالح مصر فركب راشد فى احد شقى المحمل ووضع متاعه فى الشق الاخر ومضى مع الناس فى القافلة وخرج الرجـــل على فرس له وحمـــل ادريس على فرس اخـــرى فمضى به فى الطريق الغامضة وهى مسيرة ايام حتى تقدم الرفقة واقاما ينتظرانها حتى وردت فركب ادريس مع راشد حتى اذا قربا من افريقية تركا دخولها وسارا فى بلاد البربر حتى انتهيـــا الى بلاد فاس وطنجـــة فاقام ادريس بين ظهرانى البربر حتى انتهى الى الرشيد خبره فكربه وشكا ذلك الى يحيى بن خالد فقال انا اكفيك خبره يا امير المومنين

فارسل الى سليمان بن حريز الجزرى وهو رجـل من ربيعة وكان متكلما ممن يرى راى الزيدية وكان حلـوا شجاعا احـد شياطين الانس وكانت له امامة فى الزيديه اذ كان متكلمهم وهو الذى جمع الرشيد بينه وبين هشام بن الحكم حين ناظره فى الامامة فارغبه يحيى بن خالد فى مـال ووعده عـن نفسه وعن الخليفة بمواعد عظيمة ودعاه الى قتـل ادريس والتلطف فى ذلك فاجابه فاعطاه مالا جزلا ووجه معه رجلا يثق به وبشجاعته ودفع الى سليمان قارورة فيها غالية مسمومة فانطلق مع صاحبه فلم يزالا يتغلغلان حتى وصلا الى ادريس وكان ادريس عالما بسليمـان ورياسته فى الزيدية فلما وصل اليه قال انما جئتك وحملت نفسى على ما حملته عليه لمذهبى الذى تعرفنى به وان السلطان طلبنى هذا لمحبتى فى الخروج معكم اهل البيت فجئتك لامنّ فى ناحيتك وانصرك بنفسى فسره قوله وقبله واحسن مثواه واكرم نزله وانس به وكان سليمـان يجلس فى مجالس البربر ويظهر الدعاء الى ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتج لاهل هذه المقالة كاحتجاجه بالعراق فاعجب ذلك ادريس منه فمكث عنده مدة وهـو يطلـب غرته ويرصد الفرصة فى امره ويرمق باب الحيلة عليه حتى غاب راشد مولاه غيّبه فى بعض اموره فدخل عليه ومعه القارورة فلما انبسط اليه وخلا وجهه فقال جعلنى الله فداك فى هذه القارورة غالية حملتها معى وليس ببلدك من الطيب ما يتخذ هـذا منه فجئتك بها لتطيب بما فيها ووضعها بين يديه ففتحهـا ادريس وتغلف منها وشمها وانصرف سليمان الى صـاحبه وقد اعدّا فرسين قبل ذلك مضمرين فركباهـا وخرجا مركضين يطلبان النجاة فلما وصل السم الى دماغ ادريس وكان فى خياشيمه سقط مغشيا عليه

لا يعقل ولا يدرى من يختص به ما سائه فعمدوا الى راشد فجاءوا
مسرعا وتشاغل بمعالجته والنظر في امره وقطع سليمان وصاحبه
على فرسيهما بلادا في مدة ذلك واقام ادريس في غشيته عامة نهاره
وعروقه تضرب ثم مات وتبين راشد امر سليمان بن حريز فركب
في طلبه في جماعة من اصحابه فجعلت الخيل تنقطع تحت اصحابه
ويتخلفون لشدة السير وحث الطلب حتى لحقه راشد واحرى
اليه سليمان ليمنعه من نفسه فخبطه راشد بالسيف فكنع يده
وضربه بالسيف على وجهه وراسه ثلاث ضربات كل ذلك لا يصيب
مقتلا مع دفع سليمان عن نفسه وماكان عليه من الجنة وقام فرس
راشد لشدة حمله عليه ونجا سليمان بحشاشة نفسه وصاحبه قد
خذله فلم يغن عنه شيئا ولم يكن عنده الا الهرب ثم نزل
سليمان بعد ان امن الاتباع وعصب جراحه قال ابو الحسن النوفلى
فحدثنى من رآه بعد قدومه العراق مكنعا وذكر احمد بن الحارث
ابن عبيدة اليمانى نحو رواية النوفلى قال ان ادريس بن عبد الله
افلت من وقعة فخ فوقع بمصر وعلى بريدها يومئذ واضح مولى صالح
ابن المنصور وكان يتشيع فحمله على البريد فوقع بارض طنجة
فوجه اليه الرشيد رجلا من مواليه يقال له الشماخ في هيئة
المتطبب وكان بادريس وجع في اسنانه فوضع الشماخ في
ذلك الموضع دورا مسموما وخرج من ساعته فقتل السم ادريس
وطلب الشماخ فلم يظفر به حتى اتى الرشيد فولاه بريد مصر
وقال غيره انما امره ان يستعمل ذلك الذرور والسنون في السحر
وهو في جوف الليل قال محمد بن ابراهيم بن محمد بن القاسم
الصحيح عندنا انه سمه في دلاعة قطعها بسكين قد سم احد
جانبيه فلما قطعها ناوله الذى باشر السم واكل هو الاخر وكان

واضح مولى صالح بن المنصور يميل الى ال ابى طالب فبلغ الرشيد ما صنع بادريس فامر بضرب عنقه وصلبه قال النوفلى وكانت مدة ادريس التى اجابته فيها البربر الى ان مات بوليلى سنة خمس وسبعين ومائة ثلاثة اعوام وستة اشهر وقال غير هولاء ان داود ابن القاسم بن اسحق بن عبد الله بن جعفر بن ابى طالب هو الذى افلت من وقعة فخ وهرب الى المغرب وذرية داود هذا بفاس وبنو ادريس يناكحونهم وانصرف داود الى المشرق فانه انما فر حين خرج اخواه على المنصور قال على النوفلى اخبرنى عيسى بن جنون قاضى ارشقول لادريس بن عيسى ودخل الاندلس غازيا ان سليمان ابن عبد الله بن حسن بن حسن دخل المغرب ايضا ونزل تلمسان وبه كمل عدد ولد عبد الله بن حسن ستة لانهم محمد وابراهيم وادريس وعيسى ويحيى وسليمان كما ذكروا قال فولد سليمان بن محمد بن سليمان فمن ولده محمد ويحيى وسليمان كل قرشى فى القبلة قال النوفلى ومات ادريس ولا ولد له وجارية من جواريه حبلى فقام راشد بامر البربر حتى ولدت غلاما فسماه باسم ابيه ادريس وقام بامره وادبه واحسن تاديبه وكان مولده فى ربيع الاخر سنة خمس وسبعين ومائة وتوفى راشد سنة ست وثمانين ومائة ولهذا التبنى والانصال قال محمد بن السمهرى يهجو القاسم بن ادريس بن ادريس

قل للزنيم زنيم طنجة عش بها لا يحسدنك فى بلادك حاسد
منّتك نفسك ان تكون خليفة هيهات هذا من حديثك بارد
لما رايتك لليتام مصافيا ايقنت حقّا ان جدّك راشد

وقيل ان راشد مولى عيسى بن عبد الله اخ ادريس بن عبد الله فقام بامر الغلام ابو خالد يزيد بن الياس واخذ بيعة البربر له

يوم الجمعة السابع من ربيع الاول سنة سبع وثمانين ومابة وهو ابن احدى عشرة سنة وفتل ابا ليلى اسحف وهو الفايم به وبابيه يوم السبت لست خلون من ذى الحجة سنة اثنتين وتسعين ومـــاية وبعث راسه الى المشرق مع احمد وسليمان ابنى عبد الرحمن ثم نزل مدينة باس فى عدوة الاندلسيين وافام بها شهرا وذلك سنة اثنتين وتسعين ومابة وكانت عدوة الفرويين غياضا فى اطرابها ابيات من زواغة بارسلوا الى ادريس بدخل عندهم باسس مدينة الفرويين سنة ثلاث وتسعين ثم خرج الى نفّيس فى المحرم سنة سبع وتسعين ثم غزا نفزة وتلمسان ورجع سنـــة تسع وتسعين ومابة فال داود بن الفاسم بن اسحف بن عبد الله بن جعفر كنت مع ادريس بن ادريس فى المغرب فخرجت معه يوما الى فتال الخوارج فلفيناهم وهم فى ثلاثه اضعاف عددنا بفاتلناهم فتالا شديدا فاعجبنى ادريس ذلك اليوم وجعلت اديم النظر اليه بفال ويحك لمَ توالى النظر الىّ فلت لخصال اما اولها فانك تبصق بصافا مجتمعـــا وانا اطلب فليل ماء ابل به حلفى فلا اجده فال ذلك لاجتماع فلبى وذهاب بصافك لذهاب عفلك فال فلت والثانية لما ارى من منتك فال ان النبى صلى الله عليه وســـلم صلى علينا فلت والثالثة لما ارى من حركتك وفلة فرارك على الدابة فال ذلك زمع الى الفتال فلا تحسبه رعبا وانا الذى اقول

اليس ابونا هاشـــم شـد ازره واوصى بنيه بالطعان وبالضرب
فلسنـا نملّ الحرب حـــتى تملنا ولا نتشكى ما يوول من النصب

وتوفى ادريس بوليلى سنة ثلاث عشرة ومـــايتين وهو ابن ثـلاث وثلاثين سنة بحبة عنب غص بها فـــلم يزل مفتوح الفم سـايل اللعاب حتى مات وولد ادريس محمدا واحمد وعبيد الله وعيسى

وادريس وجعفرا وحمزة ويحيى وعبد الله والقاسم وداود وعمر وتولى الامر بعد ابيه منهم محمد وفرق البلاد على اخوته براى جدته كنزة ام ادريس واتخذ محمد بن ادريس مدينة فاس قرارا فولى القاسم اخاه البصرة وطنجة وما والاها وولى عمر صنهاجة وغمارة وولى داود هوارة فاسلمت وولى يحيى داى وما والاها وولى عيسى وازقّور وسلى وولى حمزة الاودية بغرب ولدلى وولى عبد الله لمطة وما والاها وتصاغر الباقون من اخوته ان يقسم لهم فصاروا مع اخوتهم فقام عليه عيسى اخوه صاحب وارفور ونكث طاعته فكتب الى القاسم يامره بمحاربة عيسى اخيهما اذ كان محاذيه في البلد فابى القاسم من ذلك وخالف امر محمد فكتب محمد الى اخيه عمر بمثل ذلك فاجابه وسارع الى نصرته وخرج يريد عيسى بعسكره فلما قرب من احواز فاس كتب الى محمد يستمده ومضى لوجهه فاوقع باخيهما عيسى فقبل لحان مدد محمد واخرجه عن بلد وازفور وهرب الى سلى ثم امر محمد اخاه عمر بمحاربة القاسم اخيهما لمحاربته وتغلب على ما كان بيده فترهد القاسم وبنى مسجدا على ضفة البحر باصيلى ولزمه وتوفى عمر بن ادريس بغرب ذلك ببلد صنهاجة بموضع يقال له الفرس وكان منية له ونقل الى مدينة فاس فدفن بها وهو جد الحموديين الفاطميين بالاندلس على ما نذكره بعد هذا ان شاء الله ثم هلك محمد بن ادريس وولى الامر بعد محمد ابنه على باستخلافه له ثم هلك فولى الامر بعده ابن اخيه يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس ثم ان يحيى بن يحيى دخل على يهودية في الحمام يقال لها حنّة وقد راودها على نفسها فتغير عليه اهل فاس ووثب عبد الرحمن بن ابى سهل الجذامى وهو جد احمد بن بكر بن عبد الرحمن الذى هو صاحب فاس

باخرجه من مدينته باس بهرب الى عدوة الاندلسيين وبات بها من ليلته وكانت زوجة يحيى بن يحيى هذا عاتكة بنت على ابن عمر بن ادريس بلم تخرج مع زوجها يحيى بن يحيى بانى على ابن عمر ابوها بجنده بدخل عدوة القرويين وملكها وانتقل الامر عن بنى محمد بن ادريس الى بنى عمر بن ادريس ثم قام على على بن عمر عبد الرزاق الخارج وكان صفريا ويقال انه من ثغر الاندلس وكان قيامه من جبل مديونة وهو بقبلى باس بدارت بينهم حروب كانت الدبرة بيها على على بهرمه الخارج واخرجه عن مدينة باس وبر على الى بلد اوربة واجاب عبد الرزاق اهل عدوة الاندلسيين ولم يجبه اهل عدوة القرويين وبعثوا الى يحيى بن القاسم الذى يعرب بالعدام بولوه على انفسهم بلم يزل بها حتى قتله ربيع بن سليمان فى سنة اثنتين وتسعين ومايتين فتقدم يحيى ابن ادريس بن عمر بن ادريس الى مدينة باس بدخلها ورجع الامر الى بنى عمر بلم يزل بعد يحيى الى ان قدم مصالة بن حبوس سنة سبع وثلاث ماية على ما ذكرنا قبل هذا فلما اجلى بنى صالح عن بلد نكور وتقدم الى مدينة الزيتون وهى كانت قاعدة يحيى ابن ادريس بن عمر قبل دخوله باس وكانت موبله الذى يعتقد به ويعول عليه خرج اليه يحيى مدابعا له بانهزم يحيى وانبض جمعه ولم تقم له قايمة بعد الى ان هلك سنة اربع وثلاثين وثلاث ماية وكان هلاكه بالمهدية ايام حصار ابى يزيد لها وكان اعلى بنى ادريس قدرا بالمغرب لم يبلغ احد منهم مبلغه قال النوفلى وكان مصالة بن حبوس لما قدم المغرب حركته الاولى سنة خمس وثلاث ماية ابتدى موسى بن ابى العافية بالاحسان وقدّمه فى المغرب وكان موسى كلما رجا بالظهور عزه يحيى بن ادريس

وقطع به عن امله فلما رجع مصالة بن حبوس الى المغرب ثانية سنة عشرة وثلاث ماية سعى موسى بيحيى عنده فاجمع مصالة على القبض عليه وطمع فيما له وما عنده فلم يزل بتحيل له حتى اقبل الى معسكره فقبض عليه وانتزع جميع ما اتى به وامره باستجلاب ما عنده من الاموال فاحضره مالا عظيما واخرجه عن بلده وصار ما كان بيده من البلدان الى حسن بن محمد الحجام والى موسى بن ابى العافية قال القاضى محمد بن عمر الصدفى لما اجلى مصالة بن حبوس يحيى بن ادريس التاثت به الحال وانفض جمعه ومن كان معه ثم اخذه بعد ذلك موسى بن ابى العافية فخرب مدينته وسجنه دهرا طويلا بمدينة لكاى ثم اطلقه ثم نزع بنفسه الى اصيلى وسكنه واقطعه بنو ابراهم شيئا يقوم منه معاشه قال وكان ابوه ادريس قد دعا الله بان يميته الله بارض غربة جوعا فلما كان فى سنة احدى وثلاثين وثلاث ماية توجه نحو المهدية فوافق قيام ابى يزيد وفعل الشيعة بانفسهم فلم يصل اليهم ومات جوعا فى حصار ابى يزيد ۞ وقدم مصالة بن حبوس على فاس ريحان بن على الكتامى وذلك سنة سبع وثلاث ماية فاقام بها الى سنة ست عشرة وثلاث ماية فقام حسن بن محمد بن القاسم بن ادريس الذى تعرف بالحجام فنفاه ودخلها وملكها عامين ۞ وانما سماه حجاما عمه احمد بن القاسم بن ادريس الكرتى وذلك انه جرى بينهما امر افضى بهما الى الاختلاف والتدابر حتى زحف كل واحد منهما الى الاخر فالتقيا بموضع يعرف بالمدالى من بلد صنهاجة فحمل حسن على غلام لعمه فدعسه بحربة اثبتها فى مكان المحجم فاخبر عمه بفعله ثم شد على اخر فاصابه فى ذلك الموضع وقيل لاحمد ايضا وضرب ثالثا فوافق ذلك

الموضع فقال احمد صار ابن أخي حجّاما فلزمه ذلك ولذلك قال شاعر من شعرائهم

وسميت حجاما ولست بحاجم ولاكن لضرب في مكان المحاجم

وكان حسن الحجام في اخر بلد المدائن يملك فاسا فاوقع بموسى ابن ابي العافية رجل من روساء البربر وقعة شنعاء لم يكن بالمغرب بعد دخول ادريس فيه اعظم منها اجلت هزيمته له عن ازيد من الفي قتيل وقتل في جملتهم ابنا لموسى يسمى منهل فغدره على اثر ذلك بفاس حامد بن حمدان الهمداني ويعرف باللوزي نسب الى قرية بافريقية فحبسه عند نفسه واغلق ابواب المدينة دون عسكره وذلك كان شان اهل فاس لا يتركون عسكر رئيس يدخل مدينتهم فلما صار في سجن حامد ارسل الى موسى بن ابي العافية فاتاه ودخل فاسا وتغلب على عدوة القرويين وتغلب بعد ذلك على العدوة الاخرى ثم جعل يلحف على حامد في قتل حسن الحجام بابنه منهل وحامد يدافعه عنه وبكره المجاهرة بقتله فسمه حامد واخرجه على السور ليلا فسقط عنه واندلقت ساقه وجاز الى عدوة الاندلسيين فمات بها وقتل موسى عبد الله بن ثعلبة بن محارب الازدي وقتل معه ابنيه محمدا ويوسف وهرب ابنه محارب ابن عبد الله فلحق بقرطبة وقيل بالمهدية واراد ايضا قتل حامد ابن حمدان الهمداني فهرب الى المهدية واستولى موسى بن ابي العافية على جميع المغرب واجلى آل ادريس اجمعين عن مواضعهم وانحاشوا عن البلد وصار جميعهم في حجر النسر مقهورين وهو حصن بناه ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس سنة سبع عشر وثلاث ماية واعتزم موسى على محاصرتهم واستيصالهم حتى عذله في ذلك اكابر اهل المغرب وقالوا قد اجليتهم وافقرتهم

اتريد ان تقتل ال ادريس اجمعين وانت رجل من البربر فانكسر عن ذلك ولاذ عنهم بعسكره وتخلف لمرافقتهم ومنعهم من التصرف فايدا جليلا كان عنده يكنى ابا فتح فكانت محلة ابى فتح بتاويقت واستخلف موسى ابنه مدين بفاس حتى قدم حُميد ابن يصلى فى سنة احدى وعشرين وثلاث ماية الى المغرب ومعه حامد بن حمدان الهمدانى فلما ايقن مدين بقدومهما هرب من فاس وولى حميد حامدا على فاس وتظاهر بنو ادريس على ابى فتح فهزموه وغنموا اكثر عسكره فالوا فبذلك سموا ذلك الموضع الكوم وتعالوا به وجعلوه شعارا بينهم ووثب بفاس احمد بن بكر ابن عبد الرحمن بن ابى سهل الجذامى فقتل حامدا وبعث براسه وولده الى موسى بن ابى العافية فبعث بهما موسى الى قرطبة مع سعيد بن الزرّاد وكان صار حميد بن يصلى عن موسى وعن المغرب بغير عهد فهو كان سبب سجنه بافريقية حتى هرب الى الاندلس ۞ ثم قدم ميسور الفتى الى المغرب فى سنة ثلاث وعشرين وثلاث ماية على ما تقدم قبل هذا فخرج احمد بن بكر صاحب فاس يومئذ الى معسكره فحبسه ميسور ووجه به الى المهدية فقدم اهل فاس على انفسهم حسن بن قاسم اللواتى وحارب ميسور مدينة فاس سبعة اشهر ثم قفل عنهم فلم يزل حسن واليا عليها الى ان قدم احمد بن بكر منطلقا من المهدية فتخلى له حسن عما كان بيده وذلك سنة احدى واربعين وثلاث ماية ولما ورد ميسور الى المغرب حاصر موسى بن ابى العافية وتولى معاظم تلك الحروب بنو ادريس حتى جلى موسى بن ابى العافية الى الصحراء وصار ما كان بيده الى ال ادريس والرياسة منهم فى بنى محمد ابن القاسم بن ادريس بن ادريس وهم حسن وجنون وابراهيم بنو

محمد بن القاسم وكان محمد متخلفا في اخوته وعشيرته لا قدر له ثم صارت النباهة والقدر لبنيه وابراهيم بن محمد هو المعروف بالرهوني وكان الذي يلزم صخرة النسر منهم جنون وحنون ابنا ابراهيم واسم جنون القاسم ولمحمد بن الخف الشاعر المعروف بالنحيلي في جنون هذا اهاج كثيرة مقذعة وذلك انه غلب على ام ولد كانت له فهويها جنون وصارت عنده فاستعان عليه بابن عمه احمد بن القاسم بن ادريس فكتب اليه يرغب ان يصرفها اليه واعلمه بما يلحقه في فعله من قبح الاحدوثة فلم يلتفت الى مقالته ولا انتفع محمد بن الخف بشفاعته فاستاذن محمد بن الخف احمد بن القاسم في هجائه فاذن له في ذلك وعاهده ان لا يرى منه على هجائه له مكروها ابدا فمما هجاه به

اترى سلاحك اذ كدتك قصيدتي　ينفيه سيل قد طما من سبدد
او بحر طنجة في عصوفات الصبى　. . . . . .فردد
او نيل مصر اذا ارتمى اذيه　تعلو سواحله بموج مزبد
جنون يزعم انه متلوط　وهو المنيك اذا خلا بالامرد
ابنى محمد الزنيم لانتمر　شر الورى ممن يروح ويغتدى
ان كان جنون من ال محمد　فانا كفور بالنبي محمد

وقد ذكرنا خبر سبدد واختلاف اسماء هذا النهر باختلاف المواضع فاما قوله ۞ اوبحر طنجة في عصوفات الصبى ۞ فان الريح الشرقية تودي فيه اشد اذاية وكذلك في حرفيه ۞ وكان اعلى بني محمد كلهم ايدا ابو العيش بن جنون بن محمد وكان له من البلد ما بين اجاجن وهو بقبلي حجر النسر الى مدينة فاس وكان احمد بن ابراهيم بن محمد عالمهم كان يحفظ السير والتواريخ وكان نسّابة عاقلا حليما وكان مبجلا لعلمه وكان يعرف احمد

الفاضل وكان له ما جرّ من اجاجن الى مدينة سبتة وكان شديد الميل الى خلفاء بنى امية وكثير التشيع فيهم وهو الذى استشار محمد بن عبد الله بن ابى عيسى قاضى الجماعة فى سنة اثنتين وثلاثين فى دخول الاندلس والغزو مع امير المومنين عبد الرحمن فلما اعلم عبد الرحمن بذلك امره بمخاطبته واستحثاثه فى القدوم وان يعلمه انه لا ينزل محلة من الاندلس ما بين نزوله بالجزيرة الخضراء الى نزوله بمحلة بلاط حميد من اقصى الثغر وذلك ثلاثون محلة الا امر امير المومنين ببنيان قصر فى كل محلة ينزله ينفق فيه الف مثقال ليكون اثر اقباله بالاندلس باقيا مع الايام ولم يكن فى بنى ادريس من شهر بالعلم شهرته الا احمد الاكبر ابن القاسم ابن ادريس بن ادريس وهو المعروف بالكرتى كان له علم وقدر بالمغرب وهو الذى استجلب بكر بن حماد ووفد على امير المومنين عبد الرحمن منهم حسن بن القاسم المعروف بجنون وعيسى بن جنون ابن محمد بن القاسم وذلك يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة فاقاما فى كرامته الى شهر صفر من العام الذى يليه ثم انصرفا الى بلدها ولما دخلت سنة ثمان وثلاثين وثلاث مائة اجمع بنو محمد بن القاسم على هدم مدينة تطاوان فهدموها ثم تعقبوا ما فعلوا وارادوا بنيانها فضج اهل مدينة سبتة من بنيانها وزعموا انها تضرّ بمدينة سبتة وتقطع عنها مرافقها فاعجل عبد الرحمن امير المومنين اخراج الجيوش اليهم وتجهيز العساكر نحوهم وذلك سنة احدى واربعين وثلاث مائة والقائد احمد بن يعلى حتى وصل الى مدينة سبتة ونفذ عهد عبد الرحمن الى حميد بن يصلى وكان والى تيجيساس بالتقدم الى سبتة والتضافر باحمد بن يعلى على حرب بنى محمد

واجتمع العسكران فسعى حميد بن يصلى الى بنى محمد على بن معاذ فاجابوه الى التخلى عن مدينة تطاوان على ان يبعثوا بابنائهم الى امير المومنين بقدم احمد بن يعلى عليه بحسن بن احمد القاضل بن ابراهيم بن محمد وبمحمد بن عيسى بن احمد ابن إبراهيم ووصلا الى قرطبة يوم السبت لتسع خلون من رجب سنة احدى واربعين وثلاث مائة وعيسى هو ابو العيش فبعث حسن في ابنه يحيى وبعث محمد في ابنه حسن فوصلا الى قرطبة يوم الاربعاء لاربع بقين من ربيع الاخر سنة اثنتين واربعين فمكثا بقرطبة وصدر ابواهما الى بلادهما بالحباء والكرامة المجددة وولد ليحيى وحسن بقرطبة البنين ثم هلكا هلك يحيى سنة تسع واربعين وهلك حسن سنة خمسين ودفنا بمقبرة الربض وصلى عليهما منذر بن سعيد القاضى وتخلف يحيى ابنا يسمى حسينا وتخلف حسن ابنين يسميان محمدا وحسينا ايضا فلم يزالوا مستقرين بقرطبة الى خلافة المستنصر بالله فبعث بهم اعلاما من ثقات اهل مملكته وذلك في رجب سنة اربع وخمسين وثلاث مائة فوصلوا بهم الى احمد وحسن ابنى ابراهيم بن محمد بن القاسم ويحيى بن احمد ابو هذا الغلام قد هلك فانزل احمد بن ابراهيم ابن ابنه حسين بن يحيى على ما كان لابيه فاما ذرية عمر بن ادريس بن ادريس جد الناجمين بالاندلس فان عمر ولد عليا بسرية وادريس امه زينب بنت عبد الله بن داود بن القاسم الجعفرى وعبيد الله لجارية يقال لها ربابة ومحمدا فاما على فانه اعقب من الذكور اثنى عشر ذكرا وابنة واحدة وهي عاتكة التى تقدم ذكرها امراة يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس واكثر عقب هولاء باوربة ومنهم بمدينة فاس ومنهم بكتامة وحمزة بن على

منهم فتله موسى بن ابي العافية بيده ظفر به بمدينته التي كانت تدعا بني عوتجة وفتل معه ولديه هرون ويحيى وكان حمزة هذا فد حضر مع حسن بن محمد الحجام هزيمته لموسى وحضر فتل منهل ابنه وكان حمزة فد علف منهلا على بابه ببنى عوتجة بفتلهم بثاره وحسن بن عبيد الله بن على منهم ابتلى بالجذام وجنون ابن ادريس بن على اجلاه موسى الى زناتة بسبته برغواطة بعقبه هناك عندهم وعفب ابي العيش بن على منهم بالاندلس واما ادريس ابن عمر بن ادريس بهو لباب ولد عمر بن ادريس وبولده تكرر الامر الى ان كثرهم بنو محمد بن الفاسم ومحمد بن ادريس بن عمر هو المعروب بابن ميالة ويكنى ابا العيش ولم يزل مواليا للناصر عبد الرحمن رحمه الله وفد ذكرنا خبر ابنه يحيى بن ادريس وملكه لمدينة باس وانه كان اعلى بني ادريس حالا بالمغرب وذكرنا موته بالمهدية فال على النوبلي كان يشهد مجلس يحيى بن ادريس العلماء والشعراء وكان ابو احمد الشابعي من جلسائه وممن يتكلم عنده بي العلم وكان ينسخ له عدة الورّافين وينتجعه الناس من الاندلس وغيرها بيحسن الى جميعهم وينصربون عنه آكرم منصرب وكان لادريس ابن عمر خمسة من الولد الذكور غير هذين ولهم عفب كثير باما عبيد الله بن عمر بن ادريس بولد حمزة والفاسم وابا العيش لم يسم لنا اكثر وامهم ملوكة بربرية وعليا وابراهيم ومحمدا ويفال لمحمد الشهيد امهم زواغية باما حمزة بكان شجاعا جوادا متفدما وله عفب كثير ببلد غمارة وزناتة واما على بن عبيد الله بلم يعفب من ولده الاجتون وهم بكورة الجزيرة واما ابراهيم بكان عفبه بجر النسر واحد بنيه اعفب ببلد زناتة واما الفاسم بن عبيد الله بله عفب كثير ببلد زناتة ومحمد الشهيد عفبه ايضا

فبلد زناتة واما ابو العيش بن عبيد الله فولد حمودا ويحيى فاما يحيى فله بنون بتازغدرا واما حمود فولد القاسم وعليا وفاطمة فاما على فولى الخلافة بالاندلس سنة سبع واربعماية واغتاله فتيان من الصقالبة في حمام بقصر قرطبة فقتلاه ثم قتلا به وكان له من الولد يحيى وادريس وولى عهده منهما يحيى وكان صاحب المغرب وكان ادريس اخوه صاحب مدينة مالقة فلما قتل على استدعى البربر القاسم اخاه وادخلوه القصر وبايعه الناس وخطب له بالخلافة فانف من ذلك ابن اخيه يحيى لما تقدم من عهد ابيه له وتضافر مع ادريس اخيه على عمهما لتصوره عليهما في خلافة ابيهما واتفقا على ان يعبر يحيى الى مالقه لطلب حقه ويعبر ادريس الى المغرب فجاز يحيى الى اشبيلية سنة اربع عشرة واربعماية واستمر الى قرطبة فاستخلف يحيى بقرطبة وتسمى بالمعتلى وخطب له بالخلافة ثم ان البربر اضطربوا عليه ففر من قرطبة الى مالقة ورجع عمه القاسم الى قرطبة مرة اخرى وتسمى بالمامون ثم عزله ابن اخيه يحيى فخرج من قرطبة الى اشبيلية ومكث بها الى ان اخرجه محمد بن عبّاد وصار بشريش فحصره بها ابن اخيه يحيى حتى اخذه وبينه هنالك فسجنهم واستوسق الامر ليحيى بن على حتى قتل في المحرم سنة سبع وعشرين واربعماية فلما وصل الامر الى اخيه خطب له بالخلافة في سبتة وتسمى بالعزيز بالله ثم عبر البحر الى مالقة فتسمى بالمتايد بالله وخطب له بالخلافة بمالقة واعمال البربر بالاندلس وبالمرية واعمالها وتوفى يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة بقيت للمحرم سنة احدى وثلاثين واربع ماية وكان ولى عهده حسن بن يحيى صاحب سبتة فتسمى بالمستنصر بالله فجاز الى الاندلس فبويع له بمالقة ونواحيها وبغرناطة وجهاتها

الى ان توفى سنـــه اربع وثلاثين واربعماية فولى ادريس بن يحيى اخوه وبويع له يوم الخميس لست خلون من جمادى الاخره سنـه اربع وثلاثين واربع ماية وتسمى بالعــالى وخطب له بذلك بمالقة وغرناطه وقرمونة واعمالها الى ان خلع سنة ثمان وثلاثين واربعمايه وقام محمد بن ادريس بن على وتسمى بالمهدى وخطب له بالخلافة هنالك الى ان توفى سنة اربع واربعين واربعماية وقام بالامر بعده ابن اخيه ادريس بن يحيى بن ادريس بن على وتســـمى بالموفق ولم يخطب له بالخلافة وبقى اشهرا يسيرة ثـم دخل عليه العالى ادريس بن يحيى وبويع له مرة ثانية بمــالقة وبقى الى ان توفى سنة ست واربعين واربع مايه وقام بالامر بعده ابنه محـمد بن ادريس وتسمى بالمستعلى ولم يخطب له بالخلافة فاقام بمالقة الى ان تغلب عليها باديس بن حبوس بن ماكسن فى صدر سنة سبع واربعين واربع ماية فانقطعت دولة بنى على بن حمود من يومئذ ثم استُدعى محمد ابن ادريس هـــذا من مدينة مليلة وهـــو مستعر بالمرية لا يعرف مكانه لخمول ذكره فعبر اليها وذلك فى شهر شوال سنــــة تسع وخمسين واربع ماية فقام به جماعة بنى ورتدى بملالة وبقلوع جارة ونواحيهما وهو هنالك باق على ذلك الى وقتنا هذا وهو اخر سنة ستين واربع ماية ۞

۞ ذكر ممالك بَرَغْواطه وملوكهم ۞

أخبر ابو صالح زمّور بن موسى بن هشـــام بن وارديرن البرغواطى وكان صاحب صلاتهم حين قدم على الحكم المستنصر رسولا من قبل صاحب برغواطة ابى منصور عيسى بن ابى الانصار عبد الله

ابن ابى غُفَير محمد بن معاذ بن اليسع بن صالح بن طريف وكان
وصوله الى قرطبة فى شوال سنة اثنتين وخمسين وثلاث ماية وكان
المترجم عنه بجميع ما اخبر به الرسول الذى قدم معه وهو ابو
موسى عيسى بن داود بن عشرين السطاسى من اهل شلة مسلم
من بيت خمرون بن خير فاخبر زمور ان طريفا ابا ملوكهم من
ولد شمعون بن يعقوب بن اسحق وانه كان من اصحاب ميسرة
المطغرى المعروف بالحقير ومغرور بن طالوت والى طريف تسبت
جزيرة طريف فلما قتل ميسرة وافترق اصحابه احتل طريف ببلد
تامسنى وكان اذ ذاك ملكا لزناتة وزواغة فقدمه البربر على انفسهم
وولى امرهم وكان على ديانة الاسلام الى ان هلك هنالك وخلف
من الولد اربعة فقدم البربر ابنه صالحا منهم قال زمور وكان
موت صالح بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم بماية عام سوا
قال وحضر مع ابيه حروب ميسرة الحقير وهو صغير قال وكان
من اهل العلم والخير فتنبّا فيهم وشرع لهم الديانة التى هم عليها
الى اليوم وادعى انه نزل عليه قرءانهم الذى يقرءونه الى اليوم قال
زمور وهو صالح المومنين الذى ذكره الله عز وجل فى قرءان محمد
عليه السلام فى سورة التحريم وعهد صالح الى ابنه الياس بديانته
وعلمه شرايعه وفقهه فى دينه وامره ان لا يظهر ذلك الا اذا قوى
وامن فانه يدعوا الى ملته ويقتل حينئذ من خالفه وامره بموالاة
امير الاندلس وخرج صالح الى المشرق ووعد انه ينصرف اليهم فى
دولة السابع من ملوكهم وزعم انه المهدى الاكبر الذى يخرج فى
اخر الزمان لقتال الدجّال وان عيسى بن مريم يكون من اصحابه
ويصلى خلفه وانه يملا الارض عدلا كما ملئت جورا وتكلم لهم فى
ذلك كلاما كثيرا نسبه الى موسى الكليم عليه السلام والى سطيح

الكاهن والى ابن عباس وزعم ان اسمه في العربى صالح وفي السريانى مالك وفي الاعجمى عالم وفي العبرانى وربيا وفي البربرية ورياورى اى الذى ليس بعده شيء فتولى اليـــاس الامر من بعـد خروج ابيه يظهر ديانة الاسلام ويسرّ الذى عهد اليه بـه ابوه خوفا وتقية وكان طاهرا عفيفا لم يلتبس بشيء من الدنيا الى ان هلـــك بعد ان ملك خمسين سنة وولد الياس جماعة منهم يونس فتولى الامر بعد ابيه فاظهر دياناتهم ودعـا اليها وقتل من لم يدخل فيها حتى اخلى ثلاث ماية مدينة وسبعا وثمانين مدينة حمـل جميع اهلها على السيف لمخالفتهم اياه وقتل منهم بموضع يقال له تاملوكاى وهو حجر نابت عالى في وسط السوق سبعة الاف وسبع مائة وسبعين قتيلا وقتـــل من صنهاجة خاصة في وقعة واحدة الف وغـد والوغد عندهم المنفرد الوحيد الذى لا اخ له ولا ابن عم وذلك في البربر قليل وانما احصوا الاقلّ ليستدل به على الاعظم الاكثر قال زمور ورحل يونس الى المشرق وحج ولم يحج احد من اهل بقته قبله ولا بعده ومات يونس بن اليـــاس بعد ان ملك اربعا واربعين سنة وانتقل الامر عـــن بنيه بقيام ابى غفير محمد بن معاد بن اليسع بن صـــالح بن طريف عليهم فاستولى على الملك بدين ابائه واشتدت شوكته وعظم امره وكانت له وقايع كثيرة في البربر مشهورة لا تنسى مع الايام منها وقيعة تيمغسن وكانت مدينة عظيمة اقام القتـــل في اهلها ثمانية ايام من الخميس الى الخميس حتى شرقت دورهم ورحـابهم وسككهم بدمـائهم ومنها وقعة بموضع يقال له بهت عجـز الاحصاء عـــن عد من قتل فيها وكانت لابى غفير من الزوجات اربع واربعون زوجة كان له منهن من الولد بعددهن ومات ابـو غفير بعد ان ملك تسعا وعشرين

سنة وذلك عقد ثلاث مائة من الهجرة وولى الامر بعده من بعده عبد الله ابو الانصار وكان سخيا ظريفا يفى بالعهد ويحفظ الجار ويكافى على الهدية باضعافها وكان افطس شديد ادمة الوجه ناصع نقاص الجسم طويل اللحية وكان يلبس السراويل والملحفة ولا يلبس القميص ولا يعتمّ الا فى الحرب ولا يعتم احـــد فى بلده الا الغرباء وكان يجمع جنده وحشمه فى كل عام ويظهر انه يغزو من حوله فتهاديه القبايل وتستالفه فاذا استوعب هداياهم والطافهم فرق اصحابه وسكنت حركته فملك فى دعة اثنتين واربعين سنة ودفن بامسلاخت وبها قبره وولى بعده من بنيه ابنه ابو منصور عيسى ابن ابى غفير وهو ابن اثنتين وعشرين سنـة وذلك سنة احدى واربعين وثلاث مائة فسار بسيرة ابيه ودان بديانتهم واشتدت شوكته وعظم سلطانه وكان ابوه قد وصّـــاه قبل موته موالاة صاحب الاندلس وكذلك يوصى جميعهم المرشّح للملك بعده قال زمور وقال له يا بنىّ انت سابع الامراء من اهـــل بيتك وارجو ان ياتيك صالح بن طريف كما وعد ۞ انتهى كلام زمور وقال ابو العباس فضل بن مفضّل بن عمرو المذحجى ان يونس القايم بدين برغواطة اصله من شدونة من وادى برّبّط وكان قد رحـــل الى المشرق فى عام واحد مع عباس بن ناصح وزيد بن سنـــان الزناتى صاحب الواصلية وبرغوث بن سعيد التزارى وجدّ بـــنى عبد الرزاق ويعرفون ببنى وكيل الصفرية ومناد صاحب المنادية المنسوب اليه القلعة المعروفة بالمنادية قريبا من سجلماسة واخر ذهب عـــنى اسمه فاربعة منهم فقهوا فى الدين وادعا ثلاثة منهم النبوة منهم يونس صاحب برغواطة قال وكـان يونس شرب دواء الحفظ بلقن كل ما سمع وحفظه وطلب عـــلم النجوم والكهانة والجانّ ونظر فى

الكلام والجدال واخذ ذلك عن غيلان ثم انصرف يريد الاندلس فنزل بين هولاء القوم من زناتة فلما راى جهلهم استوطن بلدهم وكان يخبرهم باشياء قبل كونها مما تدلّ عليه النجوم عندهم فتكون على ما يقول او قريبا منه فعظم عندهم فلما راى ذلك منهم وعرف ضعف حلومهم وسخافة عقولهم اظهر ديانته ودعا الى نبوته وسمى من اتبعه برغطى لما كان من بَرْبَط ثم احالوه بالسنتهم وردّوه الى لغاتهم فقالوا برغواطى ۞ قال دصل بن مفضّل وقال سعيد بن هشام المصمودى في وقعة بهت قصيدة طويلة اخترنا منها ابياتا

قفى قبل التفرق فاخبرينا وقولى واخبرى خبرا مبينا
فقوم برابر خسروا وضلوا وخابوا لا سُقوا ماء معينا
الايم امة هلكت وضلت وزاغت عن سبيل المسلمينا
يقولون النبى ابو غفير فاخزى الله امّ الكاذبينا
الم تسمع ولم تر يوم بهت على اثار خيلهم رنينا
رنين الباكيات فبين ثكلى وعاوية ومسقطة جنينا
سيعلم قوم تامسنى اذاما اتوا يوم النشور مهيمنينا
هنالك يونس وبنو بنيه يقودون البرابر مهطعينا
أذا ورباورى زمّت عليه جهنمُ فايد المستكبرينا
فليس اليوم ردّتكم ولكن لبالى كنتمُ متميسرينا

هذا البيت يصدّق قول زمور البرغواطى ان طريفا كان من اصحاب مسيرة ويشهد له واما هذا الضلال الذى شرع لهم فانهم يقدمون مع الاقرار بالنبيين الاقرار بنبوة صالح بن طريف ونبوة من تولى الامر بعده من ولده وان الكلام الذى الف لهم وحى من الله تعالى لا يشكّون فيه تعالى الله عن ذلك وصوم رجب واكل شهر رمضان وخمس صلوات في اليوم وخمس صلوات في الليلة والتضحية

ڢ اليوم الحادى عشر من المحرم وڢ الوضوء غسل السرة والخاصرتين ثم الاستنجاء ثم المضمضة وغسل الوجه ومسح العنق والقفاء وغسل الذراعين من المنكبين ومسح الراس ثلاث مرات ومسح الاذنين كذلك ثم غسل الرجلين من الركبتين وبعض صلواتهم ايماء بلا سجود وبعضها على كيفية صلاة المسلمين وهم يسجدون ثلاث سجدات متصلة ويرفعون جباههم وايديهم عن الارض مقدار نصف شبر واحرامهم ان يضع احدى يديه على الاخرى ويقول ابسَمَنْ ياكُشْ تفسيره بسم الله مقّر ياكوش تفسيره الكبير الله ويضعون ايديهم مبسوطة ڢ الارض طول ما يتشهدون ويقرون نصف قرءانهم ڢ وقوفهم ونصفه ڢ ركوعهم ويقولون ڢ تسليمهم بالبربرية الله فوقنا لم يغب عنه شيء ڢ الارض ولا ڢ السماء ثم يقول مقر ياكش خمسا وعشرين مرة اجن باكش مثل دلك ومعناه الواحد الله وزدام باكش مثل دلك ومعناه لا احد مثل الله وهم يجمعون يوم الخميس ضحى وصيام يوم من كل جمعة فرض من فروضهم ويصوم الجمعة الاخرى التى تليه ابدا وياخذون العشر ڢ الزكاة من جميع الحبوب ولا ياخذون من المسلمين شيئا ويتزوج من النساء ما استطاع على مباعلتهن والانفاق عليهن بلا حد عدد وان لا يتزوج من بنات عمه الا ثلاثة جدود ولا يتسرّون ولا ينكحن للمسلمين ولا ينكحون فيهم ويطلقون ويراجعون ما احبوا ويقتل السارق بالاقرار او بالبينة ويرجم ڢ الزناء عندهم وينفى الكاذب ويسمونه المغيّر والدية عندهم ماية من البقر وراس كل حيوان عليهم حرام والحوت لايوكل الا أن يذكّى والبيض عندهم حرام والدجاج مكروهة الا ان يضطر عليها وليس عندهم اذان ولا اقامة وهم يكتفون ڢ معرفة الاوقات بزقاء الديوك ولذلك

حرموها وكان يبصق في ايديهم فيلعقونه تبركـا به ويحملـون بصاقه الى مرضـاهم يستشفون بـه وصارت برغواطة اعـلم الناس بالنجوم واحذقهم بالقضاء بها وكانوا اجمل الناس رجالا ونسـاء واشدهم ايدا كانت الجارية البكر منهن تثب ثلاث جمر مصطفة ولا يمس ثوبها شيئا من الجمر ولا تقدر على ذلك ثيب ۞ وقرءانهم الذى وضع لهم صالح بن طريف ثمانون سـورة اكثرهـا منسوبة الى اسماء النبيين من لدن ادم اولها سورة ايوب واخرهـا سورة يونـس وفيهـا سورة فرعون وسورة قارون وسورة هامـان وسورة ياجوج وماجوج وسورة الدجّـال وسورة العجـل وسورة هاروت وماروت وسورة طالوت وسورة نمرود وما اشبه هذه من الاقاصيص وسورة الديك وسورة الحجل وسورة الجراد وسورة الجمل وسورة الحنش وكان يمشى على ثمانية ارجل وفيها سورة غرايب الدنيا وهناك العلم العظيم عندهم ۞ ذكـر كلمات مترجمة من اول سورة ايوب وهى استفتـاح كتابهم ۞ بسم الله الذى ارسـل به الله كتابه الى الناس هو الذى بين لهم به اخباره قالوا علم ابليس القضية ابى الله ليس يطيق ابليس كما يعلم الله سل اى شىء يغلب الالسن في الافولة ليـس يغلب الالسن في الافولة الا الله بقضائه باللسان الذى ارسل الله بالحق الى النـاس استقـام الحق انظر محمـدا وعبارة ذلك بلسانهم ايمى مامت بمامت محمد ۞ كـان حين عاش استقام الناس كلهم الذين صحبوه حتى مات فسد النـاس كذب من يقول ان الحق يستقيم وليس ثـم رسـول الله وهى سورة طويلة ۞ قال زمور ان بنى صالح بن طريف يركبون وفق اخبارة في ثلاثة الاف ومايتى فارس وان قبـايل برغواطة الذين يدينون لهـم وهم على ملتهـم جراوة ورواغة والبرانس وبنو ابى ناصـر

ومنجصة وبنو ابى نوح وبنو واغمر ومطغرة وبنـــو بورغ وبنو دمّـر ومطماطة وبنو وزكسيفت وعددهم يتنهى ازيد من عشـــرة الاب بارس وممـن يدين لهم من المسلمين وينضاب الى مملكتهم زنانـة الجبل وبنو يليت ونمالتة وبنو واوسينت وبنـــو يعرن وبنو ناغيت وبنو النعمان وبنو ابلّوسة وبنو كوبة وبنو يسكر واصّادة وركـــانة وابزمبن ومنادة وماسينة ورصانة وترارتة ومبلغ عددهم نحو اثنى عشر الب بارس فال زمور وليس بى عسكرهم طبول ولا بنود وعدد زمور من انهار بلادهم الجارية ازيد من ماية نهر اعظمها نهر ماسنات وهو يجرى من الغبلة الى الجوب وبيـن عنصرة وموقعــــه بى البحر مسيرة ستة ايام ونهر وانسيعن يفع بى نهر سلة تحـــت الرباط بى البحر المحيط ولم تزل برغواطة بى بلادها معلنة بدينها وبفو صالح ابن طريب ملوكها الى ان فام بيهم الامير تميم اليعرنى وذلك بعد عشرين واربع ماية من الهجرة بغلبهم على بلادهم وسباهم وجلا من يغى منهم واستوطن ديارهم وانفطع امـــرهم وعبـا اثارهم ولم يبف لضلالتهم بافية ولا من اواصر كبرهم اصرة وتميم هذا كان ذا جد وايثار للعدل وهو الذى فتل احد بنيه لاغتصابه جـــارية من التجار بوادى سلة وجميع بلاد برغواطة اليـوم على ملة الاسلام ۞

۞ الطريف من مدينة باس الى مدينة الفيروان ۞

وهى اربعون مرحلة نذكر مشهورها اول ما تخرج من بـاس على باب الفتوح من عدوة الاندلس الى مرج ابن هشـام الى وادى سبـوا وهو على نحو اربعة اميال من باس عليه فرى كثيرة ثم تسير منه الى موضع يعرب بعفبة البفر الى خندف العول لمكنـاسة وبى فرى

متصلة وعمارات غير منفصلة وانهار كثيرة لازداجة وغيرها الى قلعة جُرماط وكانت معقل ابى منقذ بن موسى بن ابى العافية وكان بها جامع واسوان وحمام وفى الجوب منها على عشرة اميال مدينة تسول المعروفة بعين اسحق قاعدة موسى بن ابى العافية وكانت على ثلاثة اجبل وبها جامع واسوان وحمام وعين عذبة بنى عليها موسى قبة خربها ميسور فايد الشيعى ومن فاس الى قلعة جرماط يسكنها اليوم مطغرة مرحلتان وقال محمد مرحلة الى مدينة جراوة ست مراحل وقال محمد ثمان منها اثنتان فى الصحراء فمن جرماط الى قرية ولبلى وبها كان بسكن زاوى ابن اخ موسى ابن ابى العافية الى فج نازا لمكناسة الى وادى وارُجّين نهر ملح لمكناسة ثم الى وادى صاع ثم الصحراء الى مدينة جراوة وهى فى سهل من الارض كان عليها سور مبنى بالطوب وداخلها قصبة وحولها ارباض من جميع جهاتها وعيون ملحة وداخلها ابار عذبة وخمس حمامات احدها ينسب الى عمرو بن العاصى وجامع من خمسة بلاطات على عمدة حجارة اسسها ابو العيش عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسن سنة تسع وخمسين ومايتين وكان لها بابان شرقيان وثالث غربى ورابع جوفى وحوالها بسايط عريضة للزرع والضرع وجبل ممالوا فى قبليها وفيه حصن بناه الحسن بن ابى العيش حواليه بساتين ومياه تطرد وبينه وبين المدينة اربعة اميال ويتصل بالحصن فى اسفل الجبل شعارى اشبة لا تسلك وحول جراوة عدة قرى لقبايل من البربر مطغرة وبنى يفرن وودانة وبغمر الجبل وبنى راسين وبنى باداسن وبنى وريمش وغيرهم وكان لابى العيش ومن خلفه مدينة تلمسان ايضا وما والاها واسر ابن ابنه الحسن فى الحصن المذكور

البورى بن موسى بن ابى العافية سنة ثمان وثلاثين وثلاثماية وكان فد انتفل الى الحصن من جراوة باهله وماله وولده وفى ذلك يفول بكر بن حماد فى شعر طويل

سايل زواغة عن فعال سيوفه ورماحه فى العارض المتهلل
وديار نفزة كيف داس حريمها والخيل تمرغ بالوشيج الذبل
تمت مغيلة بالسيوف مذلة وسفى جراوة من نفيع الحنظل

ولجراوة مرسى تافرجنيت ومن جراوة الى برنانة وهى سوق عامرة مرحلة ومنها الى مدينة تلمسان مرحلة يسكنها زناتة وقد تقدم ذكرها الى مدينة ناقدة وهى مدينة كبيرة اهلة على نهرين احدهما حمة ومنه شربهم وعليه ارحاؤهم ثم الى قصر ابن سنان الازداجى حوله بساتين كثيرة على نهر كذال الى مدينة يلل وهى كبيرة اهلة كثيرة الاشجار يسكنها هوارة وبها مسجد جامع الى مدينة الغزة يسكنها مكناسة وهى مدينة شريفة على نهر شلف كثيرة البساتين يسكنها هوارة وبها مسجد جامع ومنها الى مدينة تاهرت وقد مر ذكرها ثلاث مراحل الى حصن تامغيلت مرحلتان وهى مبنى بالطوب على نهر له ربض وسوق يسكنه بنو دمر من زناتة الى ايزمامة حصن له سوق وفيه فنادق تسكنه لواتة ونفزاوة الى مدينة هاز على نهر شتوى وهى خالية اجلى اهلها زيرى بن مناد الصنهاجى الى بورة نهر جار يسكن حوله بنو يرناتن وهم كانوا اصحاب هاز وبورة كثيرة العقارب وبها سويقة ومنها الى حصن موزية وبغرب هذا الحصن قصر من بنيان الاول بالصخر يعرف بقصر العطش حوله ماء ملح ومدينة عظيمة للاول ايضا خالية مبنية بالصخر يعرف بالجليل تسمى مدينة الرمانة تنفجر تحتها عيون ثرة طيبة تسيل الى المدينة المسيلة ومدينة للاول

ايضا خالية تسمى بالبربرية تاورسمت تعسيرة الحمراء وهى مبنيـــة بالصخر على نهر عذب ومن حصـــن موزية الى مدينة المسيلة وقد تقدم ذكرها ومنها الى مدينة ءادنة وهى خالية اخربها على بن حمدون المعروف بابن الاندلسى فى سنة اربع وعشرين وثلاثماية فى رجوع ميسور الفتى من المغرب وبلد ءادنة بلد كثير الانهـــار والعيون العذبة هناك عين الكتان عين عذبة فى معـــارة عليها اربع نخلات بينها وبين المسيلة مرحلة وبشرقيها وادى مغرة عليه سبع قرى منها قرية يكسم وزيتها اطيب الزيوت ومن عين الكتان وادنة نهر سهر ونهر النساء ونهر ابى طوبـــل وعين الغزال وبين نهر سهر ونهر النساء ثلاثة اميال وسمى بذلك لان هوارة اغاروا على نساء ادنة وذهبوا بهن فادركهم اهل ادنة فاستنقذوا النساء هناك والغنيمة وقتلوا جماعة من هوارة ومن ادنة الى مدينة طبنة مرحلتان وقد تقدم ذكر مدينة طبنة وحواليها بنو زنداج ومنها الى نهر الغاية ثم تمشى ثلاث مراحل فى مسـاكن العرب وهوارة ومكناسة وكتيبنة وورفلة يطل عليها وعلى ما والاهـــا جبل اوراس وهو مسيرة سبعة ايام وفيه قلاع كثيرة يسكنهـا قبايـــل هوارة ومكناسة وهم على راى الخوارج الاباضية ومن هذا الجبل قام ابو يزيد مخلد بن كيداد النفزى الزناتى على ابى القـاسم بن عبيد الله وفى هذا الجبل كان مستقر الكاهنة الى مدينة باغاية وهى حصن صخر قديم حوله ربض كبير من ثلاث نواح وليس فيما يـــلى الناحية الغربية ربض انمـا يتصل بها بساتين ونهر وفى ارباضهـــا فنادقها وحماماتها واسواقها وجامعها داخل الحصن وهى فى بساط من الارض عريض كثير المياه وجبل اوراس مطل عليه ويسكن فحص هذه المدينة قبايل مزاتة وضريسة وكـلهم اباضية وهم يظعنون فى زمن

الشتاء الى الرمال حيث لا مطر ولا ثلج خوفا على نتاج ابلهم والى مدينة باغاية لجا البربر والروم وبهـا تحصنوا من عقبة بن نافع القرشي فدارت بينهم حروب عظيمة وكانت الدبرة فيها على اهل باغاية فهزمهم عقبة بن نافـع وقتلهم قتالا ذريعا ولجا فلهم الى الحصن وغنم منهم خيلا لم يروا في مغازيهم اصلب ولا اسرع منها من نتاج خيل اوراس فرحل عنهم عقبة ولم يقم عليهم كراهة ان يشتغل بهم عن غيرهم واهلهـا كلهم اليوم على راى الاباضيـة وكيل الطعام بباغاية بالويبة وهي اربعة وستون مدا بمد النبى صلى الله عليه وسـلم وهو قفيز ونصف قفيز قرطبى وقفيز الزيت قروى وهو خمس ربع قرطبى ورطل اللحم عندهم عشرون رطلا بالعلية ومن باغاية الى مدينة مجانة وهي كبيرة عليها سور طوب وبها جامـع وحمامات ومعادن كثيرة منها معدن فضة للواتة يسمى الوريطسى وتعرف بمجانة المعادن ولها قلعة مبنية بالحجر فيها ثلاثماية وستـون جبا قد تقدم ذكرها وهذه المدينة للعرب وحولها لواتة وهذه القلعة تعرف بقلعة بشر بن ارطاة افتتحها عنوة بعثه اليهـا موسى ابن نصير وبعث خمس غنيمتها اليه وبين باغاية ومجـانة فندق مسكيانة ووادى ملاّق وهو واد صعب كثير الدهس وعر المخايض وتسير من مجانة الى مرماجنة وهي مدينة لطيفة بها جامع وفندق وسوق وهي في بساط مديد وهـذه طريق الصيف فاما طريـق الشتاء فتاخذ من مسكيانة الى مدينة تبسّـا لان وادى ملاق يتسع من سلوك تلك الطريق ومدينة تبسا مدينة كبيرة كثيرة الفواكه اولية مبنية بالصخر الجليل اخرب بعض سورها ابـو يزيد مخلـد بن كيداد وهي على نهر كبير كثير الفواكه والاشجار لاسيما الجوز فان المثل يضرب بجلالته هناك وبكبره وطيبه وفيهـا اقباء

يدخلها الرؤبان بدوابهم في زمن الثلج والشتاء يسع الغبو الواحد الفي دابة واكثر ومنها الى مدينة سبيبة ازلية مبنية بالصخر لها جامع وحمامات تطرد بيها المياه العذبة تطحن عليهـا الارحى وهي كثيرة البساتين وبجود في ارضها الزعفران وحواليها جبال كثيرة يسكنها من العرب قوم يعرفون ببني المغلس وبني الكسلان وحولهم قبايل من البربر كثيرة من هوارة ومرنيسة وفي الطريق الى سبيبة مرصد يعرب بعين التينة وعين يعرب بعين اربان مـاء يجرى من فني للاول وبشرقي هذا العين جبل منيف محدد بيه شـف وفي ذلك الشف رجل مذبوح معروب هنالك قبل فتوح افريقية لم يحل منـه قليل ولا كثير ولا نال منـه سبع ولا دابة ويقال انه من الحواريين وقد تقدم ذكره ومن مدينة سبيبة الى قريـة الجهنيين كبيرة اهلة كثيرة الفنادق والحوانيت ولها اشجار وبواكه بينهـا وبين القيروان مرحلة وعليها جبل يسمى ممطور لان معوية بن حديج نزله باصابه مطر فقال جبلنا ممطور ومنها الى منزل يقال له الهرى يجاوره مرصد ومنه الى كدية الشعير الى مدينة القيروان وقـال محمد بن يوسف من مدينة سبيبة الى سافية ممس قرية عـامرة اهلة بها مسجد وفندق ثـم قرية المستعين كبيرة اهـلة بها ماجلان وبير طيبة عمقها ثلاثون قامة ثـم قصر الخير بيه مـاء شريب ثـم قصر الزرادبة ويعرب بالخطارة عامر اهل ثـم مدينة القيروان

۞ الطريق من مدينة فاس الى سجلماسة ۞

من مدينة فاس الى مدينة صفروى مرحلة وهي مدينة مسورة ذات

انهار واشجار ومنها الى الاصنام مرحلة ومنها الى موضع يقال له المزى مرحلة وهو بلد مكلانة ومنها الى تاسغمرت مرحلة وهى قرية على نهر ومنها الى موضع يقال له امغاك مرحلة كبيرة نحـــو الستين ميلا ومنها تدخل فى عمل سجلماسة بين انهار وثمار ثلاث مراحـل الى مدينة سجلماسة ۞ وطريق اخر من سجلماسة الى مدينة فاس ذكرها محمد بن يوسف ۞ من مدينة سجلماسة الى موضـع يقال له ارفود جبل موت لا عمارة حوله وفيه حمة مرحلة ومنـه الى موضع يقال له الاحساء رمل يحفر فيه فينبعث المـــاء على ذراع ونحوه فى بلد زناتة مرحلة ومنه الى حصن فرارة عامر اهل به سوق وجامع وله جدول ماء وهو بلد يحسن فيه الغنم ويقال ان اصول اغنامهم من قيس من ارض فارس وصوفها من اجـــود الاصواف ويعمل منه بسجلماسة ثياب يبلغ الثوب منها ازيد من عشرين مثقالا مرحـلة ومنه الى جبل درن المعروف بسنجنفوا وقد ذكرناه فى عدة مواضـع من هذا الكتاب وهو كثير الصنوبر والارز والبلوط مرحلة ومنـــه الى مطماطة امسكور بلد كبير على نهر ملوية هو منه فى قبليه وهو بلد كثير الزرع سقى كله من نهر ملوية كثير البقر والغنم وبها جامع وسوق مرحلة ومنه الى موضع يقال له سوق لميس فيه سوق ومسجد وحواليه مياه سايحة عامر اهل كـان لمدين بن موسى ابن ابى العافية مرحله ومنه الى مغيلة ابن تجامان قرار لقوم من الصفرية له ربض كبير وبنو تجامان على السنة والجماعة ساكنون فى ربوة تلاصق ربضهم مرحلة وتسير منهـا فى جبـــال شامخة الى مغيلة الفاط حصن كبير له جامع وسوق كثير الانهـــار والثمار معظم شجره التين ومنه يحمل زبيبا الى فاس مرحلتـان الى لواتة مدين وقصبة لواتة منيعة لا ترام على نهر سبوا مرحلة الى فاس ۞

۞ ذكر سجلماسة ۞

ومدينة سجلـــاسة بنيت سنـــة اربعين وماية وبعمارتها خلت
مدينة ترغه وببنيها بوماں وبعمارتها خلت زيز ايضا ومدينة
سجلماسة مدينة سهلية ارضها سبخة حولها ارباض كثيرة وفيها
دور رفيعة ومباں سرية ولها بساتين كثيرة وسورها اسعله مبنى
بالحجارة واعلاه بالطوب بناه اليسع ابو منصور بن ابى القـــاسم من
ماله لم يشركه ى الانفاق عليه احد انفق فيه الف مدى طعام
وله اثنا عشر بابا الثمانية منها حديد وكان بنا اليسع له سنه
تسع وتسعين وماية وارتحل اليها سنة مايتين وقسمها على القبايل
على ما هى عليه اليوم وهم يلتزمون النقاب فاذا حسر احدهم عـن
وجهه لم يميزه احد من اهله وهى على نهرين عنصرهما من موضع
يقال له اجلف تمده عيون كثيرة فاذا قرب من سجلماسة تشعب
نهرين يسلك شرقيها وغربيها وجامعها متقن البنا بناه اليســـع
فاجاد وحماماتها ردية البنا غير محكمة العمل وماؤها زعاق وكذلك
جميع مـــا ينبط من الماء بسجلـــاسة وشرب زروعهم من النهر ى
حياض كحياض البساتين وهى كثيرة النخـــل والاعناب وجميع
الفواكه وزبيب عنبهـــا المعرش الذى لا تناله الشمس لايزبب الا ى
الظل ويعرفونه بالظلى وما اصـــابته الشمس منه زبب ى الشمس
ومدينة سجلماسة ى اول الصحراء لا يعرف ى غربيها ولا قبليها عمران
وليس بسجلماسة ذباب ولا يتجذم من اهلها احـــد واذا دخلهـــا
مجذم توقفت عنه علته واهل سجلماسة يسمنون الكلاب وياكلونها
كما يصنع اهـــل مدينة قفصة وقسطيلية وياكلون الزرع اذا اخرج
شطاه وهو عندهم مستظرف والمجذمون عندهم هم الكنّافون والبنّاون

عندهم يهود لا يتجاوزهم هذه الصناعة ومن مدينة سجلماسة تدخل
الى بلاد السودان الى غانة وبينهـــا وبين مدينة غـــانة مسيرة
شهرين في صحراء غير عامرة الا بقوم ظاعنين ولا تطمئن بهم منزل
وهم بنو مسّوفة من صنهاجة ليس لهم مدينة ياوون اليها الا وادي
درعة وبين سجلماسة ووادي درعـــة مسيرة خمسة ايام وملك بنـو
مدرار سجلماسة ماية وستين سنة وكان بدء ابو القاسم سمجوا بن
واسول المكناسي ابو اليسع المذكور وجد مدرار لقي بافريقية عكرمة
مولى ابن عباس وسمع منه وكان صاحب ماشية وكثيرا ما ينتجع
موضع سجلماسة فاجتمع اليه قوم من الصفرية فلما بلغوا اربعين
رجلا قدموا على انفسهم عيســى بن مزيد الاسود وولوه امرهم
فشرعوا في بنيان سجلماسة وذلك سنة اربعين ومايه وذكر اخرون ان
مدرارا كان حدادا من ربضية الاندلس خرج عند وقعة الربض
فنزل منزلا بقرب سجلماسة وموضع سجلماسة اذ ذاك براح يجتمـــع
فيه البربر وقتا ما من السنة يتسوقون بقرب فكـــان مدرار يحضر
سوقهم بما يعده من الات الحديد ثم ابتنى بهـــا خيمة وسكنها
وسكن البربر حوله فكان ذلك اصل عمارتها ثم تمدنت والاول اصح
في عمارتها واما مدرار فلا شك فيه انه كـــان حدادا لان ولده
القايمين بامر سجلماسة قد عيّروا بذلك فاول من وليهـــا عيسى بن
مزيد ثم انكر اصحابه الصفرية عليه اشياء فقال ابو الخطاب يوما
لاصحابه في مجلس عيسى السودان كلهم سراق حتى هذا واشار الى
عيسى فاخذوه وشدوه وثاقا الى شجرة في راس جبل وتركوه كذلك
حتى قتله البعوض فسمي ذلك الجبل جبل عيسى الى اليوم ووليهم
خمسة عشر عاما ثم ولوا ابا القـــاسم سمجوا بن مزلان بن نزول
المكناسي فلم يزل واليا عليهم الى ان مات فجاءة في اخر سجدة من

صلاة العشاء سنة ثمان وستين فكانت ولايته ثلاث عشرة سنة
ووليها ابنه ابو الوزير الياس بن ابى القاسم الى ان قام عليه اخوه
ابو المنتصر اليسع فخلعه سنة اربع وسبعين ومائة فولى ابو المنتصر
فكان جبارا عنيدا فظا غليظا فظفر بمن عانده من البربر
وذلّلهم واخذ خمس معادن درعة واظهر الصفرية وبنا سور سجلماسة
على ما تقدم وتوفى سنة ثمان ومايتين وولى ابنه مدرار المنتصر بن
اليسع ومدرار لقب فلم يزل واليا الى ان اختلف الامر بين ولديه
ميمون المعروف بابن اروى بنت عبد الرحمن بن رستم وابنه ميمون
ايضا المعروف بابن ثقيّة فتنازعا الامر بينهما وتقاتلا ثلاثة اعوام
ومال مدرار مع ابنه ميمون ابن الرستمية فاخرج ميمون بن
ثقية من سجلماسة وولى ابن الرستمية وخلع اباه ثم قام عليه اهل
سجلماسة فخلعوه وارادوا تقديم ميمون بن ثقية فابى ان يتآمر على
ابيه فاعادوا اباه مدرارا ثم انس اهل سجلماسة انه قد استدعى
ابنه ابن الرستمية فيمن اطاعه من درعة ليوليه فحاصروا مدرارا
وخلعوه وقدموا ابنه ابن ثقية وهو المعروف بالامير فلم يزل عليهم
واليا الى ان مات سنة ثلاث وستين ومايتين وفى امرته مات
مدرار ابوه مخلوعا ووليها محمد بن ميمون الامير الى ان توفى فى
صفر سنة سبعين فوليها اليسع بن المنتصر بن ابى القاسم الى ان
فر عنها لما تغلب عليها ابو عبد الله الشيعى فى ذى الحجة سنة سبع
وتسعين ومايتين وولى عليها الشيعى ابراهيم بن غالب المزاتى فقتله
اهل سجلماسة ومن كان معه من رجال الشيعى بعد خمسين يوما
ووليها واسول وهو الفتح ابن الامير ميمون وذلك فى ربيع الاول سنة
ثمان وتسعين وتوفى فى رجب سنة ثلاث مائة فوليها اخوه احمد
الى ، حاصره فيها مصالة بن حبوس وافتتحها عنوة فقتله وذلك

ى المحرم سنة تسع وثلاث ماية وولّى مصالة امرها المعتز بن محمد
ابن سارو بن مدرار الي ان توفى سنة احدى وعشرين وثلاث ماية
وولبها ابنه محمد بن المعتز الى ان توفى سنة احدى وثلاثين وثلاث
ماية وولبها ابنه ابو المنتصر سمغوا بن محمد وهو ابن ثلاث عشرة
سنة تدبر امره جدته فمكث كذلك شهرين وقام عليه ابن عمه
محمد بن الفتح بن الامير فحاربه وتغلب عليه واخرجه وتملك
سجلماسة وكان محمد بن الفتح سنيا على مذهب المالكية يحسن
السيرة ويظهر العدل الا انه تسمى بامير المومنين سنة اثنتين
واربعين وتلقب بالشاكر لله وضربت بذلك الدراهم والدنانير فمكث
كذلك الى ان قربت منه عساكر ابى تميم معد مع قايده جوهر
الكاتب فخرج عن سجلماسة باهله وماله وولده وخاصته وصار
بناحية الف حصن منيع على اثنى عشر ميلا من سجلماسة ودخل
جوهر سجلماسة وملكها وذلك سنة سبع واربعين وثلاث ماية وخرج
محمد من الحصن فى نفر يسير من اصحابه الى سجلماسة ليتعرف
الاخبار مستترا فعرفه قوم من مطغرة فى بعض الطريق فاخذوه
واتوا به الى جوهر فى رجب من ذلك العام ۞ ويزرع بارض سجلماسة
عاما ويحصد من تلك الزريعة ثلاثة اعوام لانه بلد مفرط الحر
شديد القيظ فاذا يبس زرعهم تناثر عند الحصاد وارضهم متشققة
فيرتفع ما تناثر منه فى تلك الشقوق فاذا كان فى العام الثانى
حرث بلا بذر وكذلك فى الثالث وقمحهم رقيق صينى يسع مد
النبى صلى الله عليه وسلم خمسة وسبعين الف حبة ومديهم
اثنا عشر قنقلا والقنقل ثمانى زلّابات والزلابة ثمانية امداد بمد
النبى ۞ ومن الغرايب عندهم ان الذهب جزاف عدد بلا وزن
والكرات يتبايعونه وزنا لا عددا ۞ ومن سجلماسة الى مدينة القيروان

ست واربعون مرحلة وقال محمد بن يوسف ثلاث وخمسون مرحله
فمن سجلماسة الى قرار الامير لبنى مدرار الى حصن ابن مدرار
الى جبل اكسرابغ الى مدينة امسكور لمطماطة وهم على مداراة
لصاحب سجلماسة وقد تقدم ذكرها وبينها وبين سجلماسة خمس
مراحل ومنها الى مدينة جراوة ست مراحل فى عامر وغامر منها
موضع يعرف بالصدور منها مخرج الطريق الى مليلة وهو موضع
معروف قريب من العمارة على ماء طيب ثم من حراوة الى القيروان
كما تقدم ۞ واما الطريق من سجلماسة الى مدينة مليلة فمن
سجلماسة الى الصدور كما ذكرنا ثم الى اجرسيف قرية عامرة على
نهر ملوية الى جرواو موضع كثير ما ينزله بالاخصاص ويروى
(بياض مقداره ثلاث كلمات) سبعمروده الى قلوع جارة وهى مدينة
عامرة فى جبل على ماء ملح وقد تقدم ذكرها الى مدينة مليلة
وذلك خمس عشرة مرحلة وقد تقدم ذكر مليلة ۞

۞ الطريق من سجلماسة الى اغمات ۞

من سجلماسة الى تيحماميين يومان وفى تيحمامين معدن للنحاس ومن
تيحماميين الى وادى درعة يومان وعلى وادى درعة شجر كثير وثمار
عظيم وهناك شجر التاكوت يشبه شجر الطرفاء وبهذا التاكوت يدبغ
الجلد الغدامسى وعلى وادى درعة سوق فى كل يوم من ايام الجمعة
فى مواضع مختلفة منه معلومة وربما كان عليه فى اليوم الواحد
سوقان وذلك لبعد مسافته وكثرة الناس عليه طول عمارته المتصلة
سبعة ايام ومن وادى درعة الى موضع يقال له ادامست ومنه الى
ورزازات يومان وهو بلد هسكورة وتمشى فى بلد هسكورة اربعة ايام

الى منازل فيقال له هزرجه وهناك جبل يقال له جبل شريجة فيه اجناس من الياقوت المتناهي في الجودة وحسن اللون يتكون على حجارة الجبل الا انه خشن نمرس كالسعن لا ناخذه العمل ولا ننفعل للسنادج وهو كثير موجود ثمه ومن هناك مسافة يوم الى اغمات ۞

۞ ذكر مدينة اغمات ۞

وهي مدينتان سهليتان احدهما تسمى اغمات ايلان والاخرى اغمات وريكة وبها مسكن رئيسهم وبها ينزل التجار والغرباء واغمات ايلان لا يسكنها غريب وبينهما ثمانية اميال ولهما نهر لطيف جريته من القبلة الى الجوف ماؤه زعاق يقال له تافيروت وحولها بساتين ونخل كثير وهو بلد واسع يسكنه قبايل مصمودة في قصور واجشار وهو راخ الاسعار كثير الخير يحمل اليه من مدينة نفيس تعاج حلابة يباع منه وقر بغل بنصف درهم الا انه وخم الهواء الوان سكانها مصفرة. كثير العقارب القتالة التي لا يداوى سليمها وبها اسوان جامعة وسوق اغمات وريكة يقوم يوم الاحد بضروب السلع واصناف المتاجر يذبح فيها اكثر من ماية ثور والف شاة وينفد في ذلك اليوم جميع ذلك وكانت امرة اهل اغمات دولا بينهم يتولى الرجل سنة ثم يديلونه باخر منهم عن تراض واتفاق كذلك ذكر محمد بن يوسف القيرواني وساحل اغمات رباط قوز على البحر المحيط وفيه تنزل السفن من جميع البلاد ولا تخرج منه السفن صادرة الا في زمان الامطار وتكدر الهواء واغبرار الجو فحينئذ تصادف لهم الرياح البرية فان تمادى ذلك لهم سلموا وان اصحى

الجو وصفا الهواء هبت لهم الرياح البحرية من الغرب فيهيج عليهم البحر وفذبهم في البرارى فقلّ ما يسلمون ۞

۞ والطريق من مدينة اغمات الى رباط فوز ۞

من وريكة الى نعيس خمسة وثلاثون ميلا ومن نعيس الى شعشاون ثلاثون ميلا ومنها الى مرامر ثلاثون ميلا ومنها الى رباط فوز خمسة وعشرون ميلا وذلك عشرون ومائة ميل ۞

۞ الطريق من مدينة اغمات الى مدينة فاس ۞

من اغمات الى موضع يعرف بابواب عبد الخالق بن سي وهى احقاف رمل مرحلة ومنها الى محـــص ابيض فسيح يعرف بمحص نزار ونزار بالبربرية الغربال شبه به لانه مدور وهو موضع مجدب مرحلة ومنه الى وادى وانسيفن واد كبير انبعاثه من موضع يقال له حدود بين بلد رواغة ومدغرة ويقع في البحر المحيط ويعبر على الزقاق المنفوخة مرحلة ومنها الى فحص مللوا مديد واسع مرحلة ومنه الى موضع يعرف ببنى وارث وهو كثير شجر العربسون وهى شجرة صغيرة شوكاء لها عساليج يسيل منها لبن مسهـل مرحلة ومنه الى بلـد زواغة مرحلة ومنهـــا الى حصن داى وهو في وسـط غيضة كبيرة من اجناس الشجر وله سوق حافلة يجتمـــع فيها رفان فاس والبصرة وسجلماسة بضروب الامتعة والمتاجر مرحلة ومنـه الى وادى درنة نهر كبير يقع في نهر وانسيفن المذكور مرحلة و منـــه الى مغيلة وكان مقدمهم موسى بن جليد وكان شديد الايد يمســك

بدبب البرس لجواد ويهمزه بارسه بلا يكون له حراك مرحـلة
ومنه الى موضع يعرب باوزقور كان يسكنه قوم يعرفون ببنى موسى
من ربضنة الاندلس باستنبسدوا الى من جاورهم واساووا عشرتهم
بحاربوهم بغلب الاندلسيون وقتل منهـم كثير وابترق بافيهم
ببلاد اغمات وبقى منهم باوزقور نبر يسير بالامان بهم بها الى اليوم
مرحلة ومنها الى سوق بنكور سوق عامرة حابلة يعمل بها برانس
سود حصينة لا ينبذها الماء مرحلة ومنها الى ولهاصة مرحلة الى
كزنايه مرحلة الى مدينة ورزبغة مرحـلة وهى اهلة كثيرة
المياه والثمار والخير يباع بيها البر حبة اجـاص بربع درهم فتل
مبسور البتى اهلها وسبى نساءها بعد زواله عن مدينة باس سنة
اربع وعشرين وثلاث مائة ومن ورزبغة الى مدينة اغيغى ومعـنى
اغمى حجارة يابسة لانها مبنية بالحجر بغير طين وهى اليوم خـالية
وكان القوم الذين بنوها وسكنوها من ربضية الاندلس ايضا
اجلاهم البربر عنها الى وليلى بهم بها بقية يسيرة مرحلة ومنها
الى ماسينة بلد كبير ويحسن بيه القطن ويجـود وبيه سـوق
لطيبة ومنها الى باس مرحلة بذلك ثمانية عشر مرحلة ۞

۞ الطريق من مدينة درعة الى سجلماسة ۞

مدينة درعة يقال لها تيومتين وهى قاعدة درعة وقد تقدم ذكر
وادى درعة وان منبعثه من جبل درن وهذه المدينة اهلة عامرة
بها جامع واسواق جامعة ومتاجر رابحة وهى فى شرق من الارض
والنهر منها بقبليها وجريته من الشرق الى الغرب ويهبط لهـا من
ربوة حمراء وكان صاحبها على بن احمد بن ادريس بن يحـيى

ابن ادريس فمن مدينة تيومتنن الى تاجّانت مرحلة وهو موضع ينبت شجرا يسمونه تاجانت وهو شجر يعظم ورقه هُدُب كورق الطرفاء ومنه انية سجلماسة ودرعة وما والاها ومن هناك الى اماس تبسّن مرحلة وتفسيره الماء المالح ومنه الى نفودادن مرحلة وتفسيره بير الايايل وهناك معدن نحاس ومنها الى احروا مرحلة وهذا كله بلد سرطة قبيل من صنهاجة ومنه الى تودنن ان وجلّيد تفسيره ابار الامير مرحلة ومنه الى امان يسيدان تفسيره ماء النعام ومنه الى اجران ووشان اى فدّان الذيب الى امرغاد مرحلة وامرغاد اخر بساتين سجلماسة ومنها الى سجلماسة ستة اميال ۞

۞ الطريق من مدينة تامدلت الى مدينة اودغست ۞

من تامَدلت الى بير الجمالين مرحلة وهذه البير عمقها اربع قامات من انباط عبد الرحمن بن حبيب ومنها الى شعب ضيق لا تسير فيه الابل الا متتابعة مرحلة ثم تسير في جبل يسمى ازور ثلاثة ايام وهو مجر تحفى فيه الابل تنبت ام غيلان ومن خرج فيه عن الطريق اصاب زبر حديد مثقبة لا تذيبه النار وهذا الجبل كثير الثعابين طوله مسيرة عشرة ايام من اول طريق سجلماسة الى جانب البحر المحيط ويقال ان جبل ازور متصل بجبل نفوسة من جبال اطرابلس واحسبه جبل درن المذكور قبل هذا الذى ينبعث من تحته وادى درعة فتسير في هذا الجبل ثلاثة ايام الى ماء يسمى تندفس ابار يحتفرها المسافرون فلا تلبث ان تنهار وتندفن ثم تسير منه ثلاثة ايام الى بير كبير يقال لها وين هَيّلون ثم تمشى ثلاثة ايام في ارض سواء صحراء ربما وجد فيها الماء على سفا تحت

الرمل من بغية الامطار الى ماء نزر يقال له نازق وتفسيره البيت ثم تسير منه الى بير انبطها عبد الرحمن بن حبيب واحتفرها في حجر ادعج صلب طولها اربع قامات مرحلة ثم تسير منها الى بير يقال لها ويطونان وهي كبيرة لاتنزف ماؤها زعاق يسهل شاربه من الناس والانعام وهي من عمل عبد الرحمن بن حبيب ايضا طولها ثلاث قامات ثلاث مراحل ثم تمشي منه اربع مراحل الى موضع يقال له اوكازنت ارض زرقاء ينبط اهل الرفاق فيها الماء على ذراعين وثلاث ثم تمشي في مجابة جبال رمل معترضة لا ماء فيها وهو اصعب موضع بطريق اودغست اربعة ايام الى موضع يقال له وانزمين ابار قريبة الرشاء فيها العذب والشريب وعليه جبل طويل صعب كثير الوحوش وبهذا الماء يجتمع جميع طرق بلاد السودان وهو موضع مخوف تغير فيه لمطة وجزولة على الرفاق ويتخذونه مرصدا لهم لعلمهم بافضاء الطرق اليه وحاجة الناس الى الماء فيه ثم تمشي منه في بلد واران خمسة ايام مجابة في كثبان رمل الى بير عظيمة في حد بنى وارث قبيل من صنهاجة على تلك البير شجر يقال له السفنى وهو شجر الاهليلج الا انه لا يثمر ثم تسير منه يومين الى ماء يقال له اغرف ابار ملحة تردها اذواد لصنهاجة فتصلح عليه وتصح به وكل ماء ملح فمواقف للابل ثم تسير منه ثلاثة ايام الى موضع يقال له افرتندى تفسيره مجتمع الماء فيه اصناف كثيرة من الشجر وفيه الحنا والحبق ثم تسير منه يوما في جبل يقال له ازجونان يقطع فيه السودان ثم تمشي يوما في رمال شجرة الى ماء يقال له بير واران ماؤها زعاق ثم تمشي في ارض لصنهاجة كثير الماء من الابار ثلاثة ايام ثم تسير منه الى شرف عال مشرف على اودغست فيه طير كثير يشبه الحمام واليمام الا انه

اصغر روسا واغلظ منافر وبه اشجار الصمغ الذى يجلب الى الاندلس يصمغ بها الديباج مرحلة ثم الى اودغست وهى مدينة كبيرة اهلة رملية يطل عليها جبل كبير موت لا ينبت شيئا بها جامع ومساجد كثيرة اهلة فى جميعها المعلمون للقرءان وحولها بساتين النخل ويزدرع فيها القمح بالفوس ويسقى بالدلاء ياكله ملوكهم واهل اليسار منهم وساير اهلها ياكلون الذرة والمقاثى تجود عندهم وبها شجيرات تين يسيرة ودوالٍ يسيرة ايضا وبها جنانْ حناء لها غلة كبيرة وبها ابار عذبة والغنم والبقر اكثر شىء عندهم يشترى بالمثقال الواحد عشرة اكبش واكثر وعسلها ايضاء كثير يأتيها من بلاد السودان وهم ارباب نعم جزلة واموال جليلة وسوقها عامرة الدهر كله لا يسمع الرجل فيها كلام جليسه لكثرة جمعه وضوضاء اهله وتبايعهم بالتبر وليست عندهم فضة وبها مبان حسنة ومنازل رفيعة وهو بلد الوان اهلها مصفرة وامراضهم الحميات والطحال لا يكاد يخلو من احدى العلتين احد منهم ويجلب اليها القمح والتمر والزبيب من بلاد الاسلام على بعد وسعر القمح عندهم فى اكثر الاوقات القنطار بستة مثاقيل وكذلك التمر والزبيب وسكانها اهل افريقية وبرقجانه ونفوسة ولواتة وزناتة ونفزاوة هولاء اكثرهم وبها نبذ من ساير الامصار وبها سودانيات طباخات محسنات تباع الواحدة منهن بماية مثقال واكثر تحسن عمل الاطعمة الطيبة من الجوزينقات والقطايف واصناف الحلوات وغير ذلك وبها جوار حسان الوجوه بيض الالوان منثنيات القدود لا تنكسر لهن نهود لُطاف الخصور فخام الارداف واسعات الاكتاف ضيقة الفروج المستمتع باحداهن كانه يتمتع ببكر ابدا قال محمد ابن يوسف اخبرنى ابو بكر احمد بن خلوف الفاسى شيخ من اهل

الحج والخير قال اخبرني ابو رستم النفوسي وكان من تجار اودغست
انه راى منهن امراة راقدة على جنبها وكذلك يفعلن في اكثر
حالهن اشفاقا من الجلوس على اردافهن وراى ولدها طفلا يلاعبها
فيدخل تحت خصرها وينفذ من الجهة الاخرى من غير ان تتجافى
له شيئا لعظم ردفها ولطف خصرها والحيوان الذى يحمل منه
الدرق حوالى اودغست كثير جدا ويتجهز الى اودغست بالنحاس
المصنوع وبثياب مصبغة بالحمراء والزرقة مجحة ويجلب منها العنبر
المخلوق الجيد لقرب البحر المحيط منهم والذهب الابريز الخالص
خيوطا مفتولة وذهب اودغست اجود من ذهب اهل الارض واصحه
وكان صاحب اودغست في عشر الخمسين وثلاث مائة تين يروتان
ابن ويسنو بن نزار رجل من صنهاجة وكان قد دان له ازيد
من عشرين ملكا من ملوك السودان كلهم يودى اليه الجزية وكان
عمله مسيرة شهرين في مثلها في عمارة يعتد في مائة الف نجيب
واستمده تعرس ملك ماسين على ملك اوغام بامده بخمسين الف
نجيب فدخلت بلد اوغام وعساكره غافلة فغنمت البلد واحرقته
فلما نظر اوغام الى ما حل ببلده هان عليه الموت فرمى بدرقته
وثنى رحله عن دابته وجلس عليها فقتلته اصحاب تين يروتان
فلما عاين نساء اوغام اليه قتيلا ترديين في الابار وقتلن انفسهن
بضروب القتل اسفا عليه وانفة من ان يملكهن البيضان ۞
فاما الطريق من اودغست الى بلد سجلماسة فمن اودغست الى
تامدلت على ما ذكرناه ايضا وذلك اربعون مرحلة ومن تامدلت
الى سجلماسة على ما ذكرناه قبل هذا احدى عشرة مرحلة فذلك
احدى وخمسون مرحلة وبين اودغست ومدينة القيروان مائة
مرحلة وعشر مراحل ۞

۞ الطريق من مدينة اغمات الى السوس على ما ذكره مومن ابن يومر الهوارى ۞

من اغمات وريكة الى مدينة نفيس وهى تعرف بالبلد النفيس كثير الانهار والثمار ليس فى ذلك القطر موضع اطيب منه ولا اجمل نظرا وهى قديمة اولية غزاها عقبة بن نافع صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصر بها الروم ونصارى البربر وكانوا قد اجتمعوا بها لحصانتها وسعتها فلزمهم حتى فتحها وبنا بها مسجدا الى اليوم واصابوا فيها غنايم كثيرة وذلك سنة اثنتين وستين وهى اليوم اهلة عامرة بها جامع وحمام واسواق جامعة بينها وبين البحر مسيرة يوم يسكنها قبايل من البربر اكثرهم مصمودة وكان صاحبها حمزة بن جعفر الذى نسب اليه السوق من بنى عبيد الله بن ادريس بن ادريس مرحلة ومن مدينة نفيس الى مدينة ايفن مرحلة وهى مدينة فى بطحاء كثيرة المياه والفواكه ومنها الى مدينة تامرورت مرحلة وهى مدينة لطيفة طيبة ومنها ترقا فى جبل درن وهو جبل معترض فى الصحراء معمور بقبايل صنهاجة وغيرها وهو الجبل الذى يقال انه متصل الى المقطم بمصر ومن هذا الجبل ينزل الى بلاد السوس وذكر محمد بن يوسف فى كتابه ان تامرورت هو اول صعود هذا الجبل ويقال انه اكبر جبال الدنيا وهو يتصل بجبل اوراس وبجبل نفوسة المجاور لاطرابلس وفى الحديث ان بالمغرب جبلا يقال له درن يزف يوم القيامة باهله الى النار كما تزف العروس الى بعلها قال ويمشى فى الجبل الى موضع يقال له الملاحة وفى اعلى الجبل نهر عظيم كبير والجبل كثير الاشجار والشعراء والثمار ومن الجبل الى موضع يعرف باسطوانات

ابى على فى الجبل ايضا وعن يمين هذا الموضع على مسيرة يوم الموضع المعروف بتازرارت وفيه معدن فضة قديم غزير المادة ومن اسطوانات ابى على الى قبيل من البربر يعرفون ببنى ماغوس ولهم سوق عامرة وعن يمين بنى ماغوس قبيـــل يقال لهم بنو لمـاس وكلهم روافض ويعرفون بالبجليين نزل بين ظهرانهم رجل بجلى من اهـل نفطة قسطيلية قبل دخول ابى عبد الله الشيعى افريقية يقـال له محمـد ابن ورستند فدعاهم الى سب الصحابة رضوان الله عليهم واحل لهم المحرمات وزعم ان الربا بيع من البيوع وزادهم فى الاذان بعد اشهد ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا خير البشرثم بعد حى على الفلاح حى على خير العمل ال محمد خير البرية وهم على مذهبه الى اليوم وان الامامة فى ولد الحسن لا فى ولد الحسين وكان صاحبهم ادريس ابو القاسم بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن ادريس، فان صح الحديث الذى ذكرنا فان المراد به هولاء والله اعلم ويلى بنى لماس قبيل من البربر فى جبل وعـر مجوس يعبدون كبشا لا يدخل احد منهم السـوق الا مستترا ومن بنى ماغوس الى ايجلى قاعدة بلد السوس ومدينته مرحلة وهى مدينة على نهر كبير كثير الثمر وقصب السكر ومنهـا يحمل السكر الى جميع بلاد المغرب وعلى هذا الوادى اسواق كثيرة الى البحر المحيط ويقـال ان الذى جلب السانية الى مدينة السوس عبد الرحمن بن مروان اخو محمـد الجعدى وانه هو الذى عمر وادى السوس الى وادى ماسّت مسيرة يومين عليه قرى كثيرة وهو ينصب فى البحر المحيط وماست التى اضيف اليها الوادى رباط مقصود عندهم له موسم عظيم ومجمع جليل وهو ماوى للصالحين ومن وادى السوس الى مدينة نول ثلاث مراحل فى عمـارة جزولة ولمطة ومدينة نـول اخر مدن الاسلام وهى فى اول الصحراء ونهرها

بصب فى البحر المحيط ومن مدينة نول الى وادى درعـــة ثلاث
مراحل ومدينه ايجلى مدينه كبيرة سهلية بغربيها نهـــر كبير
جار من القبلة الى الجوف عليه بساتين كثيرة متصلة ولم يتخذوا
قط عليه رحى فاذا سئلوا عن المانع لهم من ذلك قالوا كيف يسخر
مثل هذا الماء العذب فى ادارة الارحاء وهى كثيرة الفواكه والخير
وربما دفع حمل التمر بها بدون كراء الدابة من البستان الى السوق
وقصب السكر اكثر شىء بها يحمل الرجـــل بربع درهم منه مـا
يوده ثقله ويعمل بها السكر كثيرا وقنطار سكرها يبتاع بمثقالين
واقل ويعمل بها النحاس المسبوك يتجهز به الى بلاد الشرك وبهـا
مسجد جامع واسوان وفنادق والذى افتتحهـــا عقبة بن نافـــع
واخرج منها سبيا لم ير مثله حسنا وتماما كانت تبـاع الجارية
الواحدة منهن بالف دينار واكثر ودخلها عبد الرحمن بن حبيب
بعـد ذلك وبها معسكره الى اليوم وبالسوس زيت الهرجان وشجره
يشبه شجر الكمثرى الا انه لا يفوت اليد واغصانه نابتة من اصله لا
ساق له وهى شوكاء وثمرها يشبه الاجاص فيجمع ويترك حتى يذبل
ثـم يوضع على النار فى مغـــل فخّار فيستخرج دهنه وطعمه يشبه
طعم الفج المغلو وهو جيد محمود الغذا يسخن الكلى ويدر البول
وبالسوس عسل يعوق عسل الامصـار يلقى النبيذيون على الكيـــل
الواحد منه خمسة عشر كيلا من ماء فحينئذ ياتى شرابا وان كان
اقل من ذلك بقى حلوا ولا ينحل الا فى الماء الشديد الحرارة ولونه
لون الرماد وتبايع اهل سوقه بالحلى المكسورة انقار الفضة والدرهم
المسكوك عندهم قليل ومثاقيلهم تعرف بالغزديرية لان رجلا تولى
سكتهم يعرف بابى الحسـن الغزديرى وبالسوس توفى عبـد الله بن
ادريس وبها قبره وبقبلى ايجلى وعلى ست مراحل منهـــا مدينة

تامدلت اسسها عبد الله بن ادريس بن ادريس وهى سهلية عليها سور طوب وحجر وبها حمامان وسوق عامرة ولهـــا اربعة ابواب وهى على نهر عنصرة من جبل على عشرة اميال منها وما بينهما بساتين وعلى هذا النهر ارحاء كثيرة وارضها اكرم ارض واكثرهـا ربعا تعطى الحبة ماية وبها معدن فضـــة غزير كثير المـــادة وبشرق تامدلت مدينة درعة بينهما مسيرة ستة ايام وتسير من تامدلت الى وادى درعة ثلاث مراحل ومنها الى اجروا ست مراحل كلهـا على مياه ومنها الى مرغاد مرحلة ومنها الى سجلماسة ستة اميـــال واهل السوس واغمات اكثر الناس تكسبا واطلبهم لرزق يكلفـون نساءهم وصبيانهم التحرف والتكسب وبارض اغمات والسوس شجــــر الهرجان لا يكون الا هناك يستخرج من حبـــه زيت طيب كثير النفع وذلك انهم يجنون ثمره فتعلفه الماشية ثم يعمدون الى عجمه فيطحن ويطبخ ويستخرج منه دهنه فيكادون يستغنون بـه عـن جميع الزيوت لكثرته عندهم ۞

۞ الطريق من وادى درعة الى الصحراء الى بلاد السودان ۞

من وادى درعة خمس مراحل الى وادى تارجا وهو اول الصحراء ثم تمشى فى الصحراء فتجد الماء على اليومين والثلاثة حتى تصل الى راس المجابة الى البير المسماة تزامت بير معينة غير عذبة وهى الى الملوحة اقرب فيه انبطت فى حجر صلد من عمل الاول ويزعم قوم ان بنى امية صنعتها وفى الشرق منها بير تسمى بير الجمالين وعلى مغربة منها ايضا بير تسمى تاللى كلها غير عذب وبين هذه الابار الثلاثة وبلاد الاسلام مسيرة اربعة ايام ومنها الى جبـــل يسمى

بالبربرية ءادرار ان ورّال نعسيره جبل الحديد مثل دلك ومن هدا
الجبل مجابة ماؤها على ثمانية ايام وهى المجابة الكبرى وذلك الماء في
بنى ينْتَسرْ من صنهاجة ومن بنى ينتسر الى قرية تسمى مُدّوكَنّ
لصنهاجة ايضا ومنها الى مدينة غانة اربعة ايام ومن الابار المذكورة
مجابة ماؤها على اربعة ايام الى ابزل وهو جبل في الصحراء الى قبيل
من صنهاجة يعرفون ببنى لمتونة ظواعن رحالة في الصحراء مراحلهم
فيه مسيرة شهرين في شهرين ما بين بلاد السودان وبلاد الاسلام
ويصيفون في موضـــع يسمى امَطّلوس واخر يسمى تَالُوتَنّ وهم الى
بلاد السودان اقرب بينهم وبين بلاد السودان نحو عشر مراحل
وليس يعرفون حرثا ولا زرعا ولا خبزا انما اموالهم الانعام وعيشهم
من اللحم واللبن ينفد عمر احدهم ومـــا راى خبزا ولا اكله الا ان
يمر بهم التجـــار من بلاد الاسلام أو بلاد السودان فيطعمونهم
الخبز ويتحفونهم بالدقيق وهم على السنة يجاهدون السودان وكان
رئيسهم محمد المعروف بتارشّى من اهل الفضل والدين والحج والجهاد
وهلك بموضع يقال له قنقـــاره من بلاد السودان وهم قبيـــل من
السودان بغربى مدينة بانكلابين وهى مدينة يسكنها جمـــاعة من
المسلمين يعرفون ببنى وارث من صنهاجة وخلف بنى لمتونة قبيلة
من صنهـــاجة تسمى بنى جُدّالة وهم يجاورون البحر ليس بينهم
وبينه احد وهذه القبايل هى التى قامت بعد الاربعين واربع ماية
بدعوة الحق ورد المظالم وقطع جميع المغارم وهم على السنة متمسكون
بمذهب مالك بن انس رضى الله عنه وكان الذى نهج ذلك فيهم
ودعا الناس الى الرباط ودعوة الحق عبد الله بن ياسين وذلك ان
رئيسهم كان يحيى بن ابراهيم من بنى جدالة وحج فى بعـــض
السنين ولقى فى صدره عن حجه الفقيه ابا عمران الفاسى فساله ابو

عمران عن بلده وسيرته وما ينتحلونه من المذاهب فلم يجد عنده علما بشيء الا انه رءاه حريصا على التعلم صحيح النية والدقين فقال له ما يمنعكم من تعلم الشرع على وجهه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال له لا يصل الينا الا معلمون لا ورع لهم ولا علم بالسنة عندهم ورغب الى ابي عمران ان يرسل معه من تلاميذه من يثق بعلمه ودينه ليعلمهم ويفقههم احكام الشريعة عندهم فلم يجد ابو عمران فيمن رضيه من يجيبه الى السير معه فقال له ابو عمران اني قد علمت بالقيروان بغيتكم واما بملكوس فقيها حاذقا ورعا قد لقيني وعرفت ذلك منه يقال له وجّاج بن زلوى فمر به فربما ظفرت عنده ببغيتك فجعل ذلك يحيى بن ابراهيم اوكد همه فنزل به وعلمه ما جرى له مع ابي عمران فاختار له وجاج من اصحابه رجلا يقال له عبد الله بن ياسين واسم امه تين يزامارن من اهل جزولة من قرية تسمى تماماناوت في طرف صحراء مدينة غانة فوصل به الى موضعه واجتمعوا للتعلم منه والانقياد له في سبعين رجلا فعزوا بني لمتونة وحاصروهم في جبل لهم فهزموهم وجعلوا ما اخذوا من اموالهم مغنما فلم يزل امرهم يقوى واستعملوا على انفسهم يحيى بن عمر بن تلاجّاجين وعبد الله بن ياسين مفتيهم فيهم متورع عن اكل لحمانهم وشرب البانهم لما كانت اموالهم غير طيبة وانما كان عيشه من صيد البرية ثم امرهم ببناء مدينة سموها ارتنّي وامرهم ان لا يشف بناء بعضهم على بناء بعض فامتثلوا ذلك وهم يسمعون له ويطيعون الى ان نقموا عليه اشياء يطول ذكرها وكانهم وجدوا في احكامه بعض التناقض فقام عليه فقيه منهم كان اسمه الجوهر بن سكّم مع رجلين من كبرائهم يقال لاحدهما ايار وللاخر اينتكّوا فعزلوه عن الراى والمشورة

وقبضوا منه بيت مـالهم وطردوه وهدموا داره وانتهبوا ما كان فيها من اثاث وخرثي فخرج مستخفيـا من قبايل صنهاجة الى ان اتى وجاج بن زلوى فقيه ملكوس فعاتبهم وجاج على ما كان منهم الى عبد الله واعلمهم ان من خـالف امر عبد الله فقد فـارق الجماعة وان دمه هدر وامر عبد الله بالرجوع اليهم فرجع وقتل الذين قاموا عليه وقتل خلقا كثيرا ممن استوجب القتل عنده بحرابة او فسق واستولى على الصحراء كلها واجـابه جميـع تلك القبايل ودخلوا في دعوته والتزموا السنة بـه ثـم نهضوا الى لمطة وسالوهم ثلث اموالهم ليطيب لهم بذلك الثلثـان وهاكذا سن لهم عبد الله في الاموال المختلطة فاجـابوهم الى ذلك ودخلوا معهم في دعوتهم واول ما اخذوا من البلاد المخالفة لهم درعـة ولهم في قتالهم شدة وجلد ليس لغيرهم وهم يختارون الموت على الانهزام ولا يحفظ لهم فرار من زحف وهم يقاتلون على الخيل والنجب واكثر قتالهم رجالة صفوفا بايدى الصف الاول القـنى الطوال للمداعسة والطعان وما يليه من الصفوف بايديهم المزاريق يحمل الرجل الواحد منها عدة يزرقها فلا يكاد يخطى ولا يشوى ولهم رجل قد قدموه امام الصف بيده الراية فهم يقفون مـا وقفت منتصبة وان امالها الى الارض جلسوا جميعـا فكانـوا اثبت من الهضاب ومن فر امامهم لم يتبعوه وهم يقتلون الكلاب لا يستصحبون منها شيئا وكان يحيى بن عمر اشد النـاس انقيادا لعبـد الله ابن ياسين وامتثالا لما يامره به ولقد حدث جماعة ان عبد الله قال له في بعض تلك الحروب ايهـا الامير ان عليك حقا ادبا فقـال له يحيى وما الذى اوجبه عليّ قال له عبد الله انى لا اخبرك به حتى اوديك واخذ حق الله منـك فطاع له الامير بذلك وحكمه في

بشرته فضربه الفقيه ضربات بالسوط ثم قال له الامير لا يدخـل القتال بنفسه لان حياته حياة عسكره وهلاكه هلاكهم ۞ وغزا المرابطون مدينة سجلماسة بعد ان خاطبوا اهلها ورئيسهم مسعود بن وانودين المغراوى فلم يجيبوهم الى ما ارادوا فغزوهم فى جيش عدته ثلاثون الف جمل سرج فقتلوا مسعودا واستولوا على مدينة سجلماسة وخلفوا فيها جماعة منهم ثـم عادوا الى بلادهم فغدر اهل سجلماسة بالمرابطين فى المسجد وقتلوا منهم عددا كثيرا وذلك سنة ست واربعين واربع مائة وندم اهل سجلماسة على ما فعلوا وتواترت رسولهم على عبد الله بن ياسين ان يرجع اليهم بالعساكر ويذكرون ان زناتة زحفوا اليهم فندب عبد الله المرابطين الى غزو زناتة ثانية فابوا عليه وخالف عليه بنو جدالة وذهبوا الى ساحل البحر فامر عبد الله الامير يحيى ان يتحصن بجبل لمتونة وهو جبل منيع كثير الماء والكلاء فى طوله مسافة ستة ايام وفى عرضه مسافة يوم وهنالك حصن يسمى اركى حوله نحو عشرين الف نخلة كان بناه ياتّوا بن عمر الحاج اخو يحيى بن عمر فصار يحيى فى جبل لمتونة وذهب عبد الله بن ياسين الى مدينة سجلماسة فى مائتى رجل من قبايل صنهاجة ونزل موضعا يقال له تامدولت حصن فيه مياه ونخل كثير ويشرب عليه جبل فيه معدن فضة معلوم هناك فاجتمع لعبد الله جيش كثيف من سرطة وترجة ولهم هنالك حصون وكان ابو بكر بن عمر بدرعة مع احمد بن ءامَكْدُفوا فامره عبد الله مكان اخيه يحيى المتخلف بجبل لمتونة ثـم رجعت جيوش بنى جدالة الى يحيى بن عمر فحاصروه فى الجبل وذلك سنة ثمان واربعين وهم فى نحو ثلاثين الفا وكان مع يحيى ايضا عدد كثير وكان معه لبى بن وارجاى

رئيس تكرور وكان التقاؤهم هناك بموضع يسمى تيفريلّى بين ناليويين وجبل لمتونة فقتل يحيى بن عمر رحمه الله وقتل معه بشر كثير وهم يذكرون انهم يسمعون في هذا الموضع اصوات الموذنين عند اوقات الصلوات وهم يتحامونه ولا يدخـله احد ولا اخذ منه سيف ولا درقة ولا شيء من اسلحتهم ولا ثيابهم ولم تكن للمرابطين بعد كرة الى بني جدالة وفي سنة ست واربعين غزا عبد الله بن ياسين اودغست وهو بلد قايم العمارة مدينة كبيرة فيها اسواق ونخل كثير واشجار الحناء وهي في العظم كشجر الزيتون وهو كان منزل ملك السودان المسمى بغانة قبل ان تدخل العرب غانة وهي متقنة المباني حسنة المنازل ومسافة ما بينها وبين سجلماسة مسيرة شهرين وبينها وبين مدينة غانة خمسة عشر يوما وكان يسكن هذه المدينة زناتة مع العرب وكانوا متباغضين متدابرين وكانت لهم اموال عظيمة ورقيق كثير كان للرجل منهم الف خـادم واكثر فاستباح المرابطون حريمها وجعلوا جميع ما اصابوا فيها فيئًا وقتل فيها عبد الله بن ياسين رجلا من العرب المولدين من اهل القيروان معلوما بالورع والصلاح وتلاوة القرءان وحج البيت يسمى زبافرة وانما نقموا عليهم انهم كانوا تحت طاعة صاحب غـانة وحكمه وغزا عبد الله بن ياسين اغمات سنة تسع واربعين واستولى على بلاد المصامدة سنـة خمسين وقتل ببرغواطة سنـة احدى وخمسين بموضع يسـمى كريفلت وعلى قبره اليوم مشهد مقصود ورابطة معمورة ولم يقتل عبد الله بن ياسين حـتى استولى على سجلماسة واعمالها والسوس كله واغمات ونول والصحراء ۞ ومما يذكرونه ولا يشكـون فيه من براهين صلاح عبد الله انه ذهب في بعض اسفاره فعطشوا فشكوا ذلك اليه فقال عسى الله ان يجعل لنا من

امرنا فرجا ثم سار بهم ساعة وقال لهم احفروا بين يدى فحفروا فوجدوا الماء بادنى حفر فشربوا وسقوا واستقوا اعذب ماء واطيبه ويذكرون انه نزل منزلا نقرب منه بركة ماء وكانت كثيرة الضفادع لا يسكن نقيقها فاذا وقف عبد الله على البركة لم يسمع لها ركز وهم الان لا تعدم طايفة منهم احدا للصلاة الا من صلى وراء عبد الله وان كان فى تلك الطايفة اقرا منه واورع ممن لم يصل وراءه وكان عبد الله نكاحا للنساء يتزوج فى الشهر عددا منهن ويطلقهن لا يسمع بامراة حسناء الا خطبها ولا يتجاوز بصدقاتهن اربعة مثاقيل ۞

۞ ما شذ فيه عبد الله بن ياسين من الاحكام ۞

من ذلك اخذه الثلث من الاموال المختلطة وزعم ان ذلك يطيب باقيها ويحله وقد تقدم ذكر هذا وان الرجل اذا دخل فى دعوتهم وتاب عن سالف ذنوبه قالوا له قد اذنبت ذنوبا كثيرة فى شبابك فيجب ان يقام عليك حدودها ونطهر من اثمها فيضرب حد الزانى مائة سوط وحد المفترى ثمانين سوطا وحد الشارب مثلها وربما زيد على ذلك وهكذا يفعلون بمن تغلبوا عليه وادخلوه فى رباطهم وان علموا انه قتل قتلوه سواء اتاهم تايبا طايعا او غلبوا عليه مجاهرا عاصيا لا ينفعه توبته ولا يغنى عنه رجعته ومن تخلف عن مشاهدة الصلاة مع الجماعة ضرب عشرين سوطا ومن فاتته ركعة ضرب خمس اسواط وياخذون الناس بصلاة ظهر اربعا قبل صلاة الظهر فى الجماعة وكذلك فى ساير الصلوات ويقولون انه لابد قد فرطت فى سالف عمرك فاقض ذلك . اكثر عوامهم يصلون

بعير وضوء اذا اعجلهم الامر جزءا من الضرب ومن رفع صوته في المسجد ضرب على قدر ما يراه الضارب له صلاحا وزكاة الفطر ياخذونها وينفقونها على انفسهم ومما يحفظ من جهل ابن ياسين ان رجلا اختصم اليه مع تاجر غريب عندهم فقال التاجر في بعض مراجعته لخصمه حاش لله ان يكون ذلك فامر عبد الله بضربه وقال لقد قال كلاما قطعا وقولا شنيعا يوجب عليه اشد الادب وكان بالحضرة رجل قيرواني فقال لعبد الله وما تنكر من مقالته والله عز وجل قد ذكر ذلك في كتابه فقال حكاية عن النسوة اللاتي قطعن ايديهن في قصة يوسف ۞ حاش لله ما هذا بَشَرًا انْ هذا الّا ملك كريم ۞ فرفع الضرب عن ذلك الرجل ۞ واميرالمرابطين الى اليوم وذلك سنة ستين واربع ماية ابو بكر ابن عمر وامرهم منتشر غير ملتئم ومقامهم بالصحراء وجميع قبايل الصحراء يلتزمون النقاب وهو فوق اللثام حتى لا يبدو منه الا محاجر عينيه ولا يفارقون ذلك في حال من الاحوال ولا يميز رجل منهم وليه ولا حميمه الا اذا تنقب وكذلك في المعارك اذا قتل منهم القتيل وزال قناعه لم يعلم من هو حتى يعاد عليه القناع وصار ذلك لهم الزم من جلودهم وهم يسمون من خالف زيهم هذا من جميع الناس افواه الذبان بلغتهم وطعامهم صفيف اللحم الجاف مطحونا يصب عليه الشحم المذاب او السمن وشرابهم اللبن قد غنوا به عن الماء يبقى الرجل منهم الاشهر لا يشرب ماء وقوّتهم مع ذلك مكينة وابدانهم صحيحة ومن سير اهل الصحراء في المتهم بسرقة ان يعمدوا الى عود فيشق باثنين ويشد على صدغيه في مقدم راسه وموخره فلا يتمالك ان يقر ولا يصبر على ذلك الضغط لحظة لشدته ۞

ومما في هذه الصحراء من الحيوان اللمط وهو دابة دون البقر لها قرون دقاق حادة لذكرانها واناثها وكلما كبر منها الواحد طال قرنه حتى يكون اكثر من اربعة اشبار واجود الدرق واغلاها ثمنــا ما صنع من جلود العواتق منها وهي التي طال قرناها لكبر سنها فمنع الفحل علوهــا ودواب الفنك اكثر شيء في هذه الصحراء ومنها تحمل الى جميع البلاد وعندهم الكبــاش الدمانية خلقها خلق الضان الا انها اجمل وشعرها شعر الماعز لا اصواف لهـا وهي احسن الغنم خلقا والوانا ولا تنبت هذه الصحراء ولا بلاد اغمات ولا السوس شجر المرسين وهو شجر الاس وهو عندهم عزيز يجلب اليهم من ساير البلاد ومن غرايب تلك الصحراء معدن ملح على يومين من الصحراء الكبرى وبينه وبين سجلماسة مسيرة عشرين يوما يحفر عنه الارض كما يحفر عن ساير المعادن والجواهر ويوجد تحت قامتين او دونهما من وجه الارض ويقطع كما يقطع الحجارة ويسمى هذا المعدن تاتنتال وعليه حصن مبنى حجارة الملح وكذلك بيوته ومشاربه وغرفه كل ذلك ملح ومن هذا المعدن يتجهز بالملح الى سجلماسة وغانة وساير السودان والعمل فيه متصل والتجار اليه متسابرون وله غلة عظيمة ومعدن للملح اخر عند بني جدالة بموضع يسمى اوليل على شاطى البحر ومن هناك تحمله الرفاق ايضا الى ما جاوره وبقرب اوليل في البحر جزيرة تسمى ايوني وهي عند المد جزيرة لا يوصل اليها من البر وعند الجزر يوصل اليها على القدم ويوجد فيهــا العنبر واكثر معاش اهلها من لحوم السلاحف فهي اكثر شيء عندهم في ذلك البحر وهي مفرطة العظم وربما دخل الرجل منهم في محار ظهورها فيتصيد فيها كالقارب وسنذكر من كبر السلاحف بطريف تيري ما هو اشنع من هذا ولهم اغنام ومواش وهذه الجزيرة مرسى

من المراسي والطريق منها الى نول على ساحل البحر لا يفارقه مسيرة شهرين يمشى العمر في ارض اكثرها صفى ينبو عنه الحديد وتكل فيه المعاول وانما يشربون في طريقهم من قلات يحتفرونها عند جزر البحر وتنبض ماء عذبا واذا صاب لهم مدد في طريقهم هذا لم يمكنهم مواراته لصلابة الارض وامتناعها على الحفر فيسترونه بالحطام والحشيش او يقذفونه بالبحر ۞

۞ ذكر بلاد السودان ومدنها المشهورة واتصال بعضها ببعض والمسافات بينها وما فيها من الغرايب وسير اهلها ۞

المصاقبون لبلاد السودان بنو جدالة هم اخر الاسلام خطة واقرب بلاد السودان منهم صنغانة بين اخر بلادهم وبينها مسيرة ستة ايام ومدينة صنغانة مدينتان على ضفتي النيل وعمارتها متصلة الى البحر المحيط ويلي مدينة صنغانة ما بين الغرب والقبلة على النيل مدينة تكرور اهلها سودان وكانوا على ما ساير السودان عليه من المجوسية وعبادة الدكاكير والدكور عندهم الصنم حتى وليهم وارجابي بن رابيس فاسلم واقام عندهم شرايع الاسلام وحملهم عليها وحقق بصايرهم فيها وتوفي وارجابي سنة اثنتين وثلاثين واربع مائة فاهل تكرور اليوم مسلمون وتسير من مدينة تكرور الى مدينة سلى وهي مدينتان على شاطى النيل ايضا واهلها مسلمون اسلموا على يدى وارجابي رحمه الله وبين سلى ومدينة غانة مسيرة عشرين يوما في عمارة السودان القبيلة بعد القبيلة وملك سلى يحارب كفارهم وليس بينه وبين اولهم الا مسيرة يوم واحد وهم اهل مدينة قلنبو وهو واسع المملكة كثير العدد يكاد يقاوم

ملك عانة وتبايع اهل سلى بالذرة والملح وحلق النحاس وازر لطاب من قطن يسمونها الشكيات والبقر عندهم كثير وليس عندهم ضان ولا معز واكثر نبات ارضهم الابنوس ومنه يحتطبون وفيما يتصل ببلادهم من النيل في موضع يقال له سحابي حيوان في الماء يشبه الفيل في عظم خلقته وخطيسته وانيابه يسمونه فغوا وهو يرعى في البرارى ويأوى الى النيل وهم يميزون موضعه من النيل بتحرك الماء على ظهره فيقصدونه بمزاريق حديد فصار في اسافلها حلق قد شدت فيها الحبال المديدة فيرمونه بالعدد الكثير منها فيغوص ويضطرب في اسفل النيل فاذا مات طفا على الماء فجذبوه واكلوا لحمه وصنعوا من جلده هذه الاسواط التى تسمى السريافات ومن هناك تحمل الى الافاق ويلى هذا البلد مدينة قلنبوا بينهما مسيرة يوم على ما تقدم وهى على النيل واهلها مشركون ويتصل بقلنبو مدينه ترنقة وهو بلد عريض وعندهم تصنع الازر المسماة بالشكيات التى تقدم ذكرها وهى اربعة اشبار فى مثلها وليس فى بلدهم كثير قطن غير انهم لا تكاد تخلوا دار احدهم من شجرة قطن وحكم اهل هذه البلاد والمذكور قبلها من بلاد السودان ان تجبر صاحب السرقة فى بيع السارق او قتله وحكمهم فى الزانى ان يسلخ من جلده ومن ترنقة تصل العمارة بالسودان الى بلد زافقوا وهم صنف من السودان يعبدون حية كالثعبان العظيم ذا عرف وذنب راسه كراس البختى وهو فى مغارة بالمفازة وعلى فم المغارة عريش واحجار ومسكن قوم متعبدين معظمين لتلك الحية ويعلقون نفيس الثياب وحر المتاع على ذلك العريش ويضعون له جفان الطعام وعساس اللبن والشراب وهم اذا ارادوا اخراجه الى العريش تكلموا كلاما وصفروا صفيرا معلوما فيبرز اليهم واذا هلك

وال من ولادتهم جمعوا كل من تصلح للملكة وقربوهم الدهـــا وتكلموا تكلام بعلمونه فتعدنو لخمـــة منهم فلا تزال تسمهم رجلا رجلا حتى تنكز احدهم تابعها فاذا تكزته ولت الى المغارة فمنعها ذلك المكور فاجدّ ما تعدر عليه من السمر ليجدب من دنبه اوعرده فاشدّ ما تعدر عليه شعرات فيكون مدة ملكه لهم بعدد تلك الشعرات لكل شعرة سنـــه لا يخطئهم ذلك بزعمهم وتليهم تلاد القرويين وهي مملكة للقرويين على حدتها ومن غريب ما فيها تركه تجمع فيها الماء ينبت فيها نبات اصوله انفع شيء في تقوية الباه والعون عليها والملك يمنع منها ولا يصل منها شيء الى غيره وله من النساء عدد عظيم فاذا اراد ان يطوف عليهن ادخرهن قبل ذلك بيوم ثم استعمل ذلك الدواء فيطوف عليهن كلهن ولا يكاد ينكسر وقد اهدى اليه بعض ملوك المسلمين المجاورين له هدية نفيسة واستهداه شيئا من هذا النبـــات فعاوضه على هديته وكتب اليه يقول ان المسلمين لا يحل لهم من النساء الا قليل وقد خفت عليك ان بعثت اليك الدواء ان لا تقدر على امساك نفسك فتاتي بما لا يحل لك في دينك ولاكني قد بعثت اليك نباتا ياكله الرجل العقيم فيولد له وبلاد القرويين يبدل الملح فيها بالذهب ۞

۞ ذكر غانة وسير اهلها ۞

وغانة سمة لملوكهم واسم البلد اوكار واسم ملكهم اليوم وهي سنـة ستين واربع ماية تنكامنين وولي سنة خمس وخمسين وكـان اسم ملكهم قبله بسي وولِيهم وهو ابن خمس وثمانين سنة وكان محمود السيرة محبا للعدل موثرا للمسلمين وعمي في اخر عمره فكـــان يكتم

ذلك عن اهـل مملكته ويريهم انه يبصر وتوضع بين يديه اشياء فيقول هذا حسن وهذا قبيح وكـــان وزراؤه يلبسون ذلك على الناس ويلعزون للملك بما يقول فلا تفهمه العامة وبسى هذا خال دمكامنين وتلك سيرتهم ومذهبهم ان الملك لايكـــون الا في ابن اخت الملك لانه لا يشك فيه انه ابن اخته وهـــو يشك في ابنه ولا يقطع على صحة اتصاله به وتنكامنين هذا شديد الشوكة عظيم المملكة مهيب السلطان ومدينة غانة مدينتان سهليتان احداها المدينة التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا احدها يجمعون فيه ولها الائمة والموذنون والراتبون وفيها فقهاء وحملة علم وحواليها ابار عذبة منها يشربون وعليها يعتملون الخضراوات ومدينه الملك على ستة اميـــال من هذه وتسمى بالغابة والمساكن بينهما منصـــلة ومبانيهم بالحجارة وخشب السنط وللملك قصر وقباب وقد احاط بذلك كله حائط كالسور وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس حكم الملك وحول مدينه الملك قباب وغابات وشعراء يسكن فيها سحرتهم وهم الذين يقيمون دينهم وفيها دكاكيرهم وقبور ملوكهم ولتلك الغابات حرس ولا يمكن احد دخولها ولا معرفة مـــا فيها وهناك سجون الملك فاذا سجن فيها احد انقطع عن الناس خبره وتراجمة الملك من المسلمين وكذلك صاحب بيت مـــاله واكثر وزرائه ولا يلبس المخيط من اهل دين الملك غيره وغير ولي عهده وهو ابن اخته ويلبس سائر الناس ملاحف القطن والحرير والديباج على قدر احوالهم وهم اجمع يحلقون لحاهم ونساؤهم يحلقـــن رؤسهن وملكهم يتحلى بحلي النساء في العنق والذراعين ويجعل على راسه الطراطير المذهبة عليها عمائم القطن الرفيعة وهـــو يجلس للناس

والمظالم في قبة ويكون حوالى القبة عشرة افراس بثياب مذهبة ووراء الملك عشرة من الغلمان يحملون الجحف والسيوف المحلاة بالذهب وعن يمينه اولاد ملوك بلده قد ضفروا رؤسهم على الذهب وعليهم الثياب الرفيعة ووالى المدينة بين يدى الملك جالس في الارض وحواليه الوزراء جلوسا على الارض وعلى باب القبة كلاب منسوبة لا تكاد تفارق موضع الملك تحرسه في اعناقها سواجير الذهب والفضة يكون في الساجور عدد رمانات ذهب وفضة وهم ينذرون بجلوسه بطبل يسمونه دبا وهو خشبة طويلة منقورة فيجتمع الناس فاذا دنا اهل دينه منه جثوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤسهم فتلك تحيتهم له واما المسلمون فانما سلامهم عليه تصفيقا باليدين ودياناتهم المجوسية وعبادة الدكاكير واذا مات ملكهم عقدوا له قبة عظيمة من خشب الساج ووضعوها في موضع قبره ثم اتوا به على سرير قليل العرش والوطا فادخلوه في تلك القبة ووضعوا معه حليته وسلاحه وانيته التى كان ياكل فيها ويشرب وادخلوا فيها الاطعمة والاشربة وادخلوا معه رجالا ممن كان يخدم طعامه وشرابه واغلقوا عليهم باب القبة وجعلوا فوق القبة الحصر والامتعة ثم اجتمع الناس فردموا فوقها بالتراب حتى تاتى كالجبل الضخم ثم يخندقون حولها حتى لا يوصل الى ذلك الكوم الا من موضع واحد وهم يذبحون لموتاهم الذبائح ويقربون لهم الخمور ولملكهم على حمار الملح دينار ذهب في ادخاله البلد وديناران في اخراجه وله على حمل النحاس خمسة مثاقيل وعلى حمل المتاع عشرة مثاقيل وافضل الذهب في بلاده ما كان بمدينة غياروا وبينها وبين مدينة الملك مسيرة ثمانية عشر يوما في بلاد معمورة بقبايل السودان مساكن متصلة واذا وجد في جميع معادن بلاده

الندرة من الذهب استصعباهـا الملك وانما يترك منها للناس هذا التبر الدقيق ولولا ذلك لكثر الذهب بايدى الناس حتى يهون والندرة تكون من اوقية الى رطل ويذكر ان عنده منه ندرة كالحجر الضخم وبين مدينة غيارو والنيل اثنا عشر ميلا وفيها من المسلمين كثير وغانة بلدة مستوبية غير اهلة لا يكاد يسلم الداخل دمها من المرض عند امتلاء زرعهم ويقع الموتان في غربائها عند استحصاد الزرع ۞ فاما الطريق من غانة الى غيارو فالى مدينة سامَقَنْدَى اربعة ايام واهل سامقندى ارمى السودان بالنشاب ومنها الى بلد يسمى طافة يومان واكثر شجر طافة شجر يسمونه تادموت وهو شجر الاراك الا ان له ثمرا كالبطيخ داخله شيء يشبه الفند تشوب حلاوته حمضة نافع للمحمومين ومن هناك الى خليج من النيل يقال له زوغوا مسيرة يوم تخوضه الجمال ولا يعبره الناس الا في القوارب ومنه الى بلد يقال له غرنتل وهو بلد كبير ومملكة جليلة لا يسكنه مسلمون ولكنهم يكرمونهم ويخرجون لهم عن الطريق اذا دخلوا بلادهم وتلد عندهم الفيلة والزرافات ومن غرنتل الى غيارو وملك غانة اذا احتفل ينتهى جيشه مائتى الف منهم رماة ازيد من اربعين الفا وخيل غانة قصار جدا وعندهم الابنوس الجيد المجزّع وهم يزدرعون مرتين في العام مرة على ثرى النيل اذا خرج عندهم واخرى على ثرى وبغربي غيارو على النيل مدينة يرسنى يسكنها المسلمون وما حولها مشركون و في يرسنى معز قصار فاذا وضعت الماعزة ذبحوا الذكور وابقوا الانثى وعندهم شجر تحتك بها هذه المعزى فتحمل من ذلك العود وتلد من غير ذكر وهذا معلوم عندهم غير منكر وحدث به جماعة من المسلمين الثقات ومن يرسنى يجلب السودان العجم المعروفون بنو نغمارته

وثم تحار التمر الى البلاد وما وازاهـا من ضعة النيل الثـانية مملكة كبيرة ازيد من مسيرة ثمـــانية ايام سمة ملكهم دو وهم يقاتلون بالنشاب ووراءه بلد اسمه ملل وملكهم يعرف بالمسلماني وانما سمى بذلك لان بلاده اجدبت عاما بعد عام فاستسقوا بقرابينهم من البقر حتى كادوا يفنونها ولا يزدادون الا قحطا وشقاء وكان عنده ضيف من المسلمين يقرا القرءان ويعلـم السنة فشكا اليه الملك ما دهمهم من ذلك فقـال له ايها الملك لو امنت بالله تعـــالى واقررت بوحدانيته وبمحمد عليه الصلاة والسلام واقررت برسالته واعتقدت شرايع الاسلام كلها لرجوت لك الفرج مما انت فيه وحل بك وان يعم الرحمـة اهل بلدك وان يحسدك على ذلك من عاداك وناواك فلم يزل به حتى اسلم واخلص نيته واقراه من كتاب الله ما تيسر عليه وعلمه من الفرايض والسنن ما لا يسع جهله ثـم استانا بـه الى ليلة جمعة فامره فتطهر فيها طهرا سابغـا والبسه المسـلم ثوب قطن كـان عنده وبرزا الى ربوة من الارض فقـام المســـلم يصلى والملك عن يمينه يأتم بـه فصليا من الليـل ما شاء الله والمســـلم يدعو والملك يومّن فما انفجر الصبــاح الا والله قد اعمهم بالسقى فامر الملك بكسر الدكاكير واخراج السحرة من بلاده وصح اسلامه واسلام عقبه وخاصته واهــل مملكته مشركون فوسموا ملوكـهم منذذاك بالمسلماني ومن اعمال غانة المتضايفة اليها بلد يسمى سـامه ويعرف اهله بالبكم بينه وبين غانة مسيرة اربعة ايام وهم يمشـون عراة الا ان المراة تستر فرجها بسيور تضفرها وهن يوفرن شعر العانة ويحلقن شعر الراس وحدث ابو عبـــد الله المكى انـه راى منهن امراة وقفت على رجل من العرب طويل اللحية فتكلمت بكلام لم يفهمه فسال الترجمان عن مقالتها فذكر انها تمنت ان يكون شعر

لجينه في عانتها دامتلى العرب غضبا واوسعها سبا والبكم لهم
حـــذق بالرماية وهم يرمون بالسهام المسمومة وبورثون الابن الاكبر
مال الاب كله وبغربي مدينة غانة مدينة انبارة وملكها اسمه نارم
وهو معاند لملك غانة وعلى تسع مراحل من مدينة انبارة مدينة
كوغة وبينها وبين غانة مسيرة خمس عشرة مرحلة واهلها مسلمون
وحوالبهـا المشركون واكثر ما يتجهز اليها بالملح والودع والنحاس
والفربيون والـودع والفربيون انفق شيء عنـدهم وحواليهـــا من
معـادن التبر كثير وهي اكثر بلاد السودان ذهبا وهناك مدينة
الوكن وملكهـا يسمى فمر بن بسى ويقال انه مسلم يخفي اسلامه
وببلاد غانة قوم يسمـون بالهُنَيّهين من ذرية الجيش الذى كـان
بنو امية انفذوه الى غانة في صدر الاسلام وهم على دين اهـــل
غـــانة الا انهم لا ينكحون في السودان ولا ينكحونهم فهـــم بيض
الالوان حسـان الوجوه وبسلى ايضــا قوم منهم يعرفون بالفامان
وببلاد غانة حكم الماء وذلك انه من ادعى عليه بمال او دم او غير
ذلك عمد امينهم الى عود فيه حرافة ومرارة ورقّة وصب عليه من
الماء قدرا ما وسقاه المدعا عليه فان رماه من جوفه علم انه برى
وهنّى بذلك وان لم يرمه وبقى في جوفه صحت الدعوى عليه ومن
الغرايب ببلاد السودان شجرة طويلة الساق دقيقته يسمى تورزى
تنبت في الرمال ولها ثمر كبير منتفخ داخله صوف ابيض تصنع
منه الثياب والاكسية ولا تؤثر النار فيما صنع من ذلك الصوف من
الثياب لو اوقدت عليه الدهر واخبر الفقيه عبد الملك ان اهل
اللامس بلـــد هناك ليس لهم لبس الا من هذا الصنف ومن هذا
الجنس حجارة بوادى درعة تسمى بالبربرية تامطُغست تحـــك باليد
فتلين الى ان تأتى في قوام الكتان فيصنع منها الامرّة والقيود للدواب

فلا تؤثر النار في شيء من ذلك وقد صنع منها كساء لبعض ملوك زناتة بسجلماسة واخبرني الثقة انه شهد تاجرا قد جلب منه منديلا الى فردلند صاحب الجلالقة وذكر انه منديل لبعض الحواريين وان النار لا تؤثر فيه واراه ذلك عيانا فعظم موقعه من فردلند وبذل له فيه غناء وبعث به فردلند الى صاحب قسطنطينية ليوضع في كنيستهم العظمى فعند ذلك بعث اليه صاحب قسطنطينية التاج وامره بالتتويج وقد حدث جماعة انهم راوا منه هداب منديل عند ابي الفضل البغدادي تحمى عليه النار فيزداد بياضا ويكون له النار غسلا وهو مكتوب الكتان ۞

واذا سرت من غانة تريد طلوع الشمس تسير في طريق معمورة بالسودان الى موضع يقال له اوغام يحرثون الذرة وهو عيشهم ثم تسير من هناك اربعة ايام الى موضع يقال له راس الماء وهناك تلقى النيل خارجا من بلاد السودان وعليه قبائل من البربر مسلمون يسمون مداسة وبازائهم من الشط الثاني مشركوا السودان ثم تسير من هناك ست مراحل على النيل الى مدينة تيرقى وتجتمع في سوق هذه المدينة اهل غانة واهل تادمكة وتعظم السلاحف بتيرقى وتتخذ في الارض اسرابا يمشى فيها الانسان ولا يطيقون استخراج واحدة منها الا بعد شد الحبال فيها واجتماع العدد الكثير عليها واخبرني الفقيه ابو محمد عبد الملك بن تخاس الغرفة ان قوما عرسوا في طريق تيرقى والارضة هناك تاتي على ما تجده وتفسد ما وصلت اليه وتخرج من التراب آكواما كالروابي ومن الغرايب ان ذلك التراب ثرّ ند والماء هناك غير موجود على ابعد حفر فلا توضع الامتعة الا على الحجارة المجموعة او الخشب الموضوعة فارتاد كل واحد من القوم لمتاعه حرزا من الارضة وبدر احدهم فيما ظن الى

صخرة كبيرة فانزل عليها وقر بعيرين كانا معه فلما هب من نومه سحرا لم يجد الصخرة ولا ما كان عليها فارتاع ونادى بالويل والحرب فاجتمعوا اليه يسألونه عن خطبه فاخبرهم فقالوا لو طرقك لصوص لاخذوا المتاع وبقيت الصخرة فنظروا فاذا اثر سلحفاة ذاهبة من الموضع فاقتفوه اميالا حتى ادركوها وحملا المتاع على ظهرها وهي التى حسبها صخرة ۞ ومن تيرقى يرجع النيل نحو الجنوب في بلاد السودان فتسير عليه نحو ثلاث مراحل فتدخل بلاد سغمارة وهم قبيل من البربر في عمل تادمكة ويحاذيهم من الشط الثانى مدينة كوكوا للسودان وسياتى ذكرها وما والاها ان شاء الله ۞

فاما الجادة من غانة الى تادمكة وبينهما مسيرة خمسين يوما فمن غانة الى سفنقو ثلاث مراحل وهي على النيل وهي اخر عمل غانة ثم تصحب النيل الى بوغرات فيه قبيل من صنهاجة يعرفون بمداسة واخبر الفقيه ابو محمد عبد الملك انه راى في بوغرات طايرا يشبه الخطاف يفهم من صوته كل سامع افهاما لا يشوبه لبس قُتل الحسين قتل الحسين يكرر مرارا ثم يقول بكربلا مرة واحدة قال عبد الملك سمعته انا ومن حضر من المسلمين معى ومن بوغرات الى تيرقى ثم تسير منها في الصحراء الى تادمكة وتادمكة اشبه بلاد الدنيا بمكة ومعنى تادمكة هيئة مكة وهي مدينة كبيرة بين جبال وشعاب وهي احسن بناء من مدينة غانة ومدينة كوكوا واهل تادمكة بربر مسلمون وهم يتنقبون كما يتنقب بربر الصحراء وعيشهم من اللحم واللبن ومن حب تنبته الارض من غير اعتمال ويجلب اليهم الذرة وساير الحبوب من بلاد السودان ويلبسون الثياب المصبغة بالحمرة من القطن والنولى وغير ذلك وملكهم يلبس عمامة حمراء وقميصا اصفر وسراويل زرقاء ودنانيرهم تسمى الصلع لانها ذهب محض غير مختومة ونساؤهم

فايقات الجمال لا تعدل بهن اهل بلد حسنا والزنا عندهم مباح وهن يبادرن التجـــار ابتهن تحمله الى منزلها ۞ فان اردت من تادمكة الى القيروان فانك تسير فى الصحراء خمسين يوما الى وارجلان وهى سبعة حصون للبرابر اكبرها يسمى اغرم ان يكامّن اى حصن العهود ومنها الى مدينة قسطيلية اربعة عشر يوما ومن قسطيلية الى القيروان سبعة ايام على ما تقدم وبين وارجلان وقلعة ابى طويل مسيرة ثلاثة عشر يوما ومن تادمكت الى غدامس اربعون مرحلة فى الصحراء والماء فيها على مسيرة اليومين والثلاثة احساء وغدامس مدينة لطيفة كثيرة النخل والمياه واهلها برابر مسلمون وبغدامس دواميس كانت سجنا للكاهنة التى كانت بافريقية واكثر طعام اهل غدامس التمر والكماة تعظم عندهم حتى تتخذ فيهـــا الارانب جحرة وبين غدامس وجبل نفوسة سبعـــة ايام فى الصحراء وبين نفوسة ومدينة اطرابلس ثلاثة ايام على ما تقدم ۞

وطريق اخر من تادمكة الى غدامس ۞ تسير من تادمكة ستـــة ايام فى مجارة سغمارة ثم فى مجابة اربعة ايام الى الماء ثم فى مجـــابة ثانية اربعة ايام ايضا وفى هذه المجابة الثانية معدن لحجارة تسمى تاسى النسمت وهى حجارة تشبه العقيق وربما كان فى الحجر الواحد الوان من الحمرة والصفرة والبياض وربما وجد فيها فى النادر الحجر الجليل الكبير فاذا وصل به الى اهل غانة غالوا فيه وبذلـوا فيه الرغايب وهو اجـــل عندهم من كل علق يقتنى وهـو حجر يجلى ويثقب بحجر اخر يسمى تنتواس كما يجلى اليوقوت ويثقب بالسنباذج لا يعمل فيه الحديد شيئـا الا بالتنتواس ولا يوصل اليه ولا يعلم موضعه حتى ينحر الابل على معدنه وينضح دمـــه فحينئذ يظهر ويلقط وفى بونو معدن للناس انسمت ايضا ومعدن هذه المجابة

افضل وتسير من هذه المجابة الى مجابة ثالثة وفي هذه المجـــابة معدن الشب ومنها يحمل الى البلاد وتسير من هذه المجابة الى مجابة رابعة احد عشر يوما في رمال جرد لا مـــاء فيها ولا نبت يتزود الركبان الماء والحطب فيها كما تتزود الطعام والعلف وعلى يسار السائر في هذه المجابة جبل الرمل الاحمر الذى يتصل بسجلماسة وهو الذى يكون فيه الفنك والثعلب الدهى وهو اخر حد افريقية واذا سار الســـاير من بلاد كوكو على شاطئ البحر غربا انتهى الى مملكة يقال لها الدمدم ياكلون من وقع اليهم ولهـم ملك كبير وملوك تحت يده وفي بلدهم قلعة عظيمة عليها صنم في صورة امراة يتالهون له ويحجونه وبين تادمكة ومدينة كوكوا تسع مراحـل والعرب تسمى اهلها البزركانيين وهي مدينتان مدينة الملك ومدينة المسلمين وملكهم يسمى قندا وزيهم كزى الســودان من الملاحف وثياب الجلود وغير ذلك بقدر جدة الانسـان منهم وهم يعبدون الدكاكير كما تفعل السودان ويضرب بجلوس الملك الطبـل ويرقص النساء السودانيات بالشعور الجثلة المسترسلة ولا يتصرف احد منهم في مدينته حتى يفرغ من طعامه ويقذف بافيه في النيل فيصلحون عند ذلك ويصيحون فيعلم الناس انه قد فرغ من طعامه واذا ولى منهم ملك دفع اليه خاتم وسيف ومصحف يزعمون ان امير المومنين بعث بذلك اليهم وملكهم مسلم لا يملكون غير المسلمين ويزعمون انهـــم انمـا سموا كوكوا لان الذى يفهم من نغمـــة طبلهـم ذاك وكذلك ءازور وهير وزويـــلة يفهـــم من نغمة طبلهم زويـلة زويـــلة وتجارة اهل بلد كوكوا بالملح وهو نقدهم والمـــلح يحمل من بلاد البربر يقال لها توتك من معدن تحت الارض الى تادمكة ومن تادمكة الى كوكوا وبين توتك وتادمكة ست مراحل ۞

۞ ذكر نبذ من سير البربر وسياساتهم سوى ما وقع منها مفترقا في موضعه من هذا الكتاب ۞

ذكروا ان رجلا شيخا خرج مع امراته وكانت شابة يريد قلعة فاد فصحبه في بعض الطريق فتى شاب كلف بتلك المراة وكلفت به فتواطيا على ان يدعي كل واحد منهما زوجية الاخر وسقطا الشيخ فلما وصلا الى القلعة شكى ذلك الشيخ الى فاد ما دهمه من امرها ووصف له حاله معها فوقف فاد الشاب والمراة فتقارا على نكاحهما وانكرا ما يدعيه الشيخ فجعل فاد يباحث الشيخ هل صحبهم في طريقهم احد او هل له شبهة فقال ما صحبنا في طريقنا غير هذا الكلب فاندلى لكلب كان معه فامر الشيخ بربط الكلب الى ثمرة او وتد كان هناك ثم امر المراة بحله فذهبت اليه فارسلته ثم امرها فربطته والكلب لا ينكر شيئا من ذلك ثم قال للشاب قم فارسل الكلب ثم اربطه فلما هم بذلك نبحه الكلب وانكره فقال للمراة هذا زوجك الشيخ وهذا الفاسق فخلعك عليه. وامر بضرب عنق الفتى ۞ وذكر ان رجلا كان له امراتان وكان كلفا باخرتهما نكاحا فقالت له الاولى ان هذه التي تكلف بها تخونك وانها تفجر مع غلام لها فاستعمل الركوب والسقوط عن الدابة وسيق الى منزل امراته الاخرة محمولا لا يقلب عضوا بزعمه فاجتمع اهله ونساؤه اليه يمرضونه ويلطفونه الى ان مضى هزيع من الليل فعزم عليهم وصرفهم الى منازلهم وبقي مع امراته واستعمل النوم والتثاقل حتى كانه مغمى عليه فراى امراته قد خرجت عنه الى البيت الذي كان فيه المتهم بها فجمع حسه وصار عند باب البيت فسمعه يقول لها ابطات علي وتركتني بلا

عشاء فقالت حسبنى عمك شغلى بهذا الرجل فلا تلمنى فانت للنفس وهو للولد فصمت على ما سمع وتغافل عنه ورجع الى مضجعه فما كان الا ضحى الغد حتى تنادى فى ذلك الموضع واصباحاه فثاروا الى العدو وراى هذا الساقط الخامل على نفسه والانفة من تخلفه فلبس سلاحه وركب فرسه وحمل ذلك المتهم فيمن حمل من اتباعه معهم السلاح فلما برزوا الى عدوهم امر ذلك المتهم بالتقدم بين يديه ثم بحد الى الحيدة سبيلا فلما خالط ده العدو كلل عنه مدبرا فكان اول صريع ولم يعلم احد شيأ من امرها ثم انصرف الى منزله تحمدت امراته الله على سلامته فقال لها لاكن الذى للنفس لم يسلم فانى اما انا للولد فعلمت انه قد سمع مقالتها فقالت ارسلنى الى اهلى فقال اذهبى فلما ابطات عليه اتى اهلها فقال ما بال امراتى لا تعود الى منزلها فقالوا له انا لا نقدر على صرفها فقال وانا لا اقدر على فراقها فلج بهم الامر حتى افتدت منه بجميع ما حمل اليها فى صداقها وما تكلف لها عند املاكها فلما قبض ذلك ووصل اليه قال لهم اما اذ وصلت الى حقى فان الشان كيت وكيت واخبرهم بالقصة فقررها اهلها واستبانوا الريبة منها فقتلوها فبلغ بسياسته الى التشفى منها بغير يده وتخلص من عشيرة امراته واسترجع جميع حقه ۞ وشبيه بهذا عن بعض كبرائهم ايضا انه اتهم امراته واخبر انه اذا غاب خالفه رجل من اهل ناحيته الى امراته فاستعمل سفرا بعيدا وذكر ذلك لقبيله فتجهز معه نفر لذلك فلما صاروا وانتهوا الى ادنى مرحلة اعتذر لهم بعذر يضطره الى الانصراف وعزم عليهم فى النفوذ لطيتهم فكر راجعا حتى اتى بعض الشعاب مساء فاخفى فيه فرسه وسلاحه واتى اهله متسترا متجسسا فتسلق جدارا او مكانا

فطلع معه على منزله امنا ان يعلم به منه فراى امراته على ما يكره مع ذلك الرجل المتهم فولى راجعا الى الشعب ولبس سلاحه وركب فرسه واتى المنزل فلما علم به اهله ارتاعوا واخفوا ذلك العاجر في بيت من الدار ودخل رب المنزل غير مكترث واعتذر في رجوعه بعذر فقبلته امراته وجعلت تحاول له طعاما فلما كمل قربته اليه فقال احضرى ضيفك قالت وهل لى من ضيف قال نعم هو ذاك في البيت الكذا فناكرته فقام اليه فاستخرجه وقال هلم الى طعامنا فقال له ما لى الى الاكل من حاجة وانى الى الموت احوج لما نالنى من هذه الفضيحة قال لا باس عليك فقد ائتنى من هو خير منك ولم يزل به حتى طعم ثم ارسله عن منزله مستترا مسلما لم يربه بريب ثم اقبل على امراته فقال لا تعيى مما جرى لك فان النساء قد يزللن ويملن بهواهن والمعصوم من الناس قليل وعندى من الستر لامرك والطى لخبرك ما يسرك وقد علمت انه لم يحملك على ما صنعت الا هوى غلب عقلك غيه وانا تارك بينك وبين هذا الذى احببتيه تنكحينه وتتشفين منه جهارا من غير ريبة على ان تشترطى لى شرطا وتعقد لى على نفسك عقدا تلتزمينه فاجابته الى ذلك وقالت ما شرطك قال انك اذا اكلت عنده عاما ان ترسلى الىّ فامرّ بك وهو حاضر فتخرجين الىّ متزينة في ثياب تشف وتتكلمين معى في امره وتتشكين سوء عشرته فتستحمله الغيرة على طلاقك فاعود الى حالى معك بعد ان تقضى حاجة نفسك وترتفع عنى الريب في امرك باختيارك لى على هذا الذى قد مال بك وقد علم سوء خلف صاحبه وتهافته الى الشر وقلة ملكه لنفسه فعاقدته على ذلك ثم ارسل الى ابيها واهل بيتها فصنع لهم طعاما فاطعمهم ثم قال لهم سلوا وليتكم كيف كانت

صحبنى لها ومعاشرتى اباها فسالوها فاثنت خيرا ووصفت مجاملة وبرّا فقال اسئلوها ما بالها اتريد الفراق عندى فسألوها فقالت انى اكرهه وابغض قربه واحب بُعده ولا اجد من نفسى معينا على غير ذلك وقد جاهدتها على الاستمرار فى صحبته فعرفت بى عن ذلك عزوفا لا رجعة معه فلا تتركونى معه فان ذلك يقتادنى الى الحمام وبفضى بى الى انواع السقام وقد تبرات اليه من جميع حقه والزوج فى ذلك كله يظهر الرغبة فيها والاشفاق من مفارقتها فما انفض جمعهم حتى ملكت امرها ورجعوا على زوجها ما صير اليها من حقها وشكروه على بره بها وولوها الملامة فى جميع امرها فلما حلت للازواج كان الغادر بها اول خاطب لها فتزوجته ومكثت معه حولا وهى تستبطئ مرور الحول لما خبرته من فضل الاول على هذا فلما انقضى بعثت الى الاول على ما عاقدته معه فخرج مارا على منزلها فتلقته فى قميص بصفها وبنم بجسمها تشكو زوجها وهو قاعد مع جماعتها فلما راى ذلك لم يتمالك غيرة ان قام اليها وطعنها طعنة كانت فيها نفسها فقصد اليه اهلها واخوتها فقتلوه واختلف الفريقان وزحف بعضهم الى بعض فكادت الحرب تفنيهم وتم للزوج الاول المراد فيهما ولم يرزا فى نفسه ولا فى ماله بمقدار قلامة ۞ وحدثوا ان حمادا قال ما تداهى احد قط علىّ ولا خدعنى الا امراة وكعاء من البربر قيل له وكيف كان ذلك قال نعم ان صاحبا كان لى بالقيروان نشا معى نشاة واحدة لم يفرق بيننا مكتب ولا مشهد وكنت قد خلطته بنفسى وجعلته محل انسى فلم يزل على ذلك حتى صرت الى ما انا فيه ففقدته فجعلت افتقده فلا اقدر عليه ولا اجد سببا للوصول اليه فلما ان عتبت على اهل باغاية وشننت عليها الغارات لم انشب صبيحة ذلك

اليوم ان سمعت مناديا ينادى بالله. ياللامير فقلت ما بالك ومن انت فقال انا فلان بن فلان فاذا به صاحبى المطلوب قد حبسه عنى نسكه وغلب على هواه ورع يماكه فاظهرت البشر بمكانه والجذل بشانه ولو شفع فى جميع اهل باغاية لشفعته فجعلت الطفه واونسه وهو كالواهان فسالته عن امره فقال انه فقد بنته فيمن فقد من النساء فقلت له والله لو خرجت الى بالامس لحقنت دماء اهل بلدك لحرمتك عندى فقال القدر غالب والمحروم خايب قال حماد ثم امرت القواد فاحضروا جميع ما كان فى حبوشهم من النساء فعرف فيهن بنته قال فامرت بسترها وحملها مع ابيها فرفعت صوتها قايلة لا والله يا حماد لا رجعت مع ابى ولا رجعت مع الذى عصبنى قلت فما تريدين وبلك قالت انى لا اصلح الا للملوك فلا حاجة لى فى السوقة فلما سمع ذلك ابوها سكن ما كان فى نفسه لها وظن انها قد فتنت وفسدت عليه قال حماد فقلت لها ومن اين لا تصلح الا للملوك قالت لان عندى علما لا اشارك فيه ولا يدعيه غيرى قلت الا اريتنا شيئا من ذلك فقالت نعم نامر بقتل انسان ويحضر امضى سيف اتكلم عليه بكلمات تمنع من تاثيره ويعود بعد حامله اكلّ من قايمه قال حماد الذى يجرب هذا فيه لمغرور قالت اويتّهم احد انه يريد قتل نفسه قال لا قالت فانى اريد ان يجرب ذلك فى فتكلمت على سيف اختاروه ومدت عنقها فضربها السيّاف ضربة ابان راسها فاستيقظت من غفلتى وعلمت انها تداهت على وكرهت العيش بعد الذى جرى لها وعليها واستبان لابيها من ذلك مثل الذى بان لى فجعل يلقى نفسه عليها ويتمرغ فى دمها اسفا لما حل به منها واغتباطا بها لما راى من عظم انفتها واختيارها للموت على ما نزل بها ۞ وبنو ورسيفان من البربر اذا

ارادوا مباشرة الحرب نعربوا بذبح بعرة سوداء للشمارخ وهم عندهم الشياطين ويقولون هذا ذبح الشمارخ ويبعدون اوعيتهم في تلك الليلة من الطعام والعلف ولا يكون له وكاء ولا سداد ويقولون هذا طعام وعلف للسمارخ فاذا غدوا للقتال توقعوا حتى يروا روابع الرح فيقولون قد جاءت الشمارخ اولياؤكم لنصرتكم فيحملون عند ذلك ويتنصرون بزعمهم ويقولون ان ذلك لا يخطيهم وجماعتهم يعتقد ذلك غير مستترين به وهم اذا اضافوا الضيف جعلوا من طعامه للسمارخ ويزعمون انه ياكلونه الذين يوضع لهم وينتهون عن ذكر اسم الله عند شيء من ذلك ۞

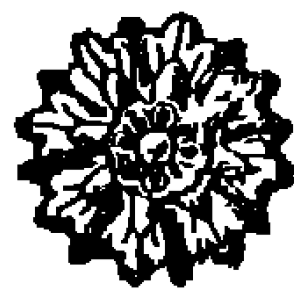
تم الكتاب

بعون الله

الوهاب

۞

فهرست مـــا وجد ذكره في هذا الكتاب
من اسماء الامكنة وغيرها



بيان الخطاء والصواب لتصحيح نص هذا الكتاب

سطر	صحيفة	صواب	خطا
٩٤	١٢	ناجروبت	ناحروبت
١٨	١٢	يغربون	يغربون
٤	١٥	انواع	انواح
٢٣	١٨	وجهها	وجهها
٣	٤٥	واما غلام (حايز)	انا وعلام
١٦	٦٩	قلعة	ىلغة
٧	٧٠	شجرة	نجرة
١٦	٧٩	شاطى	شاظى
١٢	١٠٩	برطناتش	درطنانش
١٨	١١٢	ما تقدم	ما نعدم
٥	١١٥	الى اليوم ثم الى وادى نكرة (خطا) الى اليوم ثم الى وادى المقاول ثم الى وادى نكرة (الصواب)	
٢٠	١١٧	المهاجر	الهاجر
١٣	١٤٥	بجانة	بحانة
٥	١٥١	بمكث	بمكت
١٤	١٩٧	يوم	يرم

y remarque cependant l'absence d'un feuillet qui devait se trouver entre les feuillets numérotés maintenant 83 et 84 ; on s'aperçoit aussi qu'une partie considérable de la notice sur les Idrîcides y manque, que le copiste a laissé plusieurs mots en blanc et oublié quelques phrases. Pour racheter ces imperfections, on y trouve un morceau unique, un routier maritime de l'Afrique et de la Syrie, ainsi que plusieurs passages qui manquaient dans le manuscrit de Paris. Ayant collationné celui-ci avec la copie du manuscrit de Londres, il m'a été facile de combler presque toutes les lacunes, et de rétablir le texte à peu près dans l'état où l'auteur nous l'avait laissé ; puis, voulant m'assurer de l'exactitude de mon travail, j'en communiquai la copie à M. de Gayangos, qui eut l'obligeance d'y ajouter toutes les variantes qu'il put découvrir dans le manuscrit de l'Escurial, nº 1630. Ce volume, écrit en caractères maghrebins, renferme les deux premiers tiers de la description de l'Afrique. Le texte n'est pas toujours correct, bien qu'il offre parfois de bonnes leçons, mais il nous fournit un passage assez long qui appartient évidemment à l'ouvrage et que l'on cherche inutilement dans les autres manuscrits. Des quatre manuscrits qui ont servi de base à notre texte arabe, celui d'Alger est le moins important, puisqu'il n'est qu'une copie du manuscrit de Londres ; mais ayant été écrit à Cairouan par un homme assez intelligent, il fournit certaines variantes ou corrections qui ont le mérite d'être justes et bonnes.

La traduction de ce traité géographique est achevée et sera bientôt mise sous presse

DE SLANE.

Alger, 20 juillet, 1857

mauvais texte qu'il avait entrepris de traduire. Telle était, en effet, l'imperfection du manuscrit dont il se servait que, malgré toutes ses recherches, un très-grand nombre de noms de localité demeuraient illisibles. On remarqua aussi, avec regret, que presque toute la partie historique de l'ouvrage n'avait pas été traduite et l'on y reconnut même plusieurs lacunes impossibles à remplir sans le secours d'un second manuscrit du même ouvrage. Malgré ces imperfections, le travail de cet orientaliste fournira toujours une preuve frappante de tout ce que peuvent effectuer la critique et l'érudition.

L'occupation de l'Algérie par la France, les travaux des officiers de l'état-major, et les cartes publiées par le Dépôt de la guerre venaient, depuis quelques années, de fournir aux géographes une foule d'excellentes notions sur la topographie de l'Afrique, lorsqu'un petit manuscrit, très-mal écrit en caractères maghrebins, tomba sous les yeux de M. Berbrugger, qui l'acheta pour la bibliothèque dont il est le conservateur. En examinant ce volume, je reconnus qu'il renfermait le texte de l'Afrique d'El-Bekri, texte portant les points diacritiques et offrant une foule de bonnes leçons à la place des noms illisibles qui déparaient le manuscrit de Paris. Heureux de cette découverte, je pris la résolution de publier l'ouvrage avec une traduction complète ; et, grâce à la complaisance d'un savant orientaliste, M. Rieu, j'ai pu me procurer une copie très-exacte de l'ancien manuscrit d'El-Bekri qui se trouve dans la bibliothèque du Musée britannique, à Londres. Ce volume, renfermant 119 feuillets in-4°, et portant le n° 374, commence par la description de l'Egypte et finit par celle de l'Afrique. Écrit en caractères maghrebins et portant, sur chaque nom, les points diacritiques et les points-voyelles, il offre presque partout des leçons d'une exactitude parfaite On

manuscrit, les points diacritiques, mais les phrases les plus difficiles et les noms propres en sont dépourvus, précisément quand la présence de ces signes était d'une nécessité absolue. Une phrase arabe privée de points diacritiques, mais correctement écrite, se laisse toujours lire avec assez de facilité par ceux qui sont habitués à la marche et aux tournures ordinaires de cette langue ; mais les noms propres auxquels un copiste peu intelligent aura négligé d'ajouter ces signes essentiels, peuvent résister à la pénétration des déchiffreurs les plus habiles. Prenons, par exemple, le groupe de quatre lettres يعرس ; on peut le lire de plus de trois cents manières, si l'on ne connait pas les mots qui le précèdent et qui le suivent. Pour retrouver le nom d'une ville ou d'un pays écrit de cette façon absurde, il faut le connaître d'avance ; et, si on ne l'a pas déjà vu dans les autres géographes arabes ou dans les ouvrages des voyageurs, ou dans les cartes, on doit renoncer à le chercher.

Avec tous ses défauts, le manuscrit de Paris ne laissa pas d'être d'une grande importance pour la géographie de l'Afrique ; fait que le savant M. Quatremère avait bien apprécié ; aussi, ne craignit-il pas d'entreprendre une traduction abrégée de cet ouvrage, dont il avait, lui le premier, découvert le nom de l'auteur. Après avoir examiné les travaux des anciens géographes et historiens africains, et parcouru les nombreux récits que l'on doit au zèle des voyageurs européens, il fit paraître, en 1831, ses extraits d'El-Bekri dans le recueil publié par l'Institut de France et intitulé *Notices et Extraits des manuscrits de la Bibliothèque du Roi*. Le travail de M. Quatremère obtint sur le champ l'approbation des orientalistes et des géographes les plus distingués ; on admira surtout la profonde érudition déployée dans les notes qui servaient à éclaircir les difficultés du

plusieurs renseignements à notre géographe et à l'auteur du *Bayan* (1).

D'après les indications d'El-Bekri, il faudrait admettre que Mohammed Ibn-Youçof était originaire de Cairouan ; mais Ibn-Hazm, l'un des grands historiens de l'Espagne musulmane, assure que le père et la mère de ce géographe étaient natifs de Guadalaxara (2).

La notice d'El-Bekri sur l'Afrique septentrionale, traité dont le texte original parait ici pour la première fois, n'était pas inconnu au savant Deguignes et à l'illustre orientaliste S. de Sacy ; mais le nom de l'auteur avait échappé à leurs recherches. Le manuscrit dont ils s'étaient servi et qui se trouve dans la Bibliothèque impériale, ancien fonds, n° 580, est incomplet ; il commence par les derniers feuillets de la description de l'Egypte et se termine brusquement par les premières pages de la notice consacrée à l'Espagne : ce volume, n'ayant ni commencement ni fin, ne pouvait fournir aucune indication relative au titre qu'il devait porter et au nom de celui qui l'avait composé. La description de l'Afrique ne s'y trouve pas même en entier : plusieurs feuillets manquent et on y remarque des omissions faites par le copiste, et dont quelques-unes ont une étendue très-considérable. L'écriture, qui est du caractère oriental, est très-belle et appartient évidemment à une époque ancienne ; mais elle est dépourvue des points qui servent à distinguer les lettres dont la forme est semblable. Il est vrai que les mots les plus faciles à lire portent, dans ce

(1) Cet ouvrage, dont nous devons une édition (texte arabe) au zèle intelligent de M. Dozy, renferme une histoire très-détaillée de l'Afrique et de l'Espagne pendant les premiers siècles de la domination musulmane.

(2) El-Maccari, traduit par M. de Gayangos, vol. I, page 176, et vol. II, page 171 ; *Ibn-El-Abbar*, apud Casiri, t, II, p. 127 ; *Dozy*, introduction au *Bayan* p. 43.

terminé son ouvrage avant l'an 453, bien qu'il ait déclaré lui-même y avoir mis la dernière main en 460.

La notice des Béreghouata est, au contraire, une pièce rédigée pour le gouvernement oméïade ; notre auteur lui-même déclare qu'elle avait pour base les renseignements fournis par un envoyé béreghouatien qui s'était trouvé à la cour de Cordoue.

Ajoutons qu'El-Bekri n'avait jamais visité l'Afrique et que sa description de ce pays n'a pu être qu'un travail de compilation Souvent, dans ses emprunts, il cite ses autorités et, plus d'une fois, il inscrit sur ses pages le nom d'un auteur alors célèbre, Mohammed-Ibn-Youçof. Toutes les fois qu'il n'indique pas les sources ou il a puisé, on est porté à supposer qu'il trouvait ses renseignements à Cordoue et dans les archives de l'ancien royaume des Oméïades.

Puisque le nom de Mohammed-Ibn-Youçof se présente ici, je profiterai de l'occasion, pour offrir quelques renseignements au sujet de cet écrivain.

Mohammed-Ibn-Youçof, surnommé Ibn-El-Werrac *(le fils du libraire* ou *du marchand de papier)*, naquit en l'an 292 (904-5 de J.-C.) et mourut en 363 (973-4). On le désigne quelquefois par le surnom d'*Et-Tarîkhi* (*l'historien* , *l'annaliste*), parce qu'il avait composé , par l'ordre du sultan oméïade, El-Hakem-El-Mostancer , plusieurs ouvrages sur l'histoire et la géographie de l'Afrique. Parmi ces traités , on distingua particulièrement l'histoire de la ville de Tèhert *(Tiaret)*, celle d'Oran , celles de Tunis , de Sidjilmessa , de Nokour , de Ceuta, et de Basra du Maghreb. Une partie considérable d'un de ses ouvrages sur les *Routes et Royaumes* de l'Afrique se trouve reproduite dans celui d'El-Bekri. Ses monographies de villes et de dynasties ont fourni

La notice sur la secte almoravide est d'une date trop récente pour avoir appartenu à cette classe de documents. Celui qui la rédigea indique comme un des derniers faits qui s'étaient passés chez ce peuple, la révolte des Djoddala contre Yahya-Ibn-Omar, et il nous apprend que cet événement eut lieu en 448 de l'hégire. Il ignorait le nom de Youçof-Ibn-Tachefin ; il ne savait pas que ce chef avait obtenu le gouvernement du Maghreb en l'an 453, qu'il avait fondé la ville de Maroc l'année suivante, et conquis la ville de Fez douze mois plus tard. El-Bekri est tout aussi mal renseigné que lui. On peut tirer de là plusieurs conclusions : 1° que, dans la première moitié du cinquième siècle de l'hégire, les événements qui se passaient en Afrique n'étaient pas bien connus en Espagne ; 2° que les princes musulmans dont les états se trouvaient dans ce dernier pays avaient trop à faire chez eux pour s'occuper du Maghreb, pays dans lequel ils n'exerçaient aucune autorité ; 3° que le géographe El-Bekri, n'ayant pas apprécié l'importance de la grande révolution qui s'accomplissait dans le Maghreb à l'époque où il tenait la plume, avait négligé de prendre des renseignements sur ce sujet et qu'il s'était borné à faire des emprunts aux ouvrages de ses prédécesseurs et aux documents rassemblés par les soins d'un gouvernement prévoyant ; 4° que les règles de la critique littéraire peuvent mener à de fausses conclusions : car elles veulent que, pour déterminer l'année de la composition d'un ouvrage, on remarque les dernières dates, les dernières indications historiques qu'il renferme, que l'on cherche ailleurs l'événement le plus important qui soit arrivé après celles-ci, puis que l'on admette que l'auteur écrivait dans la période intermédiaire. Si l'on suivait ce principe et que l'on attribuât à El-Bekri la notice dont nous parlons, on serait obligé de conclure qu'il avait

mérite que par l'étendue ; — une notice de l'Irac, de la Transoxiane et des peuples barbares qui avoisinent la Mer Caspienne (1) ; — les premières pages d'une description de l'Espagne.

La partie de cet ouvrage qui concerne l'Afrique septentrionale est bien plus instructive que celles dont l'Egypte et les contrées de l'Asie forment le sujet principal. On voit que, pour rédiger cette notice intéressante, El-Bekri avait eu à sa disposition des documents de la plus haute importance. Ses itinéraires si exacts et si détaillés, ses descriptions de villes et de provinces, son routier maritime, ses notices des tribus, ses renseignements au sujet des princes dont les états avoisinaient l'Espagne, sont trop nombreux et trop intéressants sous un point de vue politique, pour être les fruits d'un travail auquel se serait livré un simple amateur de géographie. Ce sont plutôt des extraits de documents officiels, de pièces réunies en un seul dépôt, de rapports que le célèbre El-Mansour, ministre tout-puissant du dixième souverain omeïade, se serait fait adresser par ses agents et qui ont pu se trouver encore dans les archives de Cordoue à l'époque où notre auteur y faisait son séjour. Il est vrai que, dans la description de l'Afrique, aucun aveu ne se trouve qui puisse corroborer cette opinion ; mais le caractère uniforme de ces pièces semble indiquer qu'elles ont été rédigées sous une même inspiration et dans un but unique : celui de faciliter le progrès de la domination omeïade et d'étendre l'influence de cette dynastie sur toutes les contrées de l'Afrique.

---

(1) On ne connaît qu'un seul exemplaire du volume qui renferme la notice de l'Irac et de la Transoxiane M. de Gayangos, le propriétaire de ce manuscrit précieux, a bien voulu me l'envoyer de Madrid et le laisser entre mes mains pendant plusieurs mois

noms propres, un dictionnaire (*modjam*) de noms de lieu dont l'orthographe n'est pas bien connue ; enfin, un traité de géographie générale que l'on désigne sous le titre banal de ***Routes et Royaumes***, en arabe, ***El-Meçalek-wa'l-Memalek*** (1).

De tous ces écrits il nous reste, 1° le ***Modjam***, ouvrage précieux dont les bibliothèques de Leyde et de Milan possèdent chacune un exemplaire. Un abrégé de ce dictionnaire se trouvait, et se trouve peut-être encore, dans une bibliothèque particulière à Constantine (2). 2° Une partie des ***Routes et Royaumes***. Ce traité, le plus important de tous les écrits sortis de la plume d'El-Bekri, devait former plusieurs volumes et offrir la description et l'histoire de tous les pays connus aux musulmans du onzième siècle. Il nous reste de cette vaste compilation la notice de l'Afrique septentrionale, traité dans lequel les géographes et les historiens arabes ont puisé à pleines mains ; — la description de l'Egypte, notice renfermant quelques indications utiles ; mais qui, comparée avec celle du célèbre El-Macrîzi sur le même sujet (3), est aussi inférieure par le

(1) Il existe, en arabe, un grand nombre d'ouvrages géographiques que l'on désigne ordinairement ainsi plutôt que d'employer les titres plus ou moins fantastiques que les auteurs leur avaient imposés.

(2) J'ai feuilleté ce volume ; et, ne soupçonnant pas que j'avais entre les mains un mauvais abrégé du ***Modjam***, j'exprimai, au sujet de ce dernier ouvrage, une opinion peu favorable. M. Dozy, dans son mémoire sur les Bekrides, déclara que j'étais bien injuste envers notre géographe, mais il a su depuis comment j'avais été induit en erreur. M. Reinaud, de l'Académie des Inscriptions et belles lettres, a donné une bonne notice du ***Modjam*** dans son Introduction à la traduction française de la Géographie d'Aboulfeda. Pour tout ce qui concerne les connaissances géographiques qui existaient chez les peuples musulmans du moyen âge, le traité de M. Reinaud est le plus satisfaisant et le plus sûr à consulter.

(3) L'ouvrage d'El-Macrîzi, le Varron de l'Egypte, a été publié en arabe à Boulac, en l'an 1853. Il remplit plus de mille pages d'impression, format in-folio.

devait plus tard s'illustrer par sa description de l'Afrique.

En l'an 456 (1064), ou 458, Abd-El-Azîz mourut à Cordoue ; et son fils, Abou-Obeid, se rendit à la cour d'Almérie, dont le souverain, Mohammed-Ibn-Maan, l'accueillit avec bienveillance et l'admit au nombre de ses familiers. En l'an 478 (1085-6), Abou-Obeid remplissait une mission diplomatique auprès d'El-Motamed-Ibn-Abbad, roi de Séville, et eut alors l'occasion d'assister à l'embarquement de ce prince qui, voyant l'Espagne musulmane prête à succomber devant les armes du roi chrétien (Alfonse VI, roi de Léon et de Castille), s'était décidé à passer en Afrique et à solliciter l'appui du sultan almoravide, Youçof-Ibn-Tachefîn.

Abou Obeid-El-Bekri mourut dans le mois de choual, 487 (oct.-nov. 1094), dans un âge très avancé et avec la réputation d'un épicurien qui aimait autant le jus de la treille que la poésie et les lettres. Quelques auteurs lui donnent le surnom d'*El-Cortobi (le cordovien)*, parce qu'il avait séjourné assez longtemps dans l'ancienne capitale de l'Espagne musulmane. Il s'était acquis une haute réputation par ses poésies et par divers ouvrages dans lesquels il déploya un grand savoir comme controversiste, comme philologue, comme botaniste, comme historien et comme géographe.

Parmi les nombreux écrits d'El-Bekri, on cite une démonstration de la mission divine de Mahomet, une vue générale des plantes et des arbres de l'Andalousie, un commentaire sur les anecdotes philologiques d'Abou-Ali-'l-Cali (1), un commentaire sur les proverbes recueillis par Abou-Obeid (2), un traité sur la dérivation des

(1) Pour l'histoire de ce philologue célèbre, on peut consulter le dictionnaire biographique d'Ibn-Khallikan, traduit en anglais par M. de Slane, vol I, page 210.

(2) La vie du grand philologue, Abou-Obeid-El-Cacem-Ibn-Sellam, se trouve dans la traduction d'Ibn-Khallikan, vol II, page 486

En l'an 402 (1011-2), lors de la guerre civile qui amena la chute de l'empire oméïade en Espagne, Abou-Zeid suivit l'exemple des autres chefs et se posa en souverain indépendant ; puis, ne pouvant lutter contre des voisins aussi ambitieux et plus puissants que lui-même, il se mit sous la protection du seigneur de Niebla (1).

En l'an 443 (1051-2), son fils et successeur, Abou-'l-Mosab-Abd-El-Aziz, se laissa enlever Huelva par El-Motaded-Ibn-Abbad, souverain de Séville ; et, pour se tirer avec avantage d'une position qu'il n'aurait pas pu conserver, il vendit le territoire de Saltès au prince dont il venait d'éprouver, à son détriment, l'esprit envahisseur. Devenu plus avisé à la suite d'une expérience qui lui avait coûté si cher, il usa d'un tour d'adresse que la mauvaise foi d'El-Motaded rendait bien nécessaire ; et, s'étant esquivé avec ses trésors, il se réfugia dans Cordoue, ville qui obéissait alors à Djehwer-Ibn-Mohammed, ancien garde-des-sceaux des khalifes Hicham et El-Hakem. Il y amena son fils, qui sortait seulement de l'enfance et qui attirait déjà tous les cœurs par les grâces de sa figure, la vivacité de son esprit et l'étendue de ses connaissances littéraires. Ce jeune homme se nommait Abou-Obeid-Abd-Allah-El-Bekri, le même qui

---

bre de bons renseignements Jusqu'à présent, on ne trouve, en aucune langue européenne, un ouvrage qui fasse mieux connaître l'histoire de l'Espagne musulmane.

(1) En 1849, M. le professeur Dozy publia à Leyde, le premier volume d'un recueil de mémoires sur l'histoire de l Espagne arabe pendant le moyen âge. Cet ouvrage, intitulé : *Recherches sur l'histoire politique et littéraire de l'Espagne*, renferme plusieurs traités qui nous font enfin connaître, d'une manière claire et satisfaisante, quelques parties de l'histoire de cette péninsule pendant la domination musulmane. La notice sur le Cid est une véritable révélation ; après l'avoir lue, on sait à quoi s'en tenir au sujet de ce noble aventurier, qui avait beaucoup de belles qualités, mais qui ignorait également les sentiments du patriotisme et ceux de l'humanité. Dans un chapitre de treize pages, M. Dozy a réuni et discuté avec beaucoup de jugement, les renseignements épars que les historiens arabes nous fournissent au sujet des Bekrides ; tout ce qui se trouve ici relativement à cette famille est emprunté à la notice du savant et spirituel hollandais.

sitaient pas à sacrifier les intérêts de leurs sujets et même ceux de la religion.

A l'époque où notre auteur écrivait, c'est-à-dire, en l'an 460 de l'hégire (1067-8), une partie de ces dynasties avait disparu, mais il en restait encore plusieurs : les Abbadites régnaient à Séville, les Zirides berbers à Grenade, les Beni-di-'n-Noun à Tolède, les Houdites à Saragosse, les Beni-'l-Aftès à Badajoz, les Beni-Abi-Amer à Valence, les Beni-Taher à Murcie et les Beni-Maan à Almérie. Dénia et les îles Baléares avaient aussi leurs souverains.

Au nombre des familles qui se partagèrent les dépouilles des Oméïades, il s'en trouvait une dont le souvenir aurait péri si elle n'avait pas donné le jour à un homme qui se distingua dans la carrière des lettres. Vers l'an 392 de l'hégire (1001-2 de J.-C.), pendant que le sultan Hicham-El-Mowaïyed occupait le trône, un arabe, nommé Abou-Zeid-Mohammed-El-Bekri, fils d'Aiyoub, cadi de Niebla, et aïeul de notre auteur, obtint le gouvernement de Huelva et de Saltès. La ville de Huelva, en arabe *Ouelba*, est située sur l'Océan atlantique, au confluent du Gibraléon et du Tinto, et à vingt lieues à l'O.S.O. de Séville. La langue de terre qui sépare ces deux rivières et qui a toujours été renommée pour sa fertilité, porte, chez les écrivains musulmans, le nom de l'*île* (c'est-à-dire, de la *presqu'île*) *de Chaltîs*. Ce dernier mot est la représentation arabe de *Saltès*, nom qui se trouve inscrit sur un document géographique de la plus haute importance, la Carte catalane, dressée en l'an 1375. Vis-à-vis d'Huelva se voit l'île de San-Francisco de la Rabida, localité trop petite pour contenir une ville (1).

---

(1) Voyez *the History of the mohammedan Dynasties in Spain*, traduite de l'arabe d'El Maccari par M. de Gayangos ; vol. I, page 379. Cette traduction abrégée est accompagnée de notes qui fournissent un grand nom-

méridionale du Tell avaient envahi et saccagé toutes les campagnes de la Tunisie et de Tripoli.

L'Espagne musulmane dont la domination s'était fait sentir pendant l'espace d'un siècle dans les provinces de la Tingitane, n'y exerçait plus aucune influence. En l'an 422 (1031 de J-C.), la famille des Oméïades cessa de régner sur l'Andalousie, après avoir donné seize souverains à ce pays. Établie dans Cordoue, elle avait conservé le pouvoir pendant deux cent quatre-vingt-quatre ans, malgré la lutte incessante qu'elle eut à soutenir contre les Chrétiens de Léon et de Castille, et contre ses propres sujets, les Arabes, les troupes berbères, et les *Mowelled*, race moitié-chrétienne, moitié-musulmane. La dynastie oméïade succomba à la suite d'une longue guerre civile et entraîna dans sa chute l'unité de l'empire. Les chefs des grandes familles, les commandants de troupes, tant arabes que berbères, les gouverneurs de provinces, de cantons, de villes et de simples châteaux, tous se déclarèrent indépendants. Chacun de ces petits souverains se vit bientôt exposé aux attaques de ses voisins, et quelques-uns seulement parvinrent à se maintenir et à se faire respecter. Parmi cette foule de roitelets, il s'était trouvé beaucoup de princes aimant les lettres et la poésie, affables, généreux, braves, doués des qualités les plus aimables ; pour être parfaits, il ne leur manquait que la bonne foi. Leur arme favorite, c'était la trahison, toutes les fois qu'ils cherchaient à se débarasser d'un puissant adversaire, d'un homme suspect ou d'un parent incommode. Chez eux, l'ambition étouffait les sentiments d'humanité et les affections de famille. Voulant tous entretenir une cour magnifique, s'entourer de parasites et de flatteurs, soudoyer des historiens mercenaires, acheter les louanges des poètes et la bienveillance des hommes de lettres, il leur fallait beaucoup d'argent et pour se le procurer, ils n'hé-

PRÉFACE.

A l'époque où Abou-Obeid-El-Bekri rassemblait les matériaux du grand ouvrage géographique, dont cette description de l'Afrique septentrionale forme une des sections principales, trois dynasties berbères possédaient la totalité de ce pays : les Zîrides, auxquels le khalife fatemide, El-Moëzz, avait confié le gouvernement des provinces qui forment actuellement la régence de Tripoli, celle de Tunis et notre Algérie ; — les Hammadites, qui avaient enlevé toute cette dernière région à leurs parents, les Zîrides, — et les Beni-Zîri-Ibn-Atîya, souverains de la ville de Fez et de presque toutes les contrées que les géographes de l'antiquité avaient désignées par le nom de Tingitane. A la suite de la grande invasion des Arabes nomades, événement qui eut lieu en l'an 443 de l'hégire (1051-2 de J.-C.), les Zîrides perdirent la plus grande partie de leurs états ; mais les Hammadites purent encore se maintenir quelques années ; et, fidèles à la politique des premiers sultans fatemides, ils n'épargnèrent aucun effort pour subjuguer le pays de l'*Extrême Ouest* (*El-Maghreb-el-Acsa*), nom qui s'applique encore à l'ancienne Tingitane. Les Beni-Zîri-Ibn-Atiya avaient commencé par gouverner, au nom des Oméïades espagnols, la ville de Fez et les provinces qui en dépendent ; puis, après la chute de cette dynastie, ils s'étaient déclarés indépendants. Depuis bien des années, les Idrîcides n'exerçaient plus d'autorité en Afrique, mais une quatrième dynastie berbère, celle des Almoravides, commandés par Youçof-Ibn-Tachefîn, s'était déjà emparée de Sidjilmessa, du Dera et du Sous ; se frayant ainsi la voie à la conquête de l'Espagne. Les Arabes nomades, ayant occupé la frontière

A

MONSIEUR LE COMTE RANDON

MARECHAL DE FRANCE

SÉNATEUR

GOUVERNEUR-GÉNÉRAL DE L'ALGÉRIE

FONDATEUR DE LA SOCIÉTÉ HISTORIQUE ALGÉRIENNE

CET OUVRAGE

PUBLIÉ SOUS SON PATRONAGE ECLAIRÉ

EST DÉDIÉ

COMME UN TEMOIGNAGE DE RESPECT ET DE RECONNAISSANCE

PAR SON TRÈS-DÉVOUÉ SERVITEUR

DESCRIPTION

DE

L'AFRIQUE SEPTENTRIONALE

ABOU-OBEID-EL-BEKRI

TEXTE ARABE

REVU SUR QUATRE MANUSCRITS ET PUBLIÉ SOUS LES AUSPICES

de

M. LE MARÉCHAL COMTE RANDON

Gouverneur-Général de l'Algérie

DESCRIPTION

DE

L'AFRIQUE SEPTENTRIONALE

PAR

ABOU-OBEID-EL-BEKRI

TEXTE ARABE

REVU SUR QUATRE MANUSCRITS ET PUBLIÉ SOUS LES AUSPICES

de

M. LE MARÉCHAL COMTE RANDON

Gouverneur Général de l'Algérie




تليفون
٢٢٧٨١

